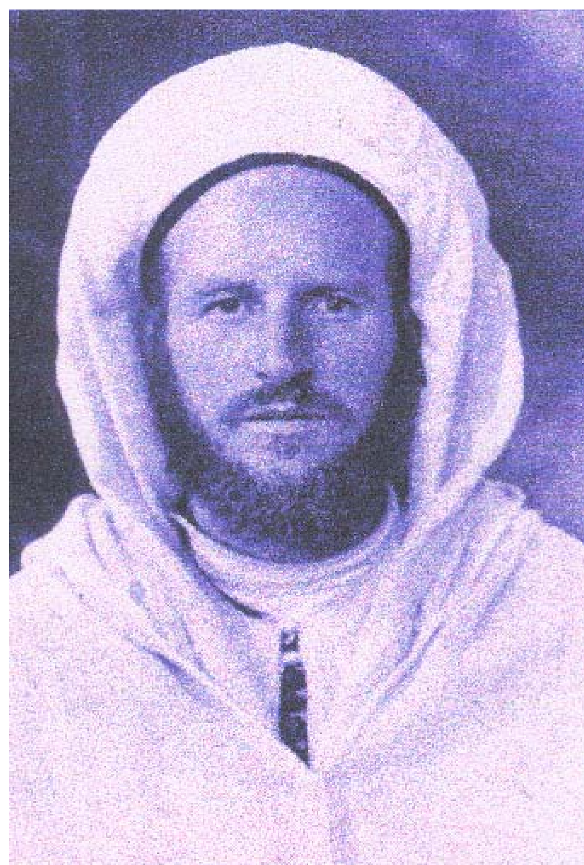
مذكرات العلامة القاضي
الأديب الحاج أحمد سكيرج

إيقاظ القرائح لتقييد السوانح
ويليـه
النتائج اليومية في السوانح الفكرية

وكلاهما للعلامة القاضي الأديب
الحاج أحمد سكيرج الخزرجي
الأنصاري
رحمه ا ورضي عنه



تحقيق
ذ. محمد الراضي كنون
الحسني الإدريسي

اسم الكتاب: إيقاظ القرائح لتقييد السوانح ويليه النتائج اليومية في السوانح الفكرية
المؤلف : العلامة الحاج أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري
المحقق : ذ. محمد الراضي كنون
هاتفــــه : 061: 683399
البريد الإلكتروني : **med. erradigenoun@menara.ma**

مقدمـــــة

يقطـع المغـرب بخطى ثابتة في أناة وصبر، وعزيمة صلبة، وطاقة على التحمل، واستماتة قـوية، محطات تطوره، ومراحل تطلعه ومصيره، يحدوه في ذلك طموح عظيم للقضاء على رواسـب الـتخلف، وعمل جاد نحو النمو الذي يتوق إلى تحقيقه، محافظا في هذا وذاك على أصالته، مرتبطا بها، سائرا على محكم مناهجها، يستنبط منها الدروس والعبر المفيدة، وينظر إليها برؤية متزنة، كفيلة باستيعاب مضامين هذه الأصالة والإقتباس من ثراءها الزاخر.

ومن باب هذه الأصالة الإهتمام بآثار الماضين من علماءنا الكبار، ممن أثروا الخزانة المغربية بـنفائس الكتب والمؤلفات القيمة، التي تخطت الحدود شهرة وإشعاعا، فبلغت آفاقا واسعة على صعيد العالمين العربي والإسلامي.

فأشعوا بذلك الخير والمحبة والإيمان، وحفظوا لوطنهم هويته الخاصة، وصانوا كيانه وجذوره علـى مدى الأحقاب، وهو ما ساعد على تعبيد الطريق لجيلنا الحاضر، الذي صار على هدي أصالته، وقام على أساسها المتين، فانصهر فيها، وامتزج بها أي امتزاج.

ومـن هؤلاء الأعلام العلامة القاضي الأديب أحمد سكيرج، أحد العلماء المغاربة الأفذاذ، ممن حباهم ا بالذكاء الخارق، والمعارف الشاملة، والمواهب الفطرية، والنبوغ الكبير، فسخر كل تلـك المؤهلات للعلم والكتابة والفكر والتدريس، وتكريس وشائج المحبة والسلم والتعاون بين أبناء وطنه.

وكان هذا سببا كافيا لإقدامي على تحقيق مجموعة من كتبه ورسائله، من جملتها مذكراته التي هي موضوع كتابنا هذا.

ترجمـــة المؤلـــف

ولادتـــه

هو من مواليد مدينة فاس خلال منتصف شهر ربيع الثاني عام 1295 هـ ـ أبريل 1878 م. وبهـا نشأ داخل أسرة فاضلة. ذات مآثر جليلة ومزايا جمة. وقد أنجبت هذه الأسرة نخبة من علية العلماء والأدباء والمؤرخين الكبار. إذ يكفينا أن نذكر منهم الأديب الشاعر الكاتب محمد بن الطيب سكيرج. والمؤرخ الفقيه عبد السلام بن أحمد سكيرج. مؤلف كتاب: نزهة الإخوان وسـلوة الأحـزان. في الأخبار الواردة في بناء تطوان، ومن حكم فيها أو تقرر من الأعيان. والعلامة المهندس الزبير بن عبد الوهاب سكيرج.

نشأته وتحصيله

وبمسقط رأسه المذكور تلقى مختلف مراحل تعليمه. تحت عناية دقيقة من والده الحاج العياشي بـن عـبد الـرحمان سكيرج. الذي أولاه اهتماما خاصا. نظرا لما لاحظه فيه منذ البداية من شفوف ونبل وتطلع إلى المعالي والكمالات. وذكاء وفطنة عجيبة.

وعمـوما فقـد أدرك مراده في الدراسة والتحصيل. وبلغ منيته في التربية والسلوك. فحصل معظـم ما كانت تعج به جامعة القرويين من علوم وفنون مختلفة. حيث برع في الفقه والنحو واللغة. والسيرة والحديث والتصوف. والأدب والحساب والشعر.

وقـد أسـهمت في تكوينه نخبة من خيرة علماء الجامعة المذكورة. كعبد ا البدراوي. وعبد المالك العلوي الضرير. والحبيب الداودي. وابراهيم اليزيدي. وعبد ا بن خضراء وغيرهم.

مؤلفاتـه

للعلامـة سـكيرج مؤلفات كثيرة. تزيد على مائة وستين تصنيفا. مما يدل على غزارة علمه ورصـيده المعرفي الواسع. وتعود كثرة تآليفه إلى حبه الكبير للكتب. وتعلقه بها. وإقباله على مطالعـتها. فقـد كـان يمضي جل أوقاته منشغلا بها. ولوعا بمحتوياتها. يقرأ ويكتب. ويعلق ويشرح ويؤلف.

وللإشـارة فقـد تعرضنا لذكر عناوين مؤلفاته بتدقيق في كتابنا: رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج. فلينظرها من أراد التوسع في هذا الباب.

وظائفـ ـ ـه

تنقل العلامة سكيرج بين عدة وظائف. نجملها في ما يلي:

ناظر لأحباس فاس الجديد ما بين عامي 1332 هـ - 1336 هـ موافق 1914 م- 1918م.

قاضي لمدينة وجدة ونواحيها ما بين عامي1337 هـ- 1340 هـ موافق 1919 م-1922 م.

عضـو ثاني بالمحكمة العليا بالأعتاب الشريفة بالرباط ما بين عامي 1340 هـ- 1342 هـ موافق 1922 م- 1924 م.

قاضي لمدينة الجديدة ونواحيها ما بين عامي1342 هـ- 1347 هـ موافق 1924م-1928م.

قاضي لمدينة سطات ونواحيها ما بين عامي1347 هـ- 1363 هـ موافق 1928م- 1944م أي إلى حين وفاته رحمه ا .

سلوكـ ـه

كـان رحمـه ا مضـرب المثل بفاس وبغيرها من المدن التي استوطنها. وذلك بجده وتدينه وعلمـه. وورعـه وشكره وقناعته. فقد كان متواضعا. بعيدا عن الكبر والإدعاء. غير ميال للتفاخـر ولا محـب للظهور. على درجة عالية من الورع والتقوى والثبات على الحق. يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وكثيرا ما كان يغير المنكر بيده. لطيف الروح. عذب الحديث. رائـع النكـتة. يخفـي الألم. ويبدي الإبتسام. لم يقعده مرضه (داء السكري) عن خدمة دينه وجيله وأبناء وطنه.

انخراطه في الطريقة التجانية

أتـيح للمؤلف التدرج بين يدي كبار مشايخ عصره. لا سيما بمدينة فاس مسقط رأسه. وناهيك فـي هـذا الشأن بالعلامة سيدي محمد (فتحا) كنون. وأحمد العبدلاوي. وعبد المالك العلوي الضـرير. وحمـيد بنانـي. وعبد ا البدراوي. وعبد الكريم بنيس. وغيرهم من جلة علماء الطريقة المذكورة.

وعلى هؤلاء تمسك بهذه الطريقة. وانضوى في سلك رجالها الأبرار. ولم يقتصر على مجرد الأخذ والإنضواء فقط. بل عمق معارفه بكثرة المطالعة لكتبها. والإعتكاف على ذكر أورادها السـاعات الطوال. كما سعى إلى لقاء العديد من مشاهير رجال هذه الطريقة. خصوصا منهم العارف بربه سيدي أحمد العبدلاوي. فقد كان يقضي الكثير من وقته في مذاكرته. لا يمل من ذلك ولو جلس إليه النهار بأتمه.

وخلاصة القول فقد انخرط في الطريقة التجانية عام 1316 هـ -1898م. وكان عمره إذ ذاك لا يتجاوزر الإحدى وعشرين خريفا.

اهتمامه العريض بالشعر

يعتبـر الشعر واحدا من أهم المجالات التي تجلت فيها شخصية صاحبنا المذكور. فقد قرضه منـذ حداثـة سنه. وظل على ذلك إلى حين وفاته رحمه ا . حيث ترك ثروة شعرية مهمة. تـوزعت بـين كافـة الأغـراض السائدة إذ ذاك. من مدح ووصف وغزل ورثاء ومولديات ومساجلات وإخوانيات. وما إلى ذلك من موضوعات مختلفة.
ويتميـز شعره بالقوة والجزالة. وحسن الصياغة. ودقة المعاني. مما ينم على اطلاعه الواسع بقواعده وأدواته. ذلك الإطلاع الذي جعله أحد جلة شعراء جيله. فكان محط إعجاب كثير من القراء والدارسين. وذوي الإهتمام بالقريض وشؤونه.
ويمكننا تلخيص ثروته الشعرية فيما يلي:

مدح النبي صلى ا عليه وسلم: 15 ديوانا

مدح شيخه أبي العباس سيدي أحمد التجاني : 3 دواوين

إلى غير ذلك من مئات القصائد المتنوعة الأغراض. لا سيما في المجال التربوي. مع ميادين السلوك والنصح والمواعظ.

تلامذتـــه

تخرجت بصاحبنا المذكور طائفة من الفقهاء والأدباء الكبار. ممن استفادوا من خبرته واقتبسوا من أنواره. نذكر منهم السلطان الأسبق المولى عبد الحفيظ العلوي. ومحمد الحافظ المصري. وأحمـد بـن الحسـين الدويراني. ومحمد امغارة. ومعاوية التميمي التونسي. والشيخ ابراهيم انياس الكولخي. وأخويه محمد الخليفة ومحمد زينب.

وفاتـــه ومدفنـــه

كان رحمه ا مصابا بداء السكري. يعاني من شديد مضاعفاته. لا سيما في آخر حياته. حيث استفحل عليه المرض. مما اضطره للخضوع لعملية جراحية بإحدى مستشفيات مدينة مراكش. وقـد توفـي إثر هذه العملية بقليل. وذلك يوم السبت 23 شعبان عام 1363 هـ - 12 غشت 1944 م وشـيعت جنازته في اليوم الموالي إلى ضريح القاضي أبي الفضل عياض. فدفن فيه بعـد أن عـاش ثمانـية وسـتين سنة. كانت كلها رحلة حياة مليئة بالمواقف العلمية الموفقة والتضحيات الجسام.

وقـد تألمت لوفاته جل الأوساط العلمية والثقافية. سواء بوطنه (المغرب). أو بغيره من الدول المجاورة كالجزائر وتونس ومصر وسنغال والسودان.

سبب جمعه لهذه المذكرات

لعلنـي لست في حاجة إلى شرح السبب أو الأسباب التي دعت العلامة سكيرج إلى وضع هذه المذكرات، بحكم أن ذلك من الشيء المألوف الذي لا داعي للاستفاضة في نطاقه، غير أن بيت القصـيد يكمن في عزوف الأدباء المغاربة عن هذا النوع من الكتابة وعدم اكتراثهم به، إذ لم يسبقه في هذا الإطار سوى أفراد قلائل يعدون على أطراف الأصابع.

ومهمـا يكن من أمر فإن العلامة سكيرج يطالعنا ضمن الصفحة الأولى من مذكراته (النتائج اليومـية في السوانح الفكرية) عن السبب الدافع له لتدوينها، ويحصر رحمه ا هذا السبب في قـوله: وأخسر الساعات ساعة مضت على الشخص ولم يستفد فيها فائدة، تكون عليه منافعها عائدة، حتى قال بعض الأكابر: كل يوم لا أزداد فيه علما لا بورك لي فيه. إلخ..

والذي يبدو لي أن المسعى من هذا العمل يتمحور في شيئين اثنين، أولهما ضرورة تدوين كل مـا يقـف عليه المرء في يومه من فوائد وفرائد، لا سيما أنها قابلة للإتلاف والضياع إذا لم تـدون، وهـو ما يسبب الحرج لذاكرة الإنسان، ويقضي على سيل مما اختزنه بها من لطائف وشذرات،

أمـا الشيء الثاني فيدور حول طبيعة المذكرات ونوعيتها، بحكم أنها تضع صاحبها أما جانب حـي من أرشيفه، وتمكنه من رؤية شمولية لماضيه، كما تجعله أكثر معرفة بجوانبه السالفة، سواء منها الصالحة أو الطالحة، وهو ما يساعده على محاسبة نفسه وتصحيح بعض أخطاءه، وإعادة النظر في كثير من مناهجه ومخططاته.

ما توحيه لنا هذه المذكرات

ومـن أروع ما في هذه المذكرات أنها تنقلنا إلى جو اجتماعي مغاير للجو الذي نعيشه اليوم، فـي جو يسوده الحياء والكرم والحشمة، وتختفي فيه الكثير من مظاهر العصر الحاضر، بما تحملـه مـن تكنولوجيا حديثة، إلى رحاب حياة طبيعية بسيطة، لا يشد المرء فيها جهاز تلفاز متطور يقضي معظم أوقاته متفسحا بين قنواته، ولا وسائل اتصال ونقل وحركة مما هو متوفر اليوم على أكثر من صعيد.

والـلآدب ضـمن هذه المذكرات حصة الأسد، وذلك بشتى فنونه من شعر ونثر وحكم وأمثال وحكايـات وقصـص وألغـاز وغيـرها، مما يعود بالقارئ إلى جو بديع فضفاض، بعيد عن التلوث، ملم بكل جميل، صادق في معانيه، قوي في أحاسيسه.

في جو كانت للحكايات والأحجية فيه مكانتها التربوية الهامة، فكانت وسيلة لا يستهان بها في هـذا النطاق، إلى جانـب الأمثال والحكـم والألغاز، التي كانت وقتئذ تكتسي من الأهمية ما لا مجال للمقارنة به اليوم، حيث كانت تشكل واقع العلاقات الإجتماعية الإنسانية، نظرا لكونها أداة تعبيـرية جذابـة، عميقة في إيصال معان مختلفة، تترجم عن خلجات الذاكرة الشعبية إذ ذاك.

وعمـوما فهذه المذكرات تعود بنا إلى ما وراء قرن من هذا التاريخ، فتضعنا أمام نماذج من مسامرات ذلك الحين ومجالسه العلمية والأدبية والفكاهية. أضف إلى ذلك نوعية العلاقات التي كانت تسود بين أدباء ذلك الجيل، وما كانوا عليه من نشاط وحيوية وإقبال على العلم وتعطش لكل ما هو جديد.

اهتمامه بالجانب الفكاهي

لا تخلـو هـذه المذكرات اللطيفة من فكاهات متنوعة، داعية للضحك والتسلية، كفيلة بإدخال البسمة على وجه قارئها، هادفة في معانيها، وغالبا ما نجد المؤلف ينحى في هذا النطاق جانب الأغلـوطة، وهـو فن قائم بذاته، كان يحضى لدى أهل ذلك العصر باهتمام بالغ. لا سيما بين العلمـاء والمثقفين الذين كانوا مؤهلين أكثر من غيرهم لتأليف هذه الأغلوطات، والإلمام بأكبر عدد ممكن منها.

وممـا سـاقه من هذه الأغلوطات في مذكراته قوله في (إيقاظ القرائح لتقييد السوانح ص)

ومن قول بعضهم:

إن للاهـي إلاهـا فوقـه   يغفر الذنب وإن شاء ستر

إن فرعـون وهامـان معا   والنبئيـن جميعا في سقر

قال العلامة سكيرج: اللاهي من اللهو، والواو في قوله والنبئين للقسم.

قلـت: لـم يكـن دور هذه الأغلوطات منحصرا في الضحك والتسلية فقط. بل كان لها معان آخـرى، ولعـل أهـم هـذه المعاني ما كانت تلعبه من دور في تفعيل ذكاء الطالب ودفعه لاستخدام كافة مؤهلاته، وذلك لفك لغز الأغلوطة والجواب عما انبهم من مفرداتها، وهو شيء لا يتأتى سوى للمتمكن من كتب اللغة وقواميسها ومفرداتها الغريبة.

اعتناؤه بفن الألغاز

نفـس مـا أشـرنا له حول الأغلوطة هو ما يقال أيضا حول الألغاز، غير أن هذه الأخيرة لا علاقـة لهـا بالضـحك والتسلية، بل باختبار مدى كفاءة الطالب ونبوغه وقوة دهنه وبديهته، وغالـبا ما يقتصر رواج هذا الفن بين العلماء لا غير، نظرا لما يتطلبه من قدرات علمية قلما تتوفر لدى غيرهم.

وقـد اعتنى العلامة سكيرج بهذا الفن كثيرا، وبمذكراته هذه نماذج عديدة منه، اعتبارا لكونه مـن الفنون السائدة بين العلماء المغاربة وقتئذ، ولاغرو في ذلك فإن كتبهم مملوءة به، بحيث لم أقف على كناش عالم مغربي من أهل ذلك العصر إلا وفيه حصة وافرة من فن الألغاز.

ما يتعلق بالنزهة

وقبض العشية

الظاهـر أن للنـزهة دورا بارزا في إذكاء الروح الأدبية لدى علماء مدينة فاس، اعتبارا لما يـتخللها مـن جو ثقافي مرح، مفعم بضروب مختلفة من الفوائد العلمية والتاريخية والأخبار الحسـان والأشعار والمقطعات وغيرها، والذي نستشفه من هذه المذكرات أن هذا النزه كانت بمـثابة الإنطلاقة الحقيقية لصاحبنا المذكور، كما أنها كانت وراء شهرته وما اكتسبه بعد ذلك من سمعة طيبة وصيت بعيد.

طالمـا إذا علمـنا أن معظم مرافقيه نحو مكان التنزه لم يكونوا بالأشخاص العاديين، بل كانوا علمـاء كـبار متضلعين في النحو والفقه والحديث والأدب والتاريخ والقراءات وغيرها، مما جعل هذه النزه حافلة بالإتصالات والإجازات والمجالس العلمية والدروس الجادة

وقد ساق لنا العلامة سكيرج بعضا من هذه النزه ضمن مذكراته هاته، فأوقفنا من خلالها على صور حية لفعالياتها، مع ما تشتمل عليه من أنشطة منتظمة، تجمع بين الترفيه والمرح والتمتع بالطبـيعة مـن جهة، وبين الإحتكاك بالحاضرين من العلماء والإستفادة من معارفهم من جهة ثانـية، ومما نستشفه من نصوص هذه المذكرات أيضا أن النزهة كانت نادرا ما تتعدى اليوم الـواحد، وأنهم كانوا يهيئون لها قبل موعدها بيوم أو يومين، فإذا كان يومها يتم حينه الإتفاق على الإجتماع لصلاة الصبح بالزاوية التجانية الكبرى بمدينة فاس، ومنها ينطلق الجمع صوب

مكان التنزه، الذي غالبا ما يكون على ضفاف وادي الجواهر خارج المدينة المذكورة، أو إلى طـريق صفرو، مصطحبين معهم ما يحتاجونه من لباس وأكل وشراب وأواني، بالإضافة إلى الخيمة والفراش وغيرهما من حاجيات آخرى، وتستمر النزهة إلى حدود غروب الشمس،

حـيث يؤوب الجمع من جديد إلى فاس، فيصلون المغرب بنفس الزاوية المذكورة ويقرؤن بها الوظيفة.

أما قبض العشية فإنه لا يختلف عن النزهة في شيء، إلا أنه مخفف عنها زمانا وكما ومكانا، إذ أن فتـرته لا تتجاوز ثلاث ساعات زمانية، كما أن عدد الخارجين لقبض العشية لا يتعدى فـي مجمله خمسة أشخاص، بخلاف النزهة التي قد يتجاوز عدد الأشخاص فيها العشرين، أما المكـان فغالـبا ما يكون بإحدى الهضاب المشرفة على مدينة فاس، خصوصا بجوار ضريح الولـي الصالح سيدي علي المزالي، وهو موقع طبيعي خلاب، يشرف على المدينة من الجهة الشـمالية، وعن هذا الموضع يقول العلامة سكيرج ضمن هذه المذكرات (النتائج اليومية في السوانح الفكرية ص)

فكانـت عشـية في جبين الدهر من هذا العصر، فأدرنا من كؤوس المذاكرة ما هو من أنفس المحاضـرة، إلا أن الفقـيه الشرادي (محمد بن الفاطمي الشرادي) أمنه ا استنكر الجلوس قـبالة المديـنة لقـرب السطوح من النظر، ولم يكن جلوسنا من قبل هذا اليوم نلتفت فيه إلى سـطوح، ولا من يذهب ويروح، خصوصا وأن النسوان، لا تتميز صورهن إلا بعد الإمعان، ولكن الورع هو ترك الجلوس في هذه العقبة المطلة على فاس. إهـ...

اعتناؤه بجانب النوازل والأحكام

لـم يقتصـر اهتمام العلامة سكيرج ضمن هذه المذكرات بالجانب الأدبي فقط، بل اهتم أيضا بالحـديث عـن الفقـه وأصوله، لا سيما ما يتعلق منه بجانب النوازل والأحكام، وهو الجانب السائد لدى معظم علماء ذلك العصر، بيد أنه لم يتوغل طويلا في هذا المجال، واكتفى بإدراج بعـض فتاويه القصيرة، ذات الصلة بالأحوال الشخصية، كأحكام الطلاق والحضانة، وقضايا الأيمان والنذور ومشاكل الأسرة.

وإذا تتبعـنا قراءة هذه الفتاوي في صبر وأناة، وعلى ضوء هدف معين يمكننا أن نخرج من قراءتها بنتائج مهمة، تلقي الضوء على عدة أصعدة مختلفة، وتساعدنا على أن نتقرب أكثر إلى واقع أهل ذلك العصر، ونفهم أوضاعا وحالات كانت تعيش عليها الأسر المغربية إذ ذاك.

علاقته القوية بمسقط رأسه فاس

لمدينة فاس ثقل كبير داخل شخصية العلامة سكيرج، فهو دائم الإرتباط بها من خلال كتاباته، قـوي المـيولات نحوها من جانب أحاسيسه وانطباعاته، ولا تخلو هذه المذكرات من فقرات بديعـة فـي هـذا الصدد، حيث نجده كثير الإعتناء بتاريخ هذه المدينة وحضارتها، وأمجادها وثـراتها، وسـحر جمالهـا وطبيعـتها الخلابة، وكثيرا ما يسوق بعضا مما ذكرناه في هذا الموضـوع عـند خـروجه للنزهة رفقة أصدقائه، فيصف كل ما وقع عليه بصره من مناظر وبساتين، وسهول وأودية، كما يصف أسوار المدينة وأبوابها، ومساجدها وزواياها العتيقة.

اهتمامه بجانب الحكايات والقصص

لـم يخلـي العلامة سكيرج هذه المذكرات من تدوين بعض القصص والحكايات المثيرة، التي كـان يسـتقيها من كتب أدبية مختلفة، لعل من أبرزها كتاب تحفة المجالس ونزهة المجالس، للعلامـة الحـافظ السيوطي. وقد زادت هذه القصص من روعة هذه المذكرات، وأضافت لها رونقـا جمـيلا، كمـا منحت قارئها نشاطا فكريا باهرا، يذكي خمود القريحة، ويحرك ساكن التسوق إلى الأدب الأصيل والثقافة الهادفة.

ما ساقه من أشعار ضمن هذه المذكرات

أودع العلامة سكيرج ضمن مذكراته هذه مجموعة وافرة من أشعاره ومقطعاته، وذلك في جو أدبـي حافل، وحركة نشيطة، جديرة بالملاحظة والتسجيل، وخليقة بالإكبار والتقدير، وهو من خلالها يمكن قراءه من أن يشاركوه بعض مراحل حياته، لتنبض قلوبهم بنبض قلبه، ولتتحرك أفكارهم مع تحركات فكره، فقد جعل من هذه المذكرات منتخبا لأشعاره، التي هي من أمتع ما كتب في هذا الموضوع، لا سيما في عصره، نظرا لما تمتاز به هذه الأشعار من جودة، ولما تعالجـه مـن قضـايا متـنوعة، ذات صلة بالعلم والأخلاق والقيم والدين، إلى غير ذلك من مواضيع الساعة حينذاك.

كمـا جمـع في هذه المذكرات أشعارا كثيرة لغيره من أدباء عصره، كأحمد بن قاسم جسوس الرباطـي، والطـيب عـواد السلوي، وعبد الكريم بنيس، وابراهيم العلوي اليزيدي، ومحمد بوعشرين، ومحمد بن يحي بلامينو الرباطي وآخرين.

ولـم تقتصر عنايته عن أشعار معاصريه فقط، بل ساق جملة وافرة من أشعار أدباء العصرين الأموي والعباسي، مع التعرض لتفصيل أقوال هؤلاء الشعراء وتمحيصها، وإظهار محاسن ما

انطوت عليه من معان وبلاغة وروح شاعرية قوية، فتراه ينقل عن العقد الفريد لابن عبد ربه، والكشـكول لـبهاء الـدين العاملي، ونفح الطيب للمقري، والأغاني لأبي الفرج الأصفهاني، وغيرها من مراجع أدبية آخرى.

تاريخ كتابة هذه المذكرات

تنقسم هذه المذكرات إلى كتابين اثنين وهما ① إيقاظ القرائح لتقييد السوانح ② النتائج اليومية في السوانح الفكرية

أما الأول فقد جمعه بمدينة طنجة خلال مقامه بها سنة 1328 هـ - 1910، وذلك على مدى أربعـة أشـهر، مـن فاتح شهر محرم الحرام سنة 1328 هـ إلى 25 ربيع الثاني من نفس السنة- موافق 13 يناير 1910م إلى 6 أبريل من نفس السنة.

أمـا الثانـي فقد جمعه بمدينة فاس إبان سنة 1330 هـ- 1912م، على مدى شهرين اثنين، ابتداء من 15 ربيع الأول 1330 هـ إلى 5 جمادى الأولى من نفس السنة – موافق 4 مارس 1912م إلى 23 أبريل من نفس السنة.

السوانح

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

إيقاظ القرائح [illegible] لتقييد السوانح

أما بعد حمد الله بما هو أهله [illegible] أن تكون في راحة وسط الفكر [illegible] في هذه الأوراق على حسب ما يسنح بالفكرة أو بهذه الخزانة جاعلا ذلك بوارد الأيام على ترتيب الأيام من هذا العام عام 1328 رزقنا الله خيره ووقانا شره وضيره آمين بجاه النبي الأمين صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين وكان دخول هذه السنة بيوم الخميس فمن ذلك ما تعاوضت فيه مع سيدي العم فقال لي إن مثل النساء كلهن على أن كل واحدة [illegible] مجذوبة في صورة سالكة وفي بعض الأوقات بعكس ما يعتري المجذوب المتحقق عليه وفي بعضها سالكة وفي بعضها مجذوبة فينبغي للعاقل أن يعاملهن بما يعامل به المجاذيب في وقت جذبهن وبما يعامل به السالكون في وقت سلوكهم ليبين لي وبينت لي فقلت له ما أحسن هذا وهو مثل شيخنا العلامة الرئيس في هذا جرت بيننا بنوع من النوع الكامل وإنما جعلهن الله تعالى على الصورة الإنسانية [illegible] لأن الإنسان لا بد له مما يسكن إليه طبيعة فكانت المرأة سكنا فهي في الصورة إنسانة وفي الباطن من نوع آخر [illegible] نفسه من جهتهن فعلى العاقل أن يعاملهن بما يعامل النوع الذي لا يؤخذ وينتفع به إلا بالرفق واللين ثم جرت هذه بيني وبين سيدي العم في نحو هذا الموضوع [illegible] فقال لي [illegible] وكان هذا اليوم [illegible] مرتجة [illegible] رقة المرأة حتى لم أقدر على النظر إلى الزوجة في حالة الوداع [illegible] على ذلك أن صورة المرأة عندنا تارة تكون أضعف خلق الله إنسانا [illegible] شفقة ورحمة وحنانة ورأفة بحيث يتقطع قلبه [illegible] وتارة يحصل له معها ما [illegible] حتى يكاد أن يتقطع قلبه مما يرى منها فعلى العاقل أن يعاملها في حالتيها بالرفق واللين وفي يومنا هذا يوم الجمعة تذكرت عند هذا قول ما كان كثيرا ما ينشده بعض أشياخنا رحمه الله وهو

إذا رأيت أمورا منها الفؤاد تفتت

فابحث عليها تجدها من النساء تأتت

وتذكرت بذلك قوله عليه السلام استوصوا بالنساء خيرا فإنهن عوان [illegible]

1

سوانح يوم الخميس ثاني عام 1328

2

سوانح يوم الجمعة

الصفحة الأولى من كتاب إيقاظ القرائح لتقييد السوانح

بخط المؤلف العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج

1

بسم الله الرحمن الرحيم . وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

النتائج اليومية في السوانح الفكرية

نحمدك اللهم حمد عبد قال ربي الله ثم استقام ونشكرك شكر من اعترف بأنه لا يوفي شكر مولاه على ممر الدوام فنال المزيد من نعمه بمحض فضله وكرمه

فتى يوفي المعطي بشكر مولاه … والشكر منه له من نفس نعماه

اعطاه توفيقه فقام بشكره … على الذي منه أولاه وأعطاه

ونصلي ونسلم على الواسطة في جميع النعم التي برزت للخلق وكم تبلغ بهم آثارها على يده الظاهر والباطن من حضرة الحق

محمد منبع الجود الذي عم الـموجودة بالجود في سر وفي علن

لولاه ما برزت الى الوجود نعم … من جوده دائما على مر الزمن

صلاة وسلاما يشملان جميع آله وأصحابه وكل من كان في جنابه بمكان من محبيه وأحبابه ما دامت الصلاة من عبد الله وقامت بين الأشياء

وبعد فيقول العبد الذي لا يزال على أبواب فضله يعرج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج غفر الله بلطفه الخفي ومنحه بفوائد حرم الخفي مع أحبابه وأهل وده وكل في قلبه سليم من قبله ومن بعده ان ما يغتنمه الشخص في أيام حياته اغتنام الكلام في العلم في حلواته وخلواته ثم يتبعه في اقتنائه نفيس عمره الذي كل نفس منه لا يعلم قيمته بقدره

انما الأنفاس من نفس الغني … انفس الاشياء في كل نفيس

فليحافظ كل ذي عقل على … نفسه فهي له نعم الانيس

وأخص الساعات ساعة مضت على الشخص وكم يستعبر فيها قائلا يكون عليه فيها قائلا حتى قال بعض الأكابر كل يوم لا ازداد فيه علما لا بورك لي فيه وقد كنت كتبت بعض السوانح من فاتح عام 1324 في كل يوم وما منه فيه الى اليوم 6 في الربيع الثاني من العام المذكور فعاقتني عن تتبع السوانح اليومية بعض العوائق

الصفحة الأولى من كتاب النتائج اليومية في السوانح الفكرية

بخط المؤلف العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج

توطئة

أحبـبت أن أدرج في هذا المحل نص وثيقة للعلامة الحاج أحمد سكيرج، تعرض فيها لأطوار رحلـته الأولى من مدينة فاس إلى طنجة، اعتبارا لكونها من صميم موضوع هذه المذكرات، ويتبـين من خلال هذه الوثيقة ما أبداه العلامة المذكور من عناية كبيرة بوصف المراحل التي مر عليها في طريقه صوب مدينة طنجة، مهتما بالجانب الجغرافي لهذه المراحل، وبيان موقع القـبائل وذكـر المسـافات بينها وبين غيرها، أضف إلى ذلك ما يتصل بالسكان من عادات وأخـلاق وغيـرها، مما يجعل قراءة هذه الوثيقة لذيذة ومفيدة، ولن أطيل في التعليق عن هذه الوثيقة، بل أدع هذا الأمر جانبا، نظرا لكونها كفيلة بهذا المطلب لا تحتاج لتعليق.

نص الوثيقة

الحمـد الذي بحمده يبلغ عبده ما نواه، وبشكره تزداد نعمه عليه، فسبحانه من إله لا معبود بالحـق سواه، والصلاة والسلام على أفضل الخلق، ينبوع الكرم الكامل الخلق والخلق، سيدنا محمـد عـبده ورسوله، الذي من استجار به بلغ منتهى سؤله، وعلى آله وكل من والاه صلاة وسلاما كما يرضى ا .

وبعد: فقد خرجنا لطنجة، ذات السرور والبهجة، من فاس، وقاها ا من كل باس، في الساعة السادسة من يوم الأحد 4 ربيع الثاني عام 1327 هـ وكان خروجنا من باب عجيسة، ومررنا علـى وادي المـالح الأعلـى واسـترحنا في المسير ثلاث مرات، ونزلنا في الساعة الواحدة ونصف بعين البقر من أولاد جامع، ولما جد بنا المسير قلت:

استـودع ا ناسـي القاطنيـن بفـاس
وأطلـب ا ربـي يلين لي كـل قاس

وفي الساعة السادسة ونصف صباح يوم الإثنين سرنا بالسلامة جمع سلامة حتى قطعنا وادي سـبو، بعد أن ريضنا بالطريق نحو قسمين بعد كل ساعة وشيئا قليلا، وكان حلولنا بوسط سبو فـي الساعة الثانية عشر ونصف على معبر الحجرة الشريفة، وكان نزولنا بعد الساعة الثانية بدوار أولاد سليمان من بلاد شراقة، في كدية عقبة، وما أدراك ما العقبة، فبتنا عندهم في ليلة لم تذق فيها العين نوما من تهويل أصحابها وتخويفهم، ولم يأتوا للعسة إلا بعد المشقة.

يـا ليلـة من هولهـا قـد بت فـي أهـوال
تبـا لنـاس جئتهـم فيهـا ذوو أحـوال

وفـي السـاعة السادسـة ونصـف ارتحلنا عنهم، ولسان قلبنا يلعنهم، ولما استوى بنا السير، قاصدين المبيت عند الغير، أنشدت مخاطبا للحمار:

بالله لا تمـرر على أولاد عيسى الفاسدين

قوم لهـم بين الـورى أفعـال كـل الخاسرين

لـم أنـس مـا فعلـوه في قـوم كـرام صالحين

مـروا عليهـم مـرة فغـدوا عليهـم جائرين

سلبـوا حوائجهـم ومـا جـاءوا به من رابحين

وحيث كان المرور لابد أن يكون عليهم في الطريق، سلكنا بطرفهم وتركنا قبيلتهم عن يميننا، إلى أن دخلـنا بـأرض حجاوة، ثم إلى الغرب، ونزلنا بالمنزلة على طرف وادي ورغة في الساعة الثانية، وبتنا ليلتنا في أمن وأمان.

وفي الساعة السادسة ونصف ركبنا وسرنا لقطع وادي ورغة، وكنا وسطها في الساعة السابعة غير قسمين، وكان عبورنا عليها فيما يقرب من القسمين، وسرنا بعدها مارين في الغرب، ويا مـا أخصـب مـرعاه، فلقد مررنا على فدادين من الزرع تعجب الناظرين، ومررنا على ريـاض مزدهره، وحياض منفجره، إلى أن قطعنا وادي رضت في الساعة الحادية عشر غير شـيء قلـيل، وقصدنا محل النزول للمبيت، وهو دوار يعرف بدوار أولاد ابن سعيد من أهل وزان، وكان نزولنا في الساعة الثانية عشر، وبتنا والحمد ليلة هنية، من كل ما يسؤنا خلية.

وفـي السـاعة الخامسة صباحا سافرنا عنهم وقطعنا وادي الطين في الساعة السابعة، ثم بعده مقاطـع قطعناها كدنا أن نسقط في مهاويها، ولكن ا سلم، وجزنا هناك على طريق ذات علو وانخفـاض، وذات بسـط وانقـباض، ونظـرنا إلى جبل وزان عن يميننا في المسير، ورأينا بالطـريق أضـرحة لبعض أهل التنوير، منها ضريح الولي الصالح سيدي عمر الحاضي عن اليمـين أيضا، وفي الطريق حجرة ينسبونها لمولاي يعقوب، وعند قربها ماء حار وفيه ملوحة ورائحـة كبـريت، وعـن يسارنا بعده ضريح المولى الصالح سيدي موسى الزراد، ثم سرنا بالسلامة إلى أن قطعنا وادي نضى ونزلنا بمدشر الحريضيين.

وفـي السـاعة الخامسة والنصف صباحا رحلنا عنهم شاكرين لهم ما صنعوا وما صنعوا إلا الجمـيل، كثـر ا من أمثالهم، ووصلنا للماء البارد في الساعة السادسة ونصف، وتراءى لنا القصر في عقباته، ونسيم الأزهار يهب علينا من كل ناحية، ولازلنا كذلك إلى أن قطعنا وادي لكوس، وهو الوادي الذي يغمر القصر إذا فاض.

ومـررنا على القصر، وسرنا إلى أولاد حميد، ونزلنا عندهم في الساعة العاشرة، وبينهم وبين القصـر نصف ساعة، وفي الساعة السادسة صباحا سافرنا عنهم، ولم نزد على ساعة زمانية حتـى نـزل بنا الحمار في دوار بواد ورور قرب دوار أولاد جابر، فبقينا يومنا كله مقيمين مخيمين، واسترحنا فيه أتم استراحة، ونمت هناك فرأيت رؤيا، وتذاكرت فيها مع شيخنا بنيس، إلـى أن قـال لي: قد ثبت عندي عن سيدنا محمد الحبيب ولد الشيخ رضي ا عنه أن ولاية النبي أفضل من نبوته، ونسيت تمام الرؤيا، وهي كما ترى رؤيا من أفضل المراءي.

ثـم رأيت أيضا هناك رؤيا وهي أني اجتمعت مع السلطان، وصرت أتذاكر معه، ورأيت بين يديـه ميـزانا يـزن به الأشياء التي تعرض عليه، ورأى أيضا هو بيدي ميزانا، فسألني عنه وأجبته، ثم طلبت منه أن يأذن لي في طبع بعض كتبي، بعد أن قلت له: إنك يا سيدي قد حزت جميع المطابع وحجرتها على الناس، فآذن لي في الطبع، فقال لي: قد اذنتك في طبعها، إلا أنه لا بد أن تجعل لي فيها نصيبا إن كان الورق من عندي، فتأخذ ما زاد وإلا ترده. إهـ..

وفي صباح يوم الإثنين ارتحلنا في الساعة الخامسة، وسرنا نخترق الطرق، كأننا صاعدين إلى الأفـق، فمـررنا على عقبات ومقاطع، تشيب المراضع، وقطعنا وادي ورور، ثم بعده وادي المخـازن، ثم وادي عياشة، وسرنا بالسلامة إلى أن نزلنا بالقصر الجديد قرب وادي الحشف، وبتنا ليلتنا في سلامة.

وفـي صباح يوم الثلاثاء سرنا عنهم وقطعنا وادي الحشف، وهو واد ينفخ فيه البحر، ثم بعده واد آخر وظهر لنا البحر من العقبة الحمراء، ودخلنا لطنجة بعد الساعة الواحدة، وتلقانا أخونا الأمجـد سيدي محمد حفظه ا بالترحيب والتأهيل، ورأينا هذه المرسى وما فيها من عجائب المباني بعد أن استرحنا.

الحمد لله الذي يجري يبلغ عبده ما نواه ويشكر من زاد نعمه عليه
بما يسمع به من الالاء لا معبود بالحق سواه والصلاة والسلام
على أفضل الخلق بنبوءة الكرم الكامل الخلق والخلق سيدنا محمد
عبده ورسوله الذي من استجار به بلغ منتهى سؤله وعلى آله
وكل من والاه صلاة وسلاما كاملين [illegible] وبعد فقد خرجنا
لطنجة ذات السرور والبهجة من فاس وقانا الله من كل بأس
في ساعة 6 من يوم الأحد رابع ربيع الثاني عام 327
واسترحنا في المسير ثلاث مرات ونزلنا في الساعة 1 1/2
بعين السبت من أولاد جامع وما أجمل بنا المسير [illegible]

أستودع الله ناسي الغاطنين بفاس
وأطلب الله ربي [illegible] في كل فارس

وفي الساعة 7 ونصف صباح الاثنين سرنا بالسلامة من جميع ما يكره
حتى قطعنا واد سبو بعد أن [illegible] بالطريق نحو [illegible]
بعد كل ساعة وشيئا قليلا وكان حلولنا بوسط سبو والساعة
12 ونصف على معبر الحجرة الشريفة ومحل نزولنا بعد الساعة
2 بدوار أولاد سليمان من بلاد شراقة في كرية عقبة وما أدراك
ما العقبة وبتنا عندهم في ليلة لم تزل فيها العين شوقا
من تهويل أصحابنا وتخويفهم ولم يأنسوا النعسة بعد المشقة
[illegible] بالليلة من هول تلك البيت في أهوال
[illegible] حتى [illegible] فيها ذو أهوال
وفي الساعة 6 ونصف ارتحلنا عنهم ولسان قلبنا يلعنهم وكلما
استوى بنا السير فلا صبر [illegible] عند الغير وانكشف
لنا [illegible]

بالله لا تمرر على — أولاد عيسى [illegible]
قوم كأنهم [illegible] — [illegible] كل [illegible]
كم [illegible] — قوم كرام [illegible]
مروا [illegible] — [illegible] عليهم [illegible]
سلبوا حتى [illegible] — [illegible]

وحيث كان المرور لا بد أن يكون عليهم
في الطريق سلكنا بطرفهم وتركنا قبيلتهم عن يميننا إلى أن دخلنا
بأرض مجاط ثم إلى الغرب ونزلنا بالمنزل على حرف واد
ورغة في الساعة 2 وبتنا ليلتنا في أمن وأمان [illegible]
وفي 6 ونصف ركبنا وسرنا [illegible] وكنا
وسطها في الساعة [illegible] غير قسمين وكان عبورنا عليها
في [illegible] من [illegible] وسرنا [illegible] في الغرب والله
ما أخصب [illegible] مررنا على [illegible] الزرع تعجب
لنا كثيرا [illegible] ومررنا على [illegible]
[illegible] إلى أن قطعنا واد [illegible] في الساعة 11 غير شيء
قليل وقصدنا محل النزول للمبيت [illegible] بدوار أولاد
[illegible] من أهل وزان وكان نزولنا في الساعة 12 وبتنا والحمد
لله ليلة [illegible] من كل ما يسوءنا [illegible] وفي الساعة 5 سافرنا عنهم
وقطعنا واد [illegible] في الساعة 7 ثم بعد [illegible] قطعنا [illegible]

نص الوثيقة بخط العلامة القاضي أحمد سكيرج

كذلك ان نسقط في محل ونبات [illegible] وشكر الله سعيهم وجزينا هناك
على كريب ذات علو وانحدار وذات بسط وانخفاض ونظرنا الى جبل
وزان عن يميننا في المسير ورأينا بالطريق اضرحة لبعض اهل التسديد
منها ضريح الولي الصالح سيدي عمر الحاج عن اليمين ايضا وفي الطريق حجرة
ينتسبونها لمولاي يعقوب وعند قريب ماء حار وفيه ملوحة
وزرناه كبريت وعن يسارنا بعيد ضريح الولي الصالح سيدي موسى الزراد
ثم سرنا بالسلامة الى ان قطعنا واد انطى ونزلنا بمشتى [illegible]
الخنيشيين وفي الساعة 5 ونصف رحلنا عنهم شاكرين لهم ما صنعوا وما صنعوا
نزلا جميلا كثر الله من امثالهم ووصلنا للماء البارد في الساعة 6 ونصف
وتراءى لنا القصر [illegible] في عقبانه ونسيم الازهار
يهب علينا من كل ناحية وسرنا كذلك الى ان قطعنا واد لكوس
وهو الواد الذي يعم القصر اذا فاض ومررنا على القصر وسرنا الى اولاد
حميد ونزلنا عندهم في الساعة 7 ونصف وبينهم وبين القصر نحو ساعة
وفي الساعة 5 صباحا رحلنا عنهم ولم نزد على ساعة زمانية حتى نزل بنا
الجمال في واد بوراد وورد قرب دار اولاد جلون فتلقينا بوعنان كلهم
مقيمين مخيمين واستحسنا فيه انهم استراحة وبتنا هناك ورأيت رؤيا
وتذاكرت فيها مع شيخنا بنيس الى ان قال لي قد ثبت عندي عن سيدنا
محمد الحبيب ولد الشيخ رضي الله عنه ان ولاية النبي افضل من نبوته
ونسيت تمام الرؤيا وهي تمامها انها رؤيا من افضل الرؤيات ثم رأيت
ايضا هناك رؤيا وهي انني اجتمعت مع السلطان وصرت اتذاكر
معه ورأيت بين يديه ميزانا فيه اشياء تعرض عليه ورأيت
ايضا مولاي ميزانا فسألني عنه واجبته ثم كلمته عند ان
ياذن لي في طبع بعض كتب [illegible] بعد ان قلت له انك يا سيدي قد حزت
جميع المطابع وحزت على الناس تبادئ في الطبع فقال لي قد اذنتك
في طبعها الا انه لا بد له تجعل فيها نصيبا ان كان الدورة هي
مثل هذا فيه اذا زاد وبلا نزد مه وفي صباح يوم الاثنين ارتحلنا
في الساعة 5 وسرنا نخترق الغرب كان تا... الى ... ومررنا
على عقبات ومطالع تنشب الكراضع وقطعنا وادي ورور
ثم بعده وادي المخازن ثم وادي عياشة وسرنا بالسلامة الى
ان نزلنا بالقصر الكبير قرب وادي الكشف وبتنا ليلتنا
في سلامة وفي صباح يوم الثلاثاء سرنا عنهم وقطعنا وادي الخشف
وظهر ومعولة تميلت فيه الشجر ثم بعده واد اخر ودخلنا طنجة
بعد الساعة الواحدة وتلقانا اخونا الاجر سيدي محمد صبحه
التدمل الترحيب والتاهيل ورأينا هنالك الكرسي وما فيها من
عجايب الكبلي بعد ان استحضنا ورأيت الشجر

تتمـة نـص الوثيقـة

إيقـاظ القرائـح لتقييـد السوانـــح

للعلامة الأديب الحاج أحمد سكيرج الخزرجي الأنصاري

رحمه ا ورضي عنه

تحقيق

ذ. محمد الراضي كنون الحسني الإدريسي

بسم ا الرحمن الرحيم وصلى ا على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم

إيقاظ القرائح لتقييد السوانح

أمـــا بعـــد حمد : فهذه فوائد وفرائد، يحق أن تكون دررا في وسط القلائد، أكتبها في هذه الأوراق، علـــى حسب ما سنح بالفكرة أو بمذاكرة الحذاق، جاعـــلا ذلك بموارد الإلهام، على تـــرتيب الأيام، من فاتح هذا العام، عام 1328 هـ رزقنـــا ا خيره، ووقانا شـــره وضيره، آمـــين وأنـــا وقتئذ مقيم بطنجة، سائلا من المولى أن يجعله من العمل المقبول، وأن لا يجعله عليـــنا حجـــة آمـــين، بجاه النبي الأمين، وصلى ا عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين. وكان دخول هذه السنة بيوم الخميس.

سوانح يوم الخميس فاتح عام 1328 هـ

13 يناير 1910 م

فمـــن ذلـــك ما تفاوضت فيه مع سيدنا ابن العم الفقيه الأجل، المهندس الأفضل، سيدي الزبير سكيرج [(1)]، وفقه ا ، فقال لي : إنني أمثل النساء كلهن على أن كل واحدة مجذوبة في صورة ســـالكة، ففـــي بعض الأوقات يعتريها ما يعتري المجذوب المطبق عليه، وفي بعضها سالكة، وفي بعضها بين بين، فينبغي للعاقل أن يعاملهن بما يعامل به المجاذيب في وقت جذبهن، وبما يعامل السالكين في وقت سلوكهم، ليريح ويستريح، فقلت له : ما أحسن هذا. وقد مثلهم شيخنا العلامـــة الرئيس في مذاكرة جرت بيننا بنوع غير النوع الآدمي، وإنما جعلهن ا تعالى على الصـــورة الإنسانية لطفا بنا ورحمة، لأن الإنسان لابد له مما يسكن إليه طبيعة، فكانت المرأة ســـكنا، فهـــي في الصورة إنسانة، وفي الباطن من نوع آخر عند من أراد أن يريح نفسه من جهتهن، فعلى العاقل أن يعاملهن بما يعامل النوع الذي لا يؤخذ وينتفع به إلا بالرفق واللين.

---

(1) الزبيـــر بن عبد الوهاب سكيرج مهندس رياضي فقيه أديب، ازداد بفاس عام 1270هـ، وهو ابن عم العلامة الحاج أحمـــد سكيرج. كان من جملة أعضاء البعثة الحسنية التي وجهت لأوروبا قصد دراسة العلوم العصرية فيها، فتلقى في انجلتـــرا علوم الرياضيات من حساب وجبر ومقابلة، وتلقى كذلك علم الهندسة والجغرافية وغير ذلك من العلوم الحديثة العهـــد وقتذاك، وبعد رجوعه للمغرب اشتغل في عدة مناصب هامة، وله رحمه ا تآليف في علم الهندسة سماه: تحفة الإخوان بتخطيط البلدان.
أخـــذ الطـــريقة الأحمديـــة التجانية عن العلامـــة الحاج أحمد سكيرج، وكـــان مواظبا على حضور ذكـــر الوظيفة بالزاوية التجانيـــة بحومة الغرســـة الكبيرة بتطوان. توفي بنفـــس المدينة بتاريخ يوم السبت 13 شوال عام 1351 هـــ - 9 فبرايـــر 1933 م، انظـــر ترجمته في رياض السلوان، للعلامة سكيرج 37- 39. وفي قدم الرسوخ، لنفس المؤلف ت 37. وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي 8: 3019 وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1:38.

ثم جرت مذاكرة بيني وبين سيدنا ابن العم في نحو هذا الموضوع ليلا فقال لي:

قد قلت لأخيك سيدي محمد[1] صباحا عند توديعي للأهل، وكان هذا اليوم سافر فيه أهله من طنجة لتطوان، بعدما أخذتني رقة الفراق، حتى لم أقدر على النظر إلى الزوجة في حالة الوداع، ولا قدرت هي أيضا على ذلك : إن صورة المرأة عندنا تارة تكون أضعف خلق ا إنسانا، فتأخذ الرجل عليها شفقة ورحمة وحنانة ورأفة، بحيث يتقطع قلبه من جهتها، وتارة يحصل له معها ما يظهر له أنها هي أعدى الأعادي، وأكبر قوى في الأمور، حتى يكاد أن يتفطر قلبه مما يرى منها، فعلى العاقل أن يعاملها في حالتيها بالرفق واللين.

سوانح يوم الجمعة 2 محرم 1328 هـ

14 يناير 1910 م

وفي يومنا هذا يوم الجمعة تذكرت عند هذا ما كان كثيرا ينشده بعض أشياخنا رحمه ا وهو :

إذا رأيت أمورا منها الفؤاد تفتت
فابحث عليها تجدها من النساء تأتت

---

[1] يعرف بين كافة أفراد أسرته بـ حماد. وهو أخ غير شقيق للعلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج. ولد بفاس بتاريخ شهر ربيع الأول عام 1292 هـ - 1875 م. وبها نشأ وتعلم. حيث تلقى دراسته على يد ثلة من مشاهير علماء القرويين. قبل أن ينتقل لمدينة طنجة عام 1319 هـ . وذلك باستدعاء من طرف ابن عمه المهندس الشهير سيدي الزبير سكيرج. فعمل بدار النيابة بطنجة مدة طويلة. كان حينها مواظبا على إلقاء سلسلة من الدروس العلمية بمساجد المدينة المذكورة. خصوصا منها بالزاوية التجانية والمسجد الأعظم.

ثم عهد له بعد ذلك بوظائف سامية. لا تسند عادة إلا لذوي الحنكة والتجربة من العلماء الكبار. وهو فقيه فاضل جليل. عميق الفهم. على درجة من الورع والتقوى والثبات على الحق. وقد عرف بالفضل وحسن الخلق. مع الأدب والتأنق بالمظهر. أضف إلى ذلك جمال طلعته. وحسن ملبسه. وطيب رائحته.

وكان كثير الملازمة للزاوية التجانية بمدينة طنجة. لا سيما عند ذكر الوظيفة بها بعد صلاة العصر. وهو من أكابر علماء هذه الطريقة بالمدينة المذكورة. كما كان كثير المواظبة على مطالعة تصانيفها الشهيرة. خصوصا منها كتاب جواهر المعاني وبلوغ الأماني. في فيض الشيخ سيدي أحمد التجاني. للعلامة العارف بربه سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي. وحول هذا الكتاب كان يقول رحمه ا : به بدأت السلوك وبه أنتهي.

وله اعتناء واسع بمجال التأليف. حيث تفوق كتبه ثمانين مؤلفا . منها كتابه الشهير : رياض البهجة في أخبار طنجة. وهو كتاب قيم. حافل بالفوائد والمعلومات العديمة النظير في غيره. يقع في سبعة أجزاء. توجد منه نسخة بالخزانة العامة بالرباط.

ومن كتبه أيضا: الدرر اللآلي. في ثبوت الشرف البقالي. طبع على الحجر بفاس عام 1337هـ - 1917م. وهو باكورة أعماله حسبما أظن. وقد أجاد فيه كثيرا. حيث رد على ادعاءات بعض من ينكر هذا النسب ويطعن في أهله. وكان رده كما هي عادته كافيا شافيا محكما .

و من باب الجزاء على هذا العمل المشكور أنه لما توفي رحمه ا . واحتار أهله ومحبوه في انتقاء بقعة لدفنه. بادر الشرفاء البقاليون إلى دفنه عندهم . داخل ضريح جدهم الولي الصالح سيدي محمد الحاج البقالي. الشهير بـ (بوعراقية).

وتذكـرت بـذلك قوله عليه السلام (استوصوا بالنساء خير، فإنهن عوار[1]) وهذا الحديث له احـتمالات في المعنى. فيحتمل من العارية، فالنساء إنما هن كالعواري عند الرجل، فينبغي له أن يحافظ على العارية. وإما من العور، فالمرأة عوراء لا تبصر العواقب، فينبغي للرجل الذي هو بصير بالأمور أن يأخذ بيدها ولا يدعها. وإما من العار بمعنى أن المرأة عار على الرجل أن يقاومهـا ويتطاول عليها، لأن ذلك يورثه العار، أو بمعنى أنها عورة من عورات الرجال، فينبغـي لـه أن يبالغ في ستر عورته معها برفق حتى لا تفضحه، وهذه المعاني، إن لم يكن التصريف يساعد بعضها في الجملة، فهي ظاهرة ، وقد تذكرت هنا بيتين لي في الاقتباس في هذا الموضوع وهما :

تواصـــوا بنسوتكـــم وكونـــوا رحيمـــا بهن

فهــــن لبـــاس لكم وأنتــــم لبـــاس لهن[2]

ولما صليت الجمعة بالجامع الكبير من طنجة، دخلت للبرج السعيد وجلست قبالة البحر، فسنح لي أن أقول فيه :

أنظر إلى البحـر ولون زرقته ومـــد جـزره وجـري مدتـه

فهو عجيـب في جميع خلقته كـــل امرئ يقـول عند رؤيته

سبحـــان من حبســـه بقدرتـه

سوانح يوم السبت 3 محرم 1328 هـ

15 يناير 1910 م

وفـي يومنا هذا وهو يوم السبت، سنح لي أن أذكر قاعدة في معرفة المد والجزر في كل يوم، وقد كان أفادني بها سيدنا العم حفظه ا :

فالمـد هو طلوع البحر وامتلاؤه، والجزر هو رجوعه وتقليصه، وذلك بقدرة ا حاصل بسير القمر، فإن أردت معرفته فاضرب الأيام الماضية من الشهر القمري في أس القمر، وهو أربعة أخمـاس، واقسـم الخارج على الأمام الذي هو الخمسة، فما خرج فهو سوائع، زد عليها درج العرض الذي أردت فيه معرفة ذلك يكون المجموع هو ساعة غاية المد صباحا، فإن زيد على السـوائع ستة سوائع كان المجموع غاية الجزر، هذا إن كان عدد الأيام أقل من خمسة عشر يوما، وإلا فخذ الزائد وافعل به ما تقدم، مثاله: عندنا في الشهر ثمانية أيام.

---

[1] هـناك تصحيف في هذا الحديث والصحيح هو قول النبي صلى ا عليه وسلم : استوصوا بالنساء خير فإنهن عوان عندكم. أنظر مسند الشهاب القضاعي 1: 401 (رقم 690)

[2] فيه اقتباس من قوله تعالى: هن لباس لكم وأنتم لباس لهن، سورة البقرة الآية 187

اضربها في أربعة يخرج لك 32. فاقسمها على خمسة $6 \frac{2}{5}$ ، فزد عليها عرض البلد سـوائع، وهـي بطنجة من $2 \frac{1}{3}$. فالجميع 8,11 هو غاية المد وهو المطلوب، فإن زدت عليه 6 كان غاية الجزر فاعرفها، وقد كنت نظمتها في قولي :

قاعـدة الجزر مع المد الذي   يكـون في البحار عند المأخذ
وذاك أن تضرب في أس القمر   من عربي ما دون خمسة عشر
والأس أربعـة أخمـاس على   أمامهـا اقسم خارجا مما جلا
وزد على الخارج قدر العرض من   سوائـع بها ترى المد زكن
والجـزر أن تزيـد في ذا سته   تعـرف من غايـة كل وقته

وقـد أخـذت عن هذه القاعدة قاعدة أخرى توصل لمعرفة ذلك، وهي أن تضرب ما معك من الشهر القمري في 12 درجا، وهذا القدر هو نفس أربعة أخماس التي هي أس القمر، ثم اجمع مع الخارج عرض البلد المطلوب فيه ذلك، واقسم الخارج على 15 وهي أمام الأربعة أخماس، وما خرج فهو سوائع عندها يكون غاية المد، فإن طرحت منها ست سوائع، أوزدتها تجد غاية الجزر، وقد نظمتها في قولي :

إن رمـت غايـة لمد البحر   فلتضرب الأس بماضي الشهر
إن كان دون خمسة عشر وما   زاد ففيـه العكس عند العلما
والأس بالتحقيق " يب " من درج   ولتجمع العرض مع الذي خرج
ولتقسـم الكل على " يه " وما   يكـون فهـو المد منه علما
و إن تـرد غاية جـزر فاطرحا   سـت سوائـع تجده اتضحا

ولما كتبت هذا تذكرت بيتين أنشدهما بعض العلماء لما رأى البحر ولم يركب فيه، بعدما كان ناويا الركوب فيه ونصهما :

لا أركـب البحـر أخشـى   علـي فيـه المعاطـب
طيـن أنـا وهـو ماء   والطيـن في الماء ذائب[1]

---

(1) البيتان للشاعر عبد الجبار بن أبي بكر المعروف بابن حمديس، وهما من بحر المجتث، أنظرهما في نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب 6: 52، وقريب من هذين البيتين قول بعض الشعراء

إن ابن آدم طين   والبحر ماء يذيبه
لولا الذي فيه يتلى   ما جاز عندي ركوبه

ومن ذلك أيضا قول الشاعر علي الحصري القيرواني لما أمره بعض الأمراء بالسفر بحرا على متن بعض السفن فقال

أمرتني بركوب البحر في عجل   غيري لك الفضل فاخصصه بذا الداء
ما أنت نوح فتنجيني سفينته   ولا المسيح أنا أمشي على الماء

سوانح يوم الأحد 4 محرم 1328 هـ

16 يناير 1910 م

وفـي يـوم الأحد قال لي سيدنا العم : مما يدل على أن الإنسان قد استثقل ضيفه، يعمل له ما يطـرده عنه به، وذلك أمران، فإذا فهم ذلك، وإلا عمل له ما يقول له به بلسان المقال يذهب، فأمـا الأولان فهما بلسان الحال، الأول منهما تعبيسة في وجهه، والثاني الإعتراض عليه كلما تكلم، ثم ذكر لي حكاية بعد ذلك عن بعضهم وهي : أن بعضهم أتاه ضيف وتلقاه بالطريق، فلم يقـبله فـي نفسه، فقال : لا بد أن أعمل له ما ينفره عني، فسار معه قاصدا البيت، ووجد في الطـريق عقـبة، فقال لضيفه : ما أسهل هذه العقبة، وكانت من أصعب العقبات، فقال له : يا أخي إنها صعبة، فقال له : أو تعترض علي þ وا لا ذهبت معي لداري، اذهب لحال سبيلك، فصار مبهوتا، ونكس رأسه، ومضى مع الطريق. [2]

سوانح يوم الإثنين 5 محرم 1328 هـ

17 يناير 1910 م

وفـي يـوم الإثنين قلت لبعض الأحبة في قولهم : من وجد خيرا فليحمد ا ، ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه. معناه أن من وجد في قلبه اطمئنانا وتسليما لمجاري الأحكام الإلاهية فـي حالة السراء والضراء فليحمد ا على ذلك، لأن هذه النعمة منه تعالى، ولا بد أن يحمد

ومن ذلك أيضا قول الشاعر ابن حمديس

أراك ركبت في الأهوال بحرا   عظيما ليس يؤمن من خطوبه
تسير فلكه شرقا وغربا   وتدفع من صباه إلى جنوبـه
وأصعب من ركوب البحر عندي   أمور ألجأتك إلى ركوبه

(2) جـاء فـي كـتاب العقـد الفريد عن حماد بن سلمة أنه كان إذا رأى من يستثقله قال: ربنا اكشف عنا العذاب إنا مومنون، ومن هذا النطاق قول بعض الشعراء:

أنت يا هذا ثقيل   وثقيل وثقيل
أنت في المنظر إنسا   ن وفي الميزان فيل

ومنه أيضا قول شاعر آخر:

وثقيل ما برحنا   نتمنى البعد عنه
راح عنا ففرحنا   جاءنا أثقل منه

ومنه أيضا قول الشاعر بشار العقيلي في ثقيل يكنى أبا عمران:

ربما يثقل الجليس وإن كا   ن خفيفا في كفة الميزان
ولقد قلت إذ أطل على القو   م ثقيل يربي على ثهلان
كيف لا تحمل الأمانة أرض   حملت فوقها أبا عمران

ومنه أيضا قول الشاعر:

إذا حل الثقيل بأرض قوم   فما للساكنين سوى الرحيل

عاقبتها في العاجل والآجل، ومن وجد غير ذلك من ضجره وقلقه، وعدم صبره فلا يلومن إلا نفسه، لأنه لابد أن يرى ما يكرهه في العاجل والآجل اهـ .

و ممـا سنح لي أن أذكره هنا ما أنشدنيه الشيخ محمد ابن سعد التلمساني في صباح هذا اليوم لنفسه:

يارب قد أسرفت فيما أشتهي تقة بأنك قائل لا تقنطوا[1]

ومما أنشدنيه لشيخه الشيخ القصبي شيخ جامع الأحمدي، لما رأى بعض أصحابه في ثيابه قملا :

قـم فافـل ناصيـة القـلا لا تخشـى قولهـم فـلا

فيـم الإقامـة بـالمعـرة لـو تكـون أبـا العـلا[2]

سوانح يوم الثلاثاء 6 محرم 1328 هـ

18 يناير 1910 م

وفي يومنا هذا وهو يوم الثلاثاء، سنح لي أن أكتب هنا قول القائل :

يا من تقاعد عن مكارم خلقه ليس التفاخر بالعلوم الظاهره

من لـم يهذب علمه أخلاقه لم ينتفع بعلومه في الآخره[3]

يشـير بـذلك إلـى أن العلم النافع هو الذي به تتهذب الأخلاق، لا بعلوم الظاهر من الأحكام المرسـومة فـي الأوراق، فإن كان لا يهذب خلقا، لا ينفع في الآخرة خلقا، وإن كان أشرف العلوم في الظاهر هو علوم الفقه كما قيل :

إذا مـا اعتز ذو علم بعلم فعلم الفقه أشرف في اعتزازي

فكم طيب يطيب ولا كمسك وكـم طير يطيـر و لا كباز

وقد افتخر بعضهم بعلم الكلام، لأنه هو عليه المدار في معرفة منزلة الأحكام، وحض عليه غيره فقال:

أيهـا المغتـدي لتطلب علما كل علـم عبـد لعلم الكلام

تطلب الفقه كي تصحح حكما ثم أغفلـت منـزل الأحكام[1]

---

[1] اقتباس من قوله تعالى: قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمه ا ، سورة الزمر الآية 53

[2] إشارة للشاعر العربي الشهير أبي العلاء المعري

[3] من هذا القبيل قول أمير الشعراء أحمد شوقي:

وإنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

ومنه أيضا قول الشاعر نفسه:

وإذا أصيب القوم في أخلاقهم فأقم عليهم مأتما وعويلا

ومنه أيضا قوله:

وليس بعامر بنيان قوم إذا أخلاقهم كانت خرابا

سوانح يوم الأربعاء 7 محرم 1328 هـ

19 يناير 1910 م

وفي يومنا هذا وهو يوم الأربعاء. اجتمعت صباحا مع الشيخ محمد بن سعد، فباسطني بكلام غالـبه مجون، وأنشدني لنفسه تخميس البيتين الأولين من القصيدة المشهورة. ونسبها هو لأبي مدين. وذكر لي أنه قالهما في حال شبابيته ونصه :

يا من لغير ا لولبه التوى　　　وفؤاده شوقا يحن إلى السوى

ولمثله غلطا يميل به الهوى　　　ا قل وذر الوجود وما حوى

إن كنت مرتادا بلوغ كمال

فاعرض عن المخلوق مهما شمته　　　يعطي ويمنحك الذي قد رمته

إذ ذاك غـي بالضـ ـ ـلال رزقته　　　فالكل دون ا إن حققتـ ـه

عـ ـدم على التفصيـل والإجمال[2]

صاحب هذا التخميس الشيخ بن سعد المذكور، رجل مغربي حاذق، متزي بزي أهل المشارق، تعتريه أحوال، في الأفعال والأقول، وذكر لي أنه لا يكفيه في اليوم من شرابه للخمر ريالان، مع أنه مسلم، وسألته لماذا يشربها ? فقال : لشغل فكري عن التفكر وقصد السلوان، عما يكابد من الأحزان، وله أحوال عجيبة، ومقالات غريبة، و مما أنشدني لغيره :

اترك الصوم والصلاة جميعا　　　إن في الصوم والصلاة فسادا

---

(1) يعـارض هذا قول العارف با الشيخ عبد الغني النابلسي، الذي أنشأ قصيدة في النهي عن تعاطي هذا العلم وذم كل من يخوض فيه، تقع هذه القصيدة في 35 بيتا، قال في مطلعها :

تـب إلى ا من علوم الكلام　　　وتطهـر وادخل إلى الإسلام

سلـم الدين للكـلام الذي قد　　　أنـزل ا فهـو خير كلام

هـو قرءاننـا المبين فآمن　　　بالـذي جاء فيـه باستسلام

واطلـب الفهم من إلاهك فيه　　　فعليـ ـه البيـ ـان للإفهام

ومن ذلك أيضا قول الشيخ ابن عربي الحاتمي من أبيات له :

فـإن علـم الكـلام جهـل　　　يرمـي بـه الحـال والمقام

مـا الدين إلا مـا قال ربـي　　　أو قالـ ـه السيـ ـد الإمـام

رسولـه المصطفـى المرجى　　　عليـه مـن ربـ ـه السـلام

(2) البيتان من مطلع قصيدة للشيخ أبي مدين الغوث، تقع في عشرة أبيات، قال في تتمتها :

واعلـم بأنـك والعوالـم كلها　　　لولاه في محو وفي اضمحلال

مـن لا وجود لذاته من ذاته　　　فوجوده لـ ـولاه عين محال

فالعارفـون فنوا ولما يشهدوا　　　شيئـا سـوى المتكبر المتعال

ورأوا سواه على الحقيقة هالكا　　　في الحال والماضي والإستقبال

فالمح بعقلك أو بطرفك هل ترى　　　شيئـا سـوى فعل من الأفعال

وانظر إلى علو الوجود وسفله　　　نظـرا تؤيـ ـده بالإستـ ـدلال

تجـد الجميع يشيـر نحو جلاله　　　بلسـان حـال أو لسـان مقال

هـو ممسك الأشياء من علو إلى　　　سفـل ومبدعهـا بغيـر مثال

فقلـت له : ما هذا أيها الشيخ ؟ فقال : الصوم في اللغة بيض النعام. والصلاة من الصالون، وهـو عـند الأمة النصرانية كنيستهم. ومن هذا القبيل : اعتنق الصبي، ولا تصل على النبي، فالصـبي : السـيف، والنبـي الأرض المحدودبـة إهـ . وهـذا الأمر وإن كان من قبيل الأغلـوطات، فإنه يذكر للمفاكهات، وبعضهم حرم ذكر مثل هذا على الإطلاق، وبعضهم قال بتحـريـم ذكـر ما هو من هـذا القبيل للعـوام، وبعضهـم جوزه، وعليه فقد تذكرت هنا قول بعضهم :

إن للاهـي إلاهـا فوقـه   يغفر الذنـب وإن شاء ستر

إن فـرعـون وهامان معا   والنبيئـن جميعـا في سقر

اللاهـي مـن اللهو، والواو في قوله (والنبيئين) للقسم. وتذكرت قول بعض الشيوخ، وكان حراثا يسوق ناقته و يقول :

إننـي شيـخ كبيـر   كافـرا بالله سيـري

أن تربـي والإلاهـي   رازق الطفـل الصغير

فكافر بمعنى حراث، ومنه قوله تعالى (أعجب الكفار نباته[1]) ومعنى قوله : أن تربي، أي تربي ولدك، والإله : هو رازق الطفل.

سوانح يوم الخميس 8 محرم 1328 هـ
20 يناير 1910 م

وفـي يـوم الخميس سنح لي أن أقيد رسالة لسيدنا العم الفقيه الوجيه، الأديب النزيه، عوض والدنا سيدي الزبير سكيرج رعاه الله ، ذاكرا فيها بعض ما أنتجته خدمته الصادقة ونصه :

بحمـد الله وكمـال نعمـته، وشامل يمنه ومنته، نذكر نبذة مختصرة من أهم أنواع التكاليف المخزنية السعيدة، الممنون بها علينا من قبل الجناب العالي، أدام الله مجده وعزه في سماء

المعالي، من أول ترشيحنا للخدمة الشريفة بعام 1291 هـ إلى تاريخه عام 1328 هـ . وقد خدمـنا الـوطن بحمد الله خدمة صدق وأمانة. وذلك على البيان الإجمالي. فقد نظمنا في سلك الخدمـة الشريفة من جملة التلامذة الخمسة عشر الذين رشحتهم حضرة مولانا الحسن المقدس للـتعلم بأوروبا [1]. وكنا إذ ذاك مع مجادة الفقيه النائب وقته سيدي محمد الجباص[2]، وتحت

---

[1] سورة الحديد الآية 20

[1] أنظر في هذا الصدد معلمة المغرب 4: 1275 – 1279 و 9: 2912 – 2915.

رئاسته. فأقمنا أولا بطنجة في تعلم مبادئ الحساب واللغة الأجنبية، ثم سافرنا صحبته لأنكلترا عام 1293 هـ . وأقمنا بها نحو أربع سنين، وعدنا لطنجة. ثم لحضرة سيدنا المقدس. ثم بسنة 1296 هـ توجهنا من جملة سفارة المغرب لمدريد. لعقد الشروط المشهورة مع النائب بركاش[3] رحمه ا . ثم في عام 1297هـ عينا لإعانة المهندس الإنكليزي الذي كان كلف ببناء أبراج طنجة. وتركيب المدافع الكبرى بها المجلوبة من انكلترة، ثم في عام 1299 هـ كلفنا من جانب الحضرة الشريفة بتركيب مكينات موازين ديوانات المراسي السعيدة الثمانية، وما تستحقه من الأبنية واللوازم، ومكثنا في أعمالها سنة كاملة. ثم خلال عام 1301هـ وردنا الأمر الشريف بتخصيصنا بالوقوف على إكمال بناء الأبراج بطنجة، حيث استغنى جانب المخزن الشريف عن المهندس الإنجليزي المشار له بالخديم، فأتممنا أبنيتها. وتركيب مدافعها ببرج باب المرسى، وأصلحنا دوران المدفعين ببرج دار البارود، حيث كان تركيبهما على يد المهندس المذكور غير تام، حسبما وقع إشهاد بذلك. قد حضره أمناء المرسى وعامل البلد ابن عبد الصادق الريفي وغيرهم، وكمل عمل ذلك بعام 1303 هـ . وبهذه السنة كلفنا بإعانة المهندس الألماني الذي كلفه المخزن وقتئذ ببناء البرج الكبير برباط الفتح. وفي يوم 1307 هـ توجهنا لألمانيا مع المهندس المذكور والأمين السيد الحاج محمد الزكاري[4] لشراء المدفعين المركبين الآن بالبرج المذكور، وتركنا العمل آخذا في إنشائهما، وعدنا للحضرة الشريفة، وبعد إتمامهما رجعنا ثانيا لألمانيا صحبة من ذكر، ومعنا بعض كبراء الطبجية[1]، ووقفنا جميعا على اختبارهما هناك، وصحبنا لجانب المخزن التعليمات الخاصة بذلك، وبعد ذلك كلف المخزن الشريف الخديم ببناء ديوانات القبض بالمراسي السعيدة الثمانية، وإنشاء ديوانتي التعشير والقبض على الساحل البحري بمرسى الصويرة، وتم ذلك كله على أحسن ما يرام بعام 1314 هـ . وفي عام 1315 هـ توجهنا ببابور المخزن الحسني لحراسة السواحل البحرية السوسية والصحراوية. والتطوف على جميع مراسيها، والإستطلاع على جميع أحوالها الطبيعية، وأخذ صورة كل مرسى هناك. مع تقييد يضمن شروح أحوالها جملة

---

(2) انظر التعريف به في ص

(3) محمد بن عبد الرحمان بركاش. النائب السلطاني بمدينة طنجة. قضى في هذا المنصب مدة تناهز 25 سنة. ولد بالرباط حولي سنة 1229 هـ - 1814 م. و به توفي بعد مرض عضال لم ينفع معه علاج في 3 محرم 1304 هـ - 2 أكتوبر 1886 م. ودفن بمقبرة العلو. أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب 8: 2768. معلمة المغرب 4 : 1175 - 1179.

(4) سيدي محمد (فتحا) الزكاري التطواني، فقيه، أديب، صوفي، باشا مدينة طنجة، قال في حقه العلامة سكيرج في مقدمة كتابه فتح الباري : العارف الذي ارتدى برداء الخمول، والغارف من بحر المعارف بين أهل الوصول، فعامل أهل الظاهر بظواهر الأمور، وأهل الباطن بغير الباطل من الظهور، ولكن بما يشفي الصدور، شيبة الحمد، الراقي في مراقي المجد، البدر الساري الرباني، أبو البركات سيدي الحاج محمد الزكاري التطواني، إلخ .... وكانت وفاته رحمه ا قرب فجر يوم الاثنين 17 ذي القعدة عام 1339 هـ .

(1) الطبجية . جمع طبجي. وهو يطلق على من كان يختص من الجند بالخدمة في سلاح المدفعية.

وتفصيلا، والكل بكناش خاص، ودفع للمخزن الشريف عند ختمه بعام 1317هـ . وفي خلال هـذه السـنين الماضية كنا مكلفين بالكرنيطينة بجزيرة الصويرة، مع الطبيب مسيو (رينو) الفرنسـي المعين بموافقة نواب الدول بطنجة. واستمر أمرنا كذلك إلى عام 1318هـ . وبعد ذلـك توجهـنا مـع الوزير السيد الحاج المهدي المنبهي[2] لأنكلترة في سفارته المشهورة لها ولألمانـيا، وفي رجوعنا توجهنا من جملة أعضاء الوفد المغربي مع النائب الفقيه السيد محمد الجباص للحدود الجزائرية، ورافقنا الوفد الفرنسي من الجزائر إلى فجيج، ثم للقنادسة، للوقوف علـى الحدود وعقد الأوفاق المعلومة عند الدولتين. وبعد رجوعنا بأواخر عام 1320هـ كلفنا بالتـرجمة الإنكليـزية، وبالكتابة بدار النيابة السعيد بطنجة، ثم بعده بتنظيم العسكر مع كبير الحـرابة الفرنسـي الكومندار (فورني) بطنجة أيضا، وكانت رتبتنا إذا ذاك هي النيابة عن وزيـر الحرب، وبقينا كذلك إلى عام تاريخه 1328 هـ . ولازالت مآثر تلك التكاليف ظاهرة للعـيـان، تامـة علـى أحسـن ما ينبغي ويـرام. وكل من خالطناه فيهـا و الحمد يشكر السـيـرة فـي ذلك، ويثني الثنـاء الجميل على مولانـا المقدس، حيث كـان الفضل لـه فـ ـي ترشـيحنا للخدمة الشريفة ابتداء وانتهاء، لا زالت شآبيب الرضوان تحف ضريحه الكريـم، وملائكة الرحمة تزور مقامه الفخيم. ونسأل المولى تعالى أن يرعى بعين رعايته، ويحـيط بسـور سـعادته وعنايـته، حضـرة نجله الرفيع الشان، إمام الهداة الأعيان، أمير المومنـين، وحفـيظ الملة والدين. مولانا المؤيد با ، أدام مجده وعلاه. وختم في سابع محرم الحرام فاتح عام 1328 هـ الزبير سكيرج لطف ا به اهـ .

ولا شـك أن هـذه النبذة إنما هي مختصرة أشد الإختصار من سيدنا العم، وإلا فإنه لو بسط القول في ذلك لاحتاج إلى أسفار، وغالبها لا زالت على حافظته، وإن فسح ا لنا المجال معه لابد أن نقيد ذلك في تويلف يكون من مآثره إن شاء ا تعالى.

سوانح يوم الجمعة 9 محرم 1328 هـ
21 يناير 1910 م

[2] المهـدي بن العـربي المنبهي، وزيـر الحربية في عهـد السلطان المولـى عبد العزيز، توفي بمدينة طنجة سنة 1358 هـ - 1939م. أنظر موسوعة أعلام المغرب 8 : 3070.

وفـي يوم الجمعة اجتمعت صباحا مع الشيخ ابن سعد، وجرت المذاكرة بيننا في أحوال الدهر وتقلـباته، وإساءته لأهل الأدب في حركاته وسكناته، وأنشدني أبياتا حصلت بينه وبين الشيخ محمد القصبي ابن شيخ الإسلام بطنطا مساجلة في ذلك نصها :

مـا لهذا الزمان بالشر مغري   يوقـع الشـر دائما في العباد

هل لثـأر لـه عليهم ولمـا   لم يجد فتنة سعى في الفساد[1]

فاللبيب اللبيب من يصـرف الغيـظ ويبقـى على قديم الوداد

وأنشدني أيضا :

ولقد سئمت من الحياة وذلها   لذوي المناصب من كبير أو صغير

ومن العجائب أن نذل مع الغنى   عنهم لأصغرهـم فنعم أخو الفقير

يرعـى غنيمـات له يكفينه   لا يستكيـن لميـرلاي[2] أو مشير[3]

وأنشدني لنفسه :

أنظـر إلـي بعيـن   بهـا تـراك العيـون

فمـن رأى النـاس دونا   فإنـه هـو دون

وقد أخذ معناهما من قول القائل قائلا وهو ألطف منهما:

ومن لم يرضني في العين كحلا   فلا أرضاه في الرجلين نعلا

وأنصف في أن هذا المفرد أحسن منهما. ومن فكاهته ما أنشدنيه لنفسه :

قالوا لي النيك الكثير مجرب   إن دام حقا في ضياع العافية

فأجبتهم إن الضياع محتم   فـإذا يكـون بلذة أولى ليه

وحين مفارقته أنشدني :

اكتب كما يلقى إليك وإن تقل   فكما سمعت فإنه لك أنجح

---

(1) يرد على هذين البيتين بقول الشاعر:

يقولون الزمان به فساد   وهم فسدوا وما فسد الزمان

أو بأبيات الإمام محمد بن ادريس الشافعي التي يقول فيها:

نعيب زماننا والعيـب فينا   وما لزماننـا عيب سوانا

ونهجو ذا الزمان بغير ذنب   ولو نطق الزمان لنا هجانا

(2) ميرلاي: رتبة عسكرية سامية

(3) مشير: رتبة عسكرية سامية

سوانح يوم عاشوراء

22 يناير 1910 م

وفي يوم عاشوراء المبارك استفدت فائدة من حاشية سيدي الطالب بن الحاج حين تعرض للكلام على الأمور التي تفعل في هذا اليوم، وهي وإن لم يصح من الأحاديث الواردة في ذلك إلا حديث التوسعة على العيال، وحديث الصوم، ثم ذكر الأمور العشرة التي تفعل في هذا اليوم مع زيادة أمرين. فأما حديث التوسعة فهو قوله عليه السلام: (من وسع على عياله يوم عاشوراء وسع ا عليه سائر سنته [1]). وأما حديث الصوم فهو قوله عليه السلام: (صوم يوم عاشوراء إني أحتسب على ا أن يكفر السنة التي قبله [2]) أقول: وهذا الحديث أرويه مسلسلا عن شيخنا قاضي الجماعة بفاس العلامة الجليل السيد حميد بناني[3] رحمه ا في يوم عاشوراء، وهو يرويه عن الشريف المشارك الرحالة أبي الحسن سيدي علي بن ظاهر الوتري المدني الحنفي في يوم عاشوراء، عن الشيخ أحمد منة ا المالكي الأزهري في يوم عاشوراء

بالمدينة المنورة عام زيارته. وهو يرويه عن العلامة الكبير في يوم عاشوراء، عن الشيخ علي الصعيدي المالكي في يوم عاشوراء، عن الشيخ محمد بن أحمد عقيلة المكي في يوم عاشوراء، عن أبي الأسرار الشيخ حسن العجيمي في يوم عاشوراء، عن البابلي، عن

---

(1) رواه الطبراني في المعجم الكبير 10: 77 (رقم 10007) مجمع الزوائد 3: 189. شعب الإيمان 3: 365 – 366 (رقم 3792) (3794) (3795). فيض القدير 6: 235. لسان الميزان 6: 307 (رقم 1098) العلل المتناهية 2: 552-553 (رقم 909) (910) ضعفاءالعقيلي 3: 252 (رقم 1253) الكامل في ضعفاء الرجال5: 211 (رقم 1364) كشف الخفاء 2: 374 (رقم 2642) نقد المنقول 1: 100 (رقم 141) المنار المنيف في الصحيح والضعيف 1: 111 (رقم 223) وعن هذا الحديث يقول الفقيه المالكي الشهير عبد المالك بن حبيب

لا تنس لا ينسك الرحمان عاشورا ... واذكره لازالت في الأخبار مذكورا
قال الرسول صلاة ا تشمله ... قولا وجدنا عليه الحق والنورا
من بات في ليل عاشوراء ذا سعة ... يكن بعيشته في الحول محبورا
فارغب فديتك فيما فيه رغبنا ... خير الورى كلهم حيا ومقبورا

ذكره الحافظ السيوطي في كتابه الإزدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار

(2) رواه أبو داود في سننه 2: 321 (رقم 2425) المسند المستخرج على صحيح الامام مسلم 3: 202 (رقم 2544) تحفة الأحوذي 3: 379 . المغني 3: 57. وعن هذا الحديث يقول بعض الفقهاء

صيام عاشوراء أتى ندبه ... في سنة محكمة قاضية
قال النبي المصطفى إنه ... يكفر ذنب السنة الماضية
ومن يوسع يومه لم يزل ... من عامه في عيشة راضية

(3) سيدي حميد بن محمد بن عبد السلام بن عبد الوهاب بن محمد (فتحا) البناني، قاضي الجماعة بحضرة فاس، تلقى العلم عن جماعة من الجهابذة الأعلام، منهم الفقيه سيدي بدر الدين الحمومي، وسيدي الوليد العراقي، وسيدي عبد السلام بو غالب، وسيدي محمد بن عبد الرحمان الفيلالي، وسيدي محمد بن أحمد السنوسي، وسيدي أحمد بناني كلا، وغيرهم. وهو من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية، أجازه فيها العلامة الخطيب سيدي علال الفاسي، عن البركة سيدي بوعزة برادة، وكانت وفاته رحمه ا في ضحوة يوم الخميس 11 صفر الخير عام 1327 هـ، وصلي عليه بعد صلاة العصر بالقرويين، ودفن بالزاوية الصقلية داخل باب اعجيسة، أسفل ضريح العلامة القاضي مولاي محمد (فتحا) العلوي، بفاصل قبر واحد مما يلي الحائط، وكان لجنازته احتفال باهر حضره الجم الغفير من الناس.
أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 21، وفي فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 72، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس العلامة ج 7. وفي الأعلام للزركلي ج 1ص 249 وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 346 رقم الترجمة 146.

السـنهوري عـن الغيطي، عن أمين الدين محمد بن الجود بن النجار إمام جامع الغمري، عن فخر الدين محمد السيوطي في يوم عاشوراء بقراءة عثمان الديمي، عن أبي الفرج بن الشيخة فـي يـوم عاشوراء، عن أبي الحسن علي بن اسماعيل بن قريش في يوم عاشوراء، عن عبد العظـيم المـنذري، عـن أبـي حفـص عمر بن طبرزذ، عن أبي بكر محمد بن عبد الباقي الأنصـاري قال : أخبرنا أبو محمد الحسن بن علي الجوهري، قال : أخبرنا أبو الحسن علي بن محمد بن أحمد بن كيسان، قال : أخبرنا يوسف بن يعقوب القاضي، قال أخبرنا أبو الربيع قال : أخبرنا حماد بن زيد، عن غيلان بن جرير، عن عبد ا بن معبد الزماني- بالميم- عن أبـي قـتادة، أن النبـي صلى ا عليه وسلم قال : صيام يوم عاشوراء إني أحتسب على ا عـزوجل أن يكفـر السـنة التي قبله[1] رواه مسلم. وقال كل واحد من الرواة سمعته في يوم عاشوراء، وأنا أيضا سمعته يوم عاشوراء عن شيخنا المذكور.

سوانح يوم الأحد 11 محرم 1328 هـ
23 يناير 1910 م

وفي يوم الأحد اجتمعت بالشيخ ابن سعد صباحا، وأنشدني لغزا ونسبه لابن غازي وهو :

وميت قبر طعمه عند رأسه إذا ذاق مـن ذك الطعام تكلما
يقوم فيمشي صامتا متكلما ويأوي إلى القبر الذي منه قوما
فلا هو حي يستحق زيارة ولا هـو ميت يستحـق ترحما

وقد أجابه عنه جده العلامة الفاضل السيد أحمد بن محمد بن الحاج بقوله :

هو القلم القبر الـدواة وطعمه مـــداد كلامه الكتابة فافهما
وقائـل هـذا أحمد بن محمد وقاه إله العرش ما كان أجرما

(1) صحيـح الإمام مسلـم 2: 818 (رقم 1162) سنن أبي داود 2: 321 (رقم 2425) سنن ابن ماجه 1: 553 (رقم 1738) الترغيب والترهيب 2: 68 (رقم 1516) 2: 70 (رقم 1530) تحفة الأحوذي 3: 379 (رقم 48) فيض القدير 4: 230. المسند المستخرج على صحيح الإمام مسلم 3: 202 (رقم 2544).

ثـم اجتمعت به بعد الزوال، فذكر لي أنه رأى شادنا يسحر الألباب بحسنه، فسأله عن اسمه، فوجد اسمه اسم من قال فيه ابن نباتة[1] وكأن البيتين لم يستعملا إلا فيه وهما :

ا أكبـــر يــا محمد   نبــت العذار وتــم أسود
فلنــا الهنا فيمــا مضى   ولــك العــزا فيمــا تجــدد[2]

ثـم اجتمعت بالشاب الظريف، الأديب العفيف، من يحب الإفادة والإستفادة، وخلق التواضع له عـادة، الطالب النجيب، سيدي عبد ا الهاشمي الوزاني أصلا، الطنجاوي[3] قرارا، وهو من جهـة أمه من أحفاد الشيخ الرهوني رحمـه ا ، وخرجت معه في العيشة لطرف البحر من جهة البلايا، فأنشدني لنفسه لما رأى ما رأى، ذاكرا أنه استعملهما فيه قبل هذا اليوم قائلا: إنه لا يعرف من لغتهم غير لفظتين وهما:

وظبي جاء من بلاد النصارى   يحاكـي البدر بالوجه النفيس
سألت الوصل منه فقال نونو   فقلت ارع الوداد فقال سي سي

فاللفظـة الأولى وهي (نو) بمعنى: لا، وكررها للتأكيد، كما أكد لفظة (سي) بمعنى: نعم أو أيه. وأنشدني لنفسه أيضا وهو حسن لو تم حسنه من جهة القافية:

وشـــادن قبلتــه   فــاق المهــا في حسنــه
فقلــت إذ قبلتـــه   يــا ليتهــا فــي أمــه

---

(1) محمـد بن محمد الجذامي الفارقي، المعروف بابن نباتة المصري. شاعر كاتب. من مواليد القاهرة سنة 686 هـ . لـه مـؤلفات عديـدة منها : ديوان شعر. وسراح العيون في شرح رسالة ابن زيدون. والمختار من شعر ابن الرومي. وفرائد السلوك في مصايد الملوك. وغيرها.
توفـي بالقاهـرة سنة 768 هـ . أنظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 11: 95. البداية والنهاية لابن كثير 14 : 322. الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 4: 216. الأعلام للزركلي 7: 38. معجم المؤلفين 13 : 282.

(2) البيـتان للشـاعر بهـاء الدين زهير بن محمد المهلبي العتكي. وبينهما بيت ثالث لم يذكره العلامة سكيرج. ونص الجميع :

ا أكبر يا محمد   نبت العذار وتم أسود
ذهبت محاسنك التي   كانت يقام لهـا ويقعد
فلك العزا فيما مضى   ولنا الهنـا فيما تجدد

(3) عبد ا بن الهاشمي الوزاني. أديب بارع. من مواليد مدينة طنجة عام 1305هـ - 1888 م. وبها نشأ وتعلم. فنبغ في العلوم الأدبية أيما نبوغ. له ديوان شعر لطيف سماه : ثمرات الأفكار فيما قلته من الأشعار. قال عنه العلامة سكيرج فـي كتابه رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان: ومن لطائفه أنني أطلعته على نسخة من دلائل الخيرات بخط الشـيخ التجاني رضي ا عنه. وكان بمحضره بعض السادات طلب مني دليلا على منع الرقص في الطريقة التجانية. فقال مخاطبا له :

يا طالب الدليل من سكيرج   على امتناع الرقص للإنسان
سلم له فعنـده دليل   بخط شيخه الولـي التجاني

ومن شعره أيضا قوله مشيرا إلى ما في النظام الدولي لمدينة طنجة (من حق المندوب في نفي من يشغب عليه)

إن رمت بعدما أتى المندوب أن   لا تصبحن طنجة منك خاويه
فـلا تقـــل له إذا أمــر لا   فإن لا عنـد النحـاة نافيه

توفي عام 1362 هـ - 1943م. أنظر ترجمته في مواكب النصر وكواكب العصر للعلامة محمد بن عبد الصمد كنون 108- 114. رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج 84.

وأنشدني أيضا لنفسه:

قالـوا حبيبك محجوب فقلت له أخبار صـدق فلا هوس ولا كذب

كأنـه في سماء المجد بدر دجى والبدر عند طلوع الشمس يحتجب

سوانح يوم الإثنين 12 محرم 1328 هـ
24 يناير 1910 م

وفـي يـوم الإثنين سنح لي أن أقيد معنى لطيفا لقوله عليه السلام (التمسوا الخير من حسان الوجوه[1]) وهو أن الوجه الحسن هو الطريق الموصلة إلى نيل ذلك المطلب، كأنها أمر بطلب الأشـياء في إبانها، والدخول عليها من أبوابها، وعلى معناه المعروف تذكرت قول من اقتبسه في قوله :

إذا الحاجات عزت فاطلبوها إلى من وجهه حسن جميل[2]

سوانح يوم الثلاثاء 13 محرم 1328 هـ
25 يناير 1910 م

وفي يوم الثلاثاء ذهبت إلى الحمام، ولما خرجت منه سنح لي أن أقيد ما قاله بعضهم:

جسمي على البرد ليس يقوى ولا لشـيء من الحراره

فكيـف يقـوى على جحيـم وقودها النـاس والحجاره[1]

---

(1) رواه الطبراني في المعجـم الكبيـر 22: 396 (رقـم 983) مجمـع الزوائـد 8: 195. كشـف الخفاء 1: 52 (رقم 394) 1: 201 -202 (رقم 527) الإصابة 7: 107 (رقم 9831)

ومما جاء في هذا الحديث قول بعض الشعراء لدى دخوله على أحد الولاة :

حسـن ظنـي إليك أصلحـك اللـه دعاني فلا عدمت الصلاحا

قـد دعانـي إليك قـول رسول اللـه إذ قال مفصحا إفصاحا

إن أردتم حوائجا من وجوه فتنقوا لها الوجوه الصباحا

فلعمـري لقد تنقيت وجها ما به خاب من أراد النجاحا

ذكره الحافظ السيوطي في كتابه الإزدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار.

(2) لم أقف على قائل هذا البيت. وقد ذكره العلامة السيوطي في كتابه الإزدهار فيما عقده الشعراء من الأحاديث والآثار مقدما له بيتا آخر. ونص الجميع :

لقـد قال الرسـول مقال صدق وخيـر القول مـا قال الرسول

إذا الحاجـات تبدو فاطلبوها إلى مـن وجهـه حسـن جميل

ومن ذلك أيضا قول بعض الشعراء في مدح النبي صلى ا عليه وسلم :

سيـدي أنت أحسن الناس وجها كـن شفيعي في يـوم هول كريه

قـد روى صحبك الكرام حديثا اطلبوا الخير من حسـان الوجوه

(1) من هذا القبيل أيضا قول الشيخ حمدون بن الحاج السلمي. من مخلع البسيط:

يا موقدا بالذنوب ناره وما محى بالمتاب عاره

أما وقتك الذنوب نار وقودها الناس والحجاره

ومنه أيضا قول الشاعر عبد الباقي بن سليمان العمري الفاروقي:

وقول ابن الرومي فيه:

وما أشبه الحما م بالقبر لامرئ   تذكـر لكـن أين من يتذكر

تجرد عن مال وأهل وصاحب   ويصحبه من كل ذلك مئزر[2]

وقول بعضهم يحذر من دخوله بلا مئزر:

أقول وفي قولي بلاغ وحكمة   وما قلت قولا جئت فيه بمفتري

ألا يا عبـاد ا خافوا إلاهكم   ولا تدخلـوا الحمـام إلا بمئزر

قـيل إن هـذين البيتين أنشدهما أبو حنيفة رضي ا عنه، وذلك أنه دخل يوما الحمام فغمض عينـيه وجعل من يقوده، فقال له بعضهم: متى عمي أبو حنيفة þ فقال له: مذ هتك ا سترك، وبادر بالخروج من الحمام وهو ينشدهما.

سوانح يوم الأربعاء 14 محرم 1328 هـ
26 يناير 1910 م

وفـي الأربعـاء سـنح لي أن أقيد ما حدثني به شيخنا العلامة السيد بوبكر بناني[3] أنه يقال: مكتوب على باب بغداد آية شريفة، وحديث كريم، وبيت شعري. فالآية قوله تعالى ما يفتح ا للـناس من رحمة فلا ممسك لها[4] الآية. والحديث قوله عليه السلام ما قدر لك يأتيك على ضعفك، وما لم يقدر لك فلا يأتيك على قوتك، وبيت الشعر هو الأول من هذين البيتين :

من حـط ثقل أموره   في بـاب مالكه استراحا

إن السلامــة كلها   حصلت لمن ألقى السلاحا

ثـم اجتمعت بيـن العشائين مع أخينا في ا الفقيه الأديـب سيدي الحـاج أحمد جسوس[1]، وتفـاوض معـي في أمر خروجي من دار النيابة، فأنشدت له بيت شعر حفظته يوم الخروج وهو :

مديح آل النبي عندي   خير من اللهو والتجاره

أنجو به من عذاب نار   وقودها الناس والحجاره

(2) البيتان للشاعر عمر بن مظفر. المعروف بابن الوردي. وهما من بحر الطويل.

(3) الفقـيه العلامة الجليل سيدي أبو بكر بن العربي بناني، من جهابذة فقهاء فاس، تولى القضاء بمدن مختلفة كمراكش والصـويرة والجديـدة والدار البيضاء، توفي زوال يوم الثلاثاء 12 جمادى الأولى عام 1330 هـ، بعد أن لازمه داء الـبطن مـدة لـم يبرح فيها عن الفراش، ودفن بضريح سيدي بن يحيى الشاوي بفاس، وهو من أساتذة العلامة سكيرج ومجيـزيه، وتاريخ إجازته له في فاتح جمادى الأولى من السنة المذكورة، أي قبل وفاته بأسبوعين، وكان ذلك بالزاوية الأحمدية التجانية بفاس، أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 50. وفي إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 8: 2867 وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 42

(4) سورة فاطر، الآية 2.

الرزق يخطيء باب عاقل قومه ويبيت بوابا بباب الأحمق[2]

فأنشدني هو من أبيات الإمام الشافعي رضي ا عنه :

لو كان بالحيل الغنى لوجدت لي بحبال أسباب السماء تعلقي[3]

ثم استدعاني للذهاب عنده في هذه الليلة بقصد المسامرة، فذهبت عنده فأنشدني من بنات أفكاره مـا يجـري مجـرى الـراح، وترقص به الأرواح في الأشباح، وكتبت منه تخميسه للبيتين المشهورين في شعبان[4] نص الأول:

نديمـي والمحاسن فيك جلت فديتـك هاتها بك قد تحلت

وقل لأخي الهوى إذ ما تجلت إذا العشرون من شعبان ولت

فواصـل شرب ليلـك بالنهار

ودع عنـك التخلق بالوقار وذهـب من كؤوسك بالعقار

وإن أدى لـذل أو صغـار ولا تشـرب بأقـداح صغار

فقـد ضاق الزمـان على الصغار

---

(1) أبو العباس أحمد بن قاسم جسوس، فقيه، أديب، محدث، من أعلام الطريقة الأحمدية التجانية بالرباط، أخذ العلم عن جماعة من الشيوخ الأفاضل، في مقدمتهم العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وشيخ الجماعة بالرباط العلامـة أبو إسحاق إبراهيم التادلي، والفقيه أبو حفص الحاج عمر عاشور، وأخذ بمدينة فاس عن العلامة سيدي أحمد بنانـي كـلا، والعلامة سيدي محمد بن المدني كنون، وسيدي محمد بن عبد الواحد بن سودة، وسيدي محمد (فتحا) بن قاسم القادري، وغيرهم، ومن مصنفاته رحمه ا : تعليق على موطأ مالك، والإغراء بمسائل الإستبراء، وزهر الخمائل من دوحة الشمائل، وجلاء الغين عن قرة العين، وهي حاشية على شرح الحطاب لورقات إمام الحرمين، وعقرب تحت طوبة، وهو تقييد في مسألة فرضه، ومنسك، وفهرسة جمع فيها تراجم من لقيهم في سفره للمشرق، وغير ذلك.
وكـان العلامـة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح يسميه بعروس العلماء، وكان مهما دخل عليه قال له : مـرحبا بعروس العلماء، ويفسح له، وذات يوم جعل ينظر ويمعن فيه كثيرا، والعلامة أحمد جسوس مطرق ببصره إلى الأرض، وأخيرا رفع إليه رأسه، فقال له الولي المذكور: السلحفاة لا تؤثر إلا بالنظر، وحتى بيضها لا يفقس إلا بالنظر إليه، وإنما أريد أن أهذبك بالنظر. وله رحمه ا ديوان مليء بالقصائد النبوية الشريفة، منها قوله في مطلع إحداها:

لطيبة فاركب ناقة الشوق أو طرفا وغض عن الأحباب كلهم الطرفا

وله في نفس الموضوع قصيدة طائية بديعة قال في مطلعها :

خليلي هذا البين في الخد قد خطا خطوط دموع تشبه الخد والشرطا

جفاني به نومي وعيل تصبري وساورني هم كما الحية الرقطـا

وكانـت وفاتـه رحمه ا في 13 ذي القعدة الحرام عام 1331 هـ ، عن 61 سنة، ودفن بالزاوية الناصرية بالرباط، أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح، وفي فتح الملك العلام للفقـيه الحجوجـي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 149، وفي أعلام الفكر المعاصر لعبد ا الجراري ج 2 ص 39، وفي الإغتباط لبوجندار ص 62، وفي الأعلام بمن حل مراكش لابن إبراهيم ج 2 ص 281 – 289، وفي الأعلام للزركلي ج 1 ص 199. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 402

(2) أنظره في المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي 1: 78

(3) هو البيت الثالث من أبيات ثمانية للإمام الشافعي قال في مطلعها :

فإذا سمعت بأن مجدودا حوى عودا فأثمر فـي يديه فصدق

وإذا سمعت بأن محروما أتى مـاء ليشربـه فغاض فحقق

(4) هما للشاعر العربي الشهير أبي نواس ونصهما

إذا العشرون من شعبان ولت فواصـل شرب ليلك بالنهار

ولا تشـرب بأقـداح صغار فقد ضاق الزمان على الصغار

والتخميس الثاني هو قوله :

حبيبـ ـي عاطنـ ـي كأسا تحلت		نضـ ـارا في لجين قد تجلت
وقل لأخي الهوى إذ ما استقلت		إذا العشرون من شعبان ولت
فواصـ ـل شرب ليلـ ـك بالنهار
وداو همـ ـوم قلبـ ـك بالعقـ ـار		وأنفـ ـق كل نقـ ـدك والعقار
ولا تجـ ـزع لذل أو صغـ ـار		ولا تشـ ـرب بأقـ ـداح صغار
فقـ ـد ضاق الزمـ ـان على الصغار

سوانح يوم الخميس 15 محرم 1328 هـ
27 يناير 1910 م

وفـ ـي يومـ ـنا هـ ـذا وهو يوم الخميس رأيت في حاشية العلامة الأمير اللقاني في التوحيد قول العارف با سيدي علي وفا[1] في خطابه للحضرة :

ظهـ ـرت في سائر اللطائف		تدعوا البرايا إلى التصابي
فالبعض يهواك عن حجاب		والبعـ ـض يهوى بلا حجاب

فتذكرت قول القائل :

لقد ظهرت فما تخفى على أحد		إلا على أكمه لا يعرف القمرا
كما بطنت بما أسدلت من حجب		وكيف يدرك من بالعزة استترا[2]

---

[1] علـ ـي بن محمد بن وفا، من أكابر أعلام الصوفية بمصر، ولد بالقاهرة عام 759 هـ ، وبها توفي عام 807 هـ، مـ ـن مصنفاته : الباعث على الخلاص في أحوال الخواص، والكوثر المترع من الأبحر الأربع، ومفاتيح الخزائن العلية، وغيرها. أنظر ترجمته في الطبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 22 رقم الترجمة 315، وفي الضوء اللامع للسخاوي ج 6 ص 21، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 142، وفي الأعلام للزركلي ج 5 ص 7.

[2] أنظـ ـره في نفح الطيب، من غصن الأندلس الرطيب، للمقري 5: 300. وفي كتاب خزانة الأدب، ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي 2: 26

ورأيت فيها قول القطب الأعظم سيدي محمد وفا[1] رضي ا عنه :

سبرت العلم تفصيلا وجمله وطفـت الكون بالتحقيق كله

فمـا ألفيت غيـر ا شيئا تجلـى دون معلـول وعله

وهذا القول في التحقيق أصل وأقوال الورى من بعد فضله

سوانح يوم الجمعة 16 محرم 1328 هـ

28 يناير 1910 م

وفـي يوم الجمعة سمعت سيدنا الأخ ينشد بيتين في معنى بيتي سيدي عبد ا الهاشمي المتقدم الذكـر، وكانا مرا على أذني قبل ذلك، وكثيرا ما تذكرتهما حتى أنشدهما الأخ حفظه ا على تغيير يسير، فتذكرتهما وهما:

وشادن من بني النصارى من فوق عينيه خط نون

قلت أنا العبد قال سي سي فقلـت صلني فقال نونو

وسـنح لي أن أقيد هنا لأجل الحفظ قول أبي القاسم بن عساكر الدمشقي الشافعي[2] رحمه ا في الحظ على جمع الحديث وحفظه على السنن القديم والحديث، وذلك قوله:

واظـب على جمع الحديث وكتبه واجهـد على تحصيله من كتبه

واسمعـه من أربابـه تعلو كما سمعوه مـن أشياخهـم تسعد به

واعرف ثقات رواته من غيرهم ممـن تميـز صدقـه من كذبه

فهـو المفسـر للكتـاب وإنما نطـق النبـي لنا به عن ربه

وتفهـم الأخبـار تعرف حلـه مـن حرمـة مع فرضه من ندبه

فهـو المبيـن للعبـاد بشرحه سير النبي المصطفـى مع حزبه

وتتبـع العالـي الصحيـح فإنه قرب إلى الرحمان تحضى بقربه

---

(1) محمـد وفـا بـن محمد بن محمد، من أكابر أعلام الصوفية بمصر، أصله من بلاد المغرب، له عدة مصنفات في التصـوف مـنها : نفـائس العرفان من أنفاس الرحمان، وشعائر العرفان في ألواح الكتمان، والأزل، والمقامات السنية المخصـوص بها السادة الصوفية، والعروش، والصور، وغيرهم. وكانت وفاته رحمه ا عام 765 هـ، أنظر ترجمته فـي الطـبقات الكبرى للشعراني ج 2 ص 21 رقم الترجمة 314، وفي الخطط التوفيقية لمبارك ج 5 ص 141، وفي الـدرر الكامـنة لابـن حجر العسقلاني ج 4 ص 279، وفي شذرات الذهب لابن العماد ج 6 ص 206، وفي الأعلام للزركلي ج 7 ص 37.

(2) علـي بن الحسن ابن عساكر الدمشقي. مؤرخ محدث. ولد بدمشق سنة 499 هـ. وبها كانت وفاته سنة 571 هـ. مـن مـؤلفاته: تـاريخ دمشـق الكبير. ويعرف بتاريخ ابن عساكر. إختصره الشيخ عبد القادر بدران بحذف الأسانيد والمكررات. وسمى المختصر: تهذيب تاريخ ابن عساكر، يقع في سبعة أجزاء.

وله كتب كثيرة آخرى في الفقه والحديث والعقيدة. توفي سنة 591 هـ. انظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان 1 : 335. البداية و النهاية لابن كثير 12: 294 . الأعلام للزركلي 4: 274. طبقات الشافعية 4: 273.

وتجنـب التصحيـف فيه فربما | أدى إلـى تكذيبـه بـل قلبه
واتـرك مقالة مـن لحاك بجهله | عـن كتبـه أو لذعـة في قلبه
فكفـى المحدث رفعة أن يرتضى | ويعـد مـن أهل الحديث وحزبه

سوانح يوم السبت 17 محرم 1328 هـ

29 يناير 1910 م

وفي يوم السبت اجتمعت مع ابن سعد، وانشدني لغزا استعمله في محبوبته وإسمها زكية وهو قوله:

لا تلمني ياعذولي إن من | سل قلبي قد سبى أهل النهى
كل نفس أهل ودي ترتجي | أن يكـون اسم حبيبي نعتها

سوانح يوم الأحد 18 محرم 1328 هـ

30 يناير 1910 م

وفـي يومنا هذا وهو يوم الأحد رأيت بيتين كنت أحفظهما في بعض الكتب و فيهما تصحيف، فسنح لي أن أكتبهما هنا بلا تصحيف وهما :

عليـك بالصـدق ولـو أنه | أحرقك الصدق بنار الوعيد
وأبغ رضى ا فأغبى الورى | من أسخط ا وأرضى العبيد[1]

ورأيت في كتاب تحفة المجالس للسيوطي رحمه ا بيتين كنت أحفظ ثانيهما وهما :

يعد رفيع القوم من كان عاقلا | وإن لم يكن في قومه بحسيب
إذا حل أرضا عاش فيها بعقله | ومـا عاقـل في بلدة بغريب[2]

---

(1) أنظره في المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي 2: 14

(2) أنظره في نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري 2: 355. وفي معجم السفر، لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي 1: 254. وفي جمهرة خطب العرب لأحمد زكي صفوت 3: 211، و نسبهما فيه لأبي العتاهية. ومن هذا القبيل قول الشاعر ابراهيم بن حسان

يزين الفتى في الناس صحة عقله | وإن كان محضورا عليه مكاسبه
يشين الفتى في الناس قلة عقله | وإن كرمـت أعراقـه ومناسبه
يعيش الفتى بالعقل في الناس إنه | على العقل يجري علمه وتجاربه
وأفضـل قسـم ا للمرء عقله | فليس من الأشياء شيء يقاربه
إذا أكمـل الرحمـان للمرء عقله | فقـد كملـت أخلاقـه ومآربه

ورأيت فيها أبياتا أحفظها، ذكرها في قصة الغلام مع هشام بن عبد الملك. فسنح لي أن أقيدها هنا وهي :

أنبئت أن الباز[1] علق مرة   عصفور بر ساقه المقدور
فتكلم العصفـور في أظفاره   والباز منقض عليه يطير
ما في ما يغني لغيرك شبعة   ولئـن أكلت فإنني لحقير
فتبسـم الباز المدل بنفسه   عجبـا وأفلت ذلك العصفور

ونص القصة : قيل : بينما هشام بن عبد الملك ذات يوم في منتزه إذ نظر إلى ظبي تتبعه الكلاب، وأحالـته الكلاب إلى صبي أعرابي يرعى غنما له. فقال له هشام : يا أعرابي دونك هذا الظبي فأتنـي بـه، قال : فرفع الأعرابي طرفه إليه وقال له : يا جاهل بقدر الأخيار، لقد نظـرت إلي باستصـغار، وكلمتنـي باحتقار، فكلامك كلام جبار، وفعلك فعل حمار، فقال له هشام : ويحك ما تعرفنـيþ قـال : عرفني بك سوء أدبك، إذ بدأتني بكلامك قبل سلامك، فقال : ويلك أنا هشام بن عـبد الملك، فقال الأعرابي : لا قرب ا دارك، ولاحيا مزارك، ما أكثر كلامك، وأقل إكرامك، قـال : فمـا استتم كلامه حتى أحدقت به الخيل والجيوش من كل جانب. وكل منهم يقول: السلام عليك يا أمير المومنين. قال هشام : اقصروا عن الكلام، واحتفظوا بالغلام، فقبضوا عليه، ورجع هشـام إلـى قصـره، وجلس في مجلسه فقال : علي بالغلام الأعرابي. فأتي به، فلما رأى كثرة الغلمان والحجاب، والوزراء والكتاب، وأبناء الدولة لم يكثرث الغلام منهم، ولم يسأل عنهم، وحين أقـبل الغـلام أولا جعل ذقنه في صدره لينظر حيث يقع قدماه، إلى أن وصل هشام، فتوقف بين يديه، ونكس رأسه إلى الأرض وسكت عن الكلام، فقال بعض الخدم: يا كلب العرب، ما منعك أن لا تسلم على أمير المومنينþ فالتفت إليه الصبي مغضبا وقال : يا بردعة الحمار. منعني من ذلك طـول الطـريق، ونهر الدرجة والتعويق. فقال هشام وقد تزايد ما به من الغضب : يا صبي لقد حضرت في يوم حضر فيه أجلك، وخاب فيه أملك، وانصرم فيه عمرك، وضاق فيه أمرك، فقال الصـبي : وا يـا هشـام، لئن كان في العدة تأخير، ولم يكن في الأجل تقصير، لا ضرني من كلامـك لا قليل ولا كثير، فقال الحاجب : بلغ من فعلك يا أخس العرب أن تخاطب أمير المومنين كلمـة بكلمة þ فقال له مسرعا : بفيك الجندل، ولا ملك الويل والهبل، أما سمعت قول ا تعالى: يـوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها[2] فإذا كان ا يجادل جدالا، فمن هو هشام حتى لا يخاطب

---

[1] الباز: من سباع الطيور. وهو صياد ماهر وسريع. بمقدرته النزول بقوة من الجو بسرعة تتراوح بين 100 و 200 مـيل في الساعة. لينقض على فريسته وهي في الجو. ومن أعالي الأشجار ورؤوس الجبال الشامخة. وهو حاد البصر. بحـيث يمكنه أن يرى فريسته على مسافة طويلة. وعندما يكتشف فريسة ما. يحلق فوقها. ثم ينزل إليها بسرعة مذهلة. مطبقا جناحيه ليغرز مخالبه الحادة في جسد فريسته.

[2] سورة النحل، الآية 111

خطابا þ قال : فعند ذلك قام هشام واغتاظ عليه وقال : يا سياف، علي برأس هذا الغلام، فقد أكثر مـن الكلام، فيما لا يخطر على الأوهام، قال : فأخذ الصبي ونزل به في قطع الدم، وسل سيف

النقمة على رأسه وقال السياف: يا أمير المومنين، عبدك المذل بنفسه، المتقلب في رمسه، أضرب عـنقه وأنـا بريء من دمه þ قال : نعم. فاستأذن ثانية فأذن له، ثم استأذن ثالثة فهم أن يأذن له، فضحك الغلام حتى بدت نواجذه، فازداد تعجبا هشام منه وقال : يا صبي أظنك معتوها، أترى أنك مفـارق الدنـيا، ومزايل الحياة، وأنت تضحك هزؤا بنفسك. فقال: يا أمير المومنين، أبيات شعر حضـرت السـاعة فاسـمعها، وقتلي لا يفوت. فقال: هات وأوجز. فهذا أول أوقاتك من الآخرة، وآخره من الدنيا، فأنشأ يقول :

((أنبئت أن الباز علق مرة عصفور بر ساقه المقدور)) الخ

فتبسم هشام وقال : وقرابتي من رسول ا صلى ا عليه سلم، لو تلفظ الغلام بهذا اللفظ في أول وقت من أوقاته، وطلب ما دون الخلافة لأعطيته، يا خادم احش فاه درا وجوهرا، وأحسن جائزته، ومضى إلى حال سبيله اهـ

ورأيت في التحفة المذكورة قصة لطيفة سنح لي أن أقيدها أيضا ونصها :

ذكـر الفضل بن الربيع[1] أن الرشيـد جلس يوما على الشراب فقـال لأصحابـه : أريد شاعرا ظـريفـا، حسـن الصوت، جميل الوجه، فقالوا بأجمعهم : ما نعرف ببغداد أحدا على هذه الصفة غيـر أبي نواس[2]، فإنه أجملهم وجها وأفصحهم لسانا، وأقربهم جوابا، وأعذبهم شعرا، وأحسنهم صـوتا، فأمر بإحضاره، فلما صار بين يديه قال له : يا أبا نواس أنشدني من أشعـارك، فقال : أنشـدك مما قلته أو مما أقوله في الساعة þ قال : لا بل مما قلته قديما، فقال : يا أمير المومنين، مـررت يـوما في شارع من شوارع البلد، فملت إلى دار أستقى ماء، إذ أنا بجارية ممشوقة القد، صـبيحة الخـد، كثيرة المجانة، عليها أثر الرعانة، تصلح أميرة لأهل الحانة، وكأني بها سكرانه، كلمتنـي وكلمـتها، فقالـت فيما كان بيني وبينها من المحاورة شعرا، وقلته والجارية تسمع، فقال الرشيد : وما هو يا أبا الحسن فأنشأ يقول :

يا نظـرة قدحـت في القلـب نيرانا ويا هـوى زادنـي شوقا وأحزانا
هيفـا مهفهفـة أهـدت غضارتها إلي مـع طـرف الريحان ألوانا

---

(1) الفضـل بـن الـربيع بن يونس. استوزره الخليفة هارون الرشيد. وكان خصما عنيدا للبرامكة. وعلى يده وقعت نكبـتهم. توفي سنة 208 هـ . في عهد المأمون. أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان 1: 412. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 12: 343. البداية والنهاية لابن كثير 10: 263. الأعلام للزركلي 5: 148.

(2) الحسـن بـن هانئ. المعروف بأبي نواس. شاعر العراق في عصره. قال في حقه الجاحظ : ما رأيت رجلا أعلم باللغـة ولا أفصح لهجة من أبي نواس. وقال عنه الإمام الشافعي رحمه ا : لولا مجون أبي نواس لأخذت عنه العلم. توفـي ببغداد سنة 198 هـ . له ديوان شعر حافل بقصائد المجون. وللعلامة ابن منظور كتاب حوله سماه : أخبار أبي نواس. أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان 1: 135. الأعلام للزركلي 2: 225. تهذيب ابن عساكر4 : 254.

قـد كنت أغنـى جميع الناس كلهم   عن شـرب مائكـم إذ كان ما كانا
قالت : فلم قلت أخشى طول هجركم   قالت : فلا تخش طول الدهر هجرانا
أشاعـرا أنت يـا هذا فقلت لهم   حلفـت أن لا أغنـي الدهر مجانا
قالـت : فقل ثم لا تشطط فقلت لهم   لا شـيء أكثـر من لقيـاك أحيانا
قالـت فغن على اسـم ا قلت لها   أتفهمـي سكنـا صوتـا لدهمانـا
إن العيـون التي فـي طرفها حور   قتلننـا ثـم لا يحييـن قتلانـا
يصرعن ذا اللب حتى لا حراك له   وهن أضعـف خلـق ا إنسانا
فمـد من الخمر يصحو بعد سكرته   وصاحب العشق حتى الموت سكرانا
قالـت فغـن سـوى هذا لقائله   واجعله نحـوي إذا غنيـت أشجانا
قلـت اسمعي ثانيا ثم انتقيت لها   شعـرا يوافـق في التعريض معنانا
ثم اندفعـت أغنيهـا على طرب   بـان الخليـط ولو طاوعت ما بانا
واستضحكت ثم قالت هات لي خبرا   ما كـان بيـن علـي وابـن عفانا
فقلـت هـذا حديـث لا يوافقنـي   لكـن حديـث جميل وابـن غيلانا
قالـت فعبـر لنـا رؤيا فقلت لها   مـا ذا رأيـت أراك ا إحسانـا
قالـت رأيـت فتى في النوم ناولني   من نرجـس رطبا غضـا وريحانا
فقلـت ذاك أنـا والغـض ودكم   وذاك يـا سكنـي تأويـل رؤيانا

فقـال الرشـيد: أشهد أنك إمام الظرفاء، وسيد الأدباء، ورأس المجان، وأجازه ثلاثة بدرات، فوضعت بين يدي أبي نواس، ففرق بدرتين على من حضر في ذلك الوقت من المغنين، ورفع له بدرة إلى منزله، فصرفها على من زاره من الشعراء وإخوانه من أهل الأدب، فبلغ الرشيد ذلـك فأعطاه ألف درهم، وجارية جميلة، فغاب مدة عن الرشيد، ثم دخل عليه يوما فسأله عن الجارية فقال :

و ناهـدة الثديين من خدم القصر   مزوقـة الأصداغ مضمومـة الشعر
مكرمـة في زيهـا برمكيـة   معاطفهـا قد غبـن في لطف الخصر
كلفت بها إذ راعني حسن وجهها   زمانـا وما حب الكواعـب مـن أمر
ومازلت في الأشعار في كل موطن   ألينهـا والشعر مـن عقـد السحر
إلى أن أجابـت للوصـال فأقبلت   على غيـر ميعـاد إلي مع العصر
فطالبتهـا شيئـا فقالت بغيره   أمـوت إذا منـه وعبرتهـا تجري
فقلـت لنفسي حيـن فكرت خاليا   جويريـة بكـر كـذا فـزع البكر
فلمـا تخالينـا توسطـت لجـة   غرقـت بها يا قـوم في لجج البحر

فقالـت أغثني يـا غلام فجاءني وقد زلقت رجلي وصرت على الصدر
فلـولا صياحـي بالغـلام وأنه يوثقنـي بالحبـل صـرت الى القعر

فآليـت أن لا أركب البحر غازيا حياتـي ولا سافـرت إلا على الظهر [1]
إهـ. فانظـر يـا أخي رقة طبع أبي نواس، وما أفسقه بين الناس، ولعمري إنه لمرتوي من المجـون، وإن كلامـه لممـا تنجلي به عن النفس الشجون، أقول هذا فيه، وإن كنت لا أميل لمذهبه السفيه.

سوانح يوم الإثنين 19 محرم 1328 هـ
31 يناير 1910 م

وفي يوم الإثنين سنح لي أن أقيد قصيدة في هذا المحل، كنت خاطبت بها شيخنا العلامة سيدي الحاج عبد الكريم بنيس[2] حفظه ا ، نصها :

أحبتنـا إني مقيـم علـى العهد فهل عندكـم شوق كما فيكم عندي
يؤرقني التذكـار في حسن ذاتكم وأضحى بكم في غمرة هيجت وجدي
أعلـل نفسي كـل حيـن بقربكم ولو لـم أعللهـا لأمسيت في اللحد
أقول لها والشـوق خرب أضلعي وصبر الفتـى عند التشوق لا يجدي
ألا فاصبري يا نفس فالصبر أجمل بمن قد رمـاه الدهر في الظهر بالبعد
فقالت ولم تملك من الوجـد صبرها وصيب صب العيـن يهمي على الخد
أمن بعد بعدي عن حبيبي تريد أن يعود لـي الصبر الـذي أمره مردي
أبـى ا إلا أن أزاد صبابـة ولم أسـل عن حبي بعمرو ولا زيد
إلى أن أرى محبـوب قلبي حاضرا لـدي وألقى منـه ما رمت من ود
أؤمـل أن ألقـاه والدهر مسعدي بما أتمنـى من لقـاه بـلا وعد
وإنـي وإن لم أعهـد الدهر مسعفي بما أرتجيـه حين أصبحت في بعد
فإن انتظـاري فيـه للفرج الذي أؤملـه تمحـى به آيـة الصـد
ورب محـب لا يساعـده النـوى ولكنـه فـي القـرب قاتل بالسعد
حنانيـك يا مـولاي إنـي في الهوى مع البعـد قد قيـدت بعدك في قيد
ولا قيـت مـالا أستطيـع لقاءه و ما أخفـي و ما أبدي

---
[1] من قصيدة للشاعر أبي نواس. تقع في 14 بيتا، من بحر الطويل.
[2] أنظر التعريف به في ص

وكـم قائــل لي قد عهدتـك ساليا   فلم لا رأيـت الهم فيك مع الوجد
وأصبحت في ثوب النحول مسربلا   فقلت له دعني نعاني الجوى وحدي
فلسـت بنـاس عهـد ناسي بعدهم   فياهل تراهـم ما الذي فعلوا بعدي
أبيت أراعـي طالـع السعد منهم   ولو بسـلام منهـم لي فـي وفد
وما عودوني سادتـي الهجر منهم   ولكن تعـودت الرضـى منهم عندي
ولا سيمـا البدر الـذي حل بينهم   منيـر الدجى بنيسهـم شيبة الحمد
إمامي الذي تفديه نفسي في الورى   ويا فرحتـي إن لي ينادي أيا عبدي
فعهدي به في الناس يرعى محبتي   لـه وأراه لا يـزال علـى العهد
على أنــه إن حـال بيني وبينه   زمـان خؤن لا يحـول عن الود
فيـا أبـت المرضـى فينا مقامه   إلى أن غـدا في المجد واسطة العقد
سألتـك بالحب الذي في حشاشتي   مـن أجلـك إلا جدت لي منك بالوعد
فوعـدك عندي أن تجيب مكاتبي   وتبقـى علـى ما منك عودت من ود
ولي فاسـأل الرحمـن يجمع بيننا   قريبا فإنـي لا يطيـق النـوى جهدي
عليـك سـلام ا يـا علم الهدى   ويشمـل أهـل الـود منكـم بلا حد
ولا زلت بدرا راقيا في ذرى العلى   ولازلت فينـا للهـدى دائما تهدي

وكـنت كتـبت لـه قبلها قصيدة لم تصله، فكتبتها مع هذه في رسالة، فسنح لي أن أكتب تلك القصيدة هنا أيضا :

يا نفس مالك طول ليلك ساهره   وشجون قلبك في الدجى متكاثره
قل لي فإنني قد فنيت من الجوى   ولقد عهدتك في الحوادث صابره
ألفرقة الأحبـاب أنـت كئيبـة   حتى غـدت لك عاذلاتي عاذره
قـل لي فإنني قد فقدت تصبري   ولبسـت أثواب النحول الفاخره
أو مـا كفـاك بأنني قد زدتني   حرقا بها أضحـت عظامي ناخره
ا يعلـم مـا اعترانني بالنوى   من شيخنا بنيـس قطب الدائره
فالفضــل دائرة عليه مدارها   والمجـد مرتبـة به متظاهـره
لو أنني استفرغت عمري مدحه   ما فيه أحصر في الزمان مفاخره
قد كان لي نعم المجير من الردى   ورضـاه عنـي نافع في الآخره
يا أيهـا السنـد الذي نفسي له   صارت فـدى وبه غدت متفاخره
إني وحقك ما قدرت على النوى   والنفـس مني مـا عليـه قادره
حكـم الزمان به علــي وإنني   لأرى قضيــة حكمه لـي جائره

لولا الرضـى بقضاء ربي واجب	لعملـت في أمر القضـاء مناظره
لكننـ ـي فوضت أمـ ـري للذي	يقضي بحق في الأمـ ـور الظاهره
فعسـاه يحكم باللقـا بعد النوى	إن الإلـه لـ ـه أمور باهـ ـره
لا أسـأل الرحمـ ـن إلا قربكـ ـم	فبقربكـ ـم ألقى الهبـات الوافره
لا زلتـ ـم حتـى نراكم في هنا	وبكم ريـاض العلم تلفى زاهره
وعليكـ ـم أزكـى السـلام يعمكم	منه بأذكـى الزاكيـات العاطره

سوانح يوم الثلاثاء 20 محرم 1328 هـ
1 فبراير 1910 م

وفي يوم الثلاثاء طالعت تحفة المجالس للسيوطي رحمه الله فسنح لي أن أقيد ما رأيته فيها من بعـض اللطائـف. فمنها ما حكي أن المأمون كان عند جارية بديعة الجمال، فصيحة اللسان، فـواقعها يـوما مـن الأيـام، وأوصاها بكتم ذلك، ثم أنها دخلت إلى مكان منفرد في القصر، وخلعت أثوابها لتغتسـل، فرآهـا المأمون من مكان عال يشـ ـرف على ذلك المكان، فلمـا تعـرت رأى من رقة بدنها، وبياض جسمهـا، وحسن قدها، ما أدهشه، فلما همت أن تلبس ثـوبها رفعـت طـرفها فنظرته فاستحيت ونفضت شعرها فستر جميع بدنها إلى كعبها وهي واقفـة، ثم إنه خرج وهو متعجب مما رأى، فقال : من بالباب من الشعراء ؟ فقيل أبو نواس، فأذن له في الدخول، فلما دخل قال له المأمون: أجز (نضت عنها القميص لصب ماء)

نضت عنها القميص لصب ماء	فـورد خدهـ ـا فرط الحياء
وقابلـت الهواء وقـ ـد تعرت	بمعتـ ـدل أرق من الهواء
ومـدت راحة كالمـ ـاء لطفا	إلى مـ ـاء معد فـي إناء
فلمـا أن قضت وطرا وهمت	علـى عجل إلى أخذ الرداء
رأت نظـ ـري إليها من بعيد	فأسبلت الظلام على الضياء
فغـاب الصبح منها تحت ليل	وصار الماء يقطر فوق ماء[1]

فقال المأمون: لو كنت عندنا لما شرحت أزيد مما وقع، ثم أجازه.

---

(1) الأبيات للشاعر الشهير أبي نواس. وهي سبع أبيات. ولم يذكر العلامة سكيرج البيت الأخير منها وهو:
فسبحان الإلاه وقد براها كأحسن ما يكون من النساء

ومن المنقول منها أيضا : حجب العتابي[2] على باب المأمون، وكان مؤدبه فكتب إليه :

إن حق التأديب حق الأبوه عند أهل الحجا وأهل المروه

وأحق الأنام أن يحفظوها ويعوهـا لأهل بيـت النبوه

فدعا به وأحسن صلته، وآل على الحاجب أن لا يعاود حجبه، وزجره.

ومـن المنقول عن هارون الواثق[1] بن المعتصم، قيل كان الواثق إذا شرب يرقد في موضعه الـذي شرب فيه، ومن كان عنده من ندمائه، فشرب يوما وخرج من كان عنده إلا مغن واحد أظهـر التراقد، وكانت مغنية من جواري الخليفة نائمة، فلما خلى المجلس كتب المغني رقعة ورمى بها إليها فإذا فيها :

إني رأيتك في المنام ضجيعتي مسترشفـا من ريق فيك البارد

وكـأن كفك فـي يدي وكأننا بتنـا جميعا في لحاف واحد

ثم انتبهـت ومنكباك كلاهما في راحتي وتحت خدك ساعدي

فقطعـت يومي كله متراقدا لأراك فـي نوم ولسـت براقد

فكتبت الجارية على ظهرها :

خيـرا رأيـت فكل ما أملته ستناله منـي برغم الحاسد

وتبيت بين خلاخلي ودمالجي وتحل بين مراشفي ونواهدي

ونكون أنـعم عاشقين تعاطيا ملح الحديث بلا مخافة راصد

فلمـا مدت يدها إليه لترمي بالرقعة رفع الواثق رأسه، وأخذها من يدها وقال : ما هذا ؟ فحلفا أنه لم يجر بينهما قبل هذا الكتاب ولا كلام ولا رسول، إلا أن العشق قد خامرهما، فأعتقها من وقتها، وزوجها منه.[2]

سوانح يوم الأربعاء 21 محرم 1328 هـ

2 فبراير 1910 م

وفـي الأربعـاء أنشـدت لسيدنا العم حفظه ا ، بعد أن ذكر لي أن التأني محمود، وأنه لابد لصاحبه من نيل المقصود، ما كان ينشد لنا بعض أشياخنا رحمه ا :

---

(2) كلثوم بن عمرو العتابي شاعر. يتصل نسبه بالشاعر الشهير عمرو بن كلثوم. من مصنفاته: فنون الحكم. والألفاظ. والخـيل. والأدب. والأجواد. توفي سنة 220 هـ .أنظر ترجمته في فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي 2: 139. تاريخ بغداد 12: 488. الأعلام للزركلي 5: 231، الشعر والشعراء، لابن قتيبة 360.

(1) هـارون الواثق من خلفاء الدولة العباسية. ولد ببغداد سنة 200 هـ. وولي الخلافة بعد وفاة أبيه المعتصم با سنة 227هـ. يذكر عنه أنه كان كريما. عارفا بالآداب والأنساب. طروبا. يميل إلى السماع. عالما بالموسيقى. توفـي سنة 232 هـ. أنظر ترجمتـه في الكامـل لابـن الأثيـر 7: 10. الأعلام للزركلي 8: 62-63 . الأغاني 9: 276 - 300. تاريخ بغداد 14: 15

(2) أنظر المستطرف من كل فن مستظرف، للأبشيهي 2: 336

إن التأنـي فـي الأمور   من شيمـة الفطن اللبيب
مـن لم يكـن متأنيا   يخطي ويبعـد أن يصيب[3]

وسـنح لي أن أقيد هنا قصيدة لمحبنا الأخ في ا الفقيه العلامة سيدي الحاج أحمد جسوس[1] حفظه ا من إنشائه وإنشاده وخطه ونصها :

ضاعت خطاك إذ قصدت لئيما   وصبوت بعـد وقـد نشأت حليما
فاربأ بنفسك لا تكن طماعها   واقصد فديتك إن قصـدت كريما
يعطي الخلائق كلها من رحمة   ويـدر أرزاقـا تعـم عموما
وينيل فضلا من دنا أو من نأى   حتـى يصير به العديـم عظيما
أسدى وأندى فالعطا من وصفه   سبحانـه عـم الورى تكريما
ملئـى خزائنـه تعالـى لا تغيـض بلـى تفيض س فتكسب المعدوما
فا أنجـح مـا طلبـت فلذ به   والجـأ إليـه فلن يزال رحيما
غـداك بالنعم الجسام وأنـت طفـل لسـت تعرف نعمة ونعيما
سـداك أبـدى فيك كل كرامة   وحبـاك هديا أوهدى وفهوما
فاعكف ببابه سائلا ما شئت من   نعم تجـد وهابهـا وكريما
وبه استعـن في كل ما أرب تجد   عونـا وسعيا ناجحا ملموما
رحمـاك ربـي بالفقير فإنه   قـد جاء بابك بائسا معموما
يرجـو غناك مع الرضـى والفوز في العقبى ويجأر ضارعا وعديما
وامح السوى من قلبه حتى يرى   عبدا تخاص واستحال حكيما
ربـي إلاهي خالقـي مولاي جد   لي بالشفـاء فلن أزال سقيما
ضعفـي تبدى والسقام ملازمي   وتقسمت منـي الحشا تقسيما
أدعـوك بالأسما وأعظمها وبـالمختـار من أوليتـه تعظيمـا
خيـر الخلائـق كلها ورسولها   وحجابهـا ومنيلهـا المقسوما
وبصحبـه والآل و الختم الذي   بذ الرجـال صدورهم وقروما
يا رب صل على الحبيب وآله   واجعل عبيدك دائما مرحوما

[3] ينطبق على هذين البيتين القول المأثور من تأنى أدرك ما تمنى ومنه أيضا قول الشاعر
قد يدرك المتأني بعـض حاجته   وقد يكون مع المستعجل الزلل
والناس من يلق خيرا قائلون له   ما يشتهي ولأم المخطئ الهبل
ومنه أيضا قول النابغة الذبياني
الرفق يمن والأناة سعادة   فتأن في أمر تلاق نجاحا
[1] سبق التعريف به في ص

سوانح يوم الخميس 22 محرم 1328 هـ

3 فبراير 1910 م

وفي يوم الخميس طالعت تحفة المجالس للسيوطي، فوجدت أبياتا أحفظها لأبي العتاهية إلا أنه ذكـرها فـي قصة سنح لي أن أذكرها قال: قال بعض العطارين جاءنا أبو العتاهية إلى دكاننا فتحدث، وكتب الناس عنه، ثم تناول دفترا وكتب على ظهره:

أيا عجبـا كيـف يعصـى الإله أم كيـف يجحده الجاحد

و فـي كـل تحريكة وتسكينـ ـة أبـدا شاهد

وفـي كل شيء له آية تـدل علـى أنه واحد[1]

ثـم مضى، وجاء أبو نواس فنظر إلى الدفتر وقال: من كتب هذه الأبيات ؟ قلنا: أبو العتاهية، فقال: وا لوددت أنها لي بجميع ما قلت، ثم تناول الدفتر وكتب على ظهره:

سبحـ ـان مـ ـن خلـق الخلـ ـق مـن ضعيـف مهين

يسوقـ ـ ـه من قـ ـرار إلـ ـى قـ ـ ـرار مكيـن

في الحجـ ـب شيئـا فشيئا يحـ ـ ـور دون العيـ ـون

حتـ ـى بـ ـدت حركـ ـات مخلوقـ ـة مـن سكـون[2]

ثـم مضى وخلفه أبو العتاهية فقال: من كتب هذه الأبيات ؟ قلنا: أبو نواس، قال: وا لوددت أنها لي بجميع ما قلت اهـ . أقول: ولم يظهر لي وجه استحسان أبي العتاهية قول أبي نواس هذا، وأنت تراه من البرودة بمكان، اللهم أن يكون استحسانه تطييبا لخاطره، والذي يظهر لي أنه ليس من قول أبي نواس كما نعرفه من لطافة أبي نواس، وحلاوة نظمه، كما لا يخفى على من يعرفه ويعرف رقة شعره ورأيت فيها قصة لطيفة نذكرها في هذا اليوم لتكون من سوانحه قال: قال إبراهيم ابن جرير الكرفي : أخبرني ابن الداية[3] أن أبا نواس اجتمع يوما مع صريع

---

[1] الأبيات للشاعر أبي العتاهية. قالها بعد بيتين اثنين من بحر المتقارب وهما :

ألا إننـا كلنـا بائـد وأي بنـي آدم خالـد

وبدؤهم كان من ربهم وكـل إلى ربـه عائد

[2] الأبيات للشاعر أبي نواس وهي من بحر المجتث

[3] يوسف بن ابراهيم المعروف بابن الداية. كاتب. توفي بمصر نحو سنة 265 هـ. له مؤلف سماه : أخبار الأطباء. أنظر ترجمته في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة 1: 77. الأعلام للزركلي 8: 212.

الغوانـي[1] والخلـيع[2] و الرقاشي[3] في مجلس بعض الرؤساء، فاقترح المجلس عليهم شعرا يتضمن القرآن، فقال أبو نواس :

وفتية في مجلس ريحانهم | وجوههم قد عدموا المثيلا
دانيـة عليهم ظلالهـا | وذللت قطوفهـا تذليـلا[4]

فبلغ خبر المجلس دعبلا[5]، فتكلف سلوك طريق أبي نواس فقال:

ويخزيهم وينصركـم عليهم | ويشف صدور قوم مؤمنين[6]

ومن شعر أبي نواس قوله :

لولا تأنيـك ما اغتررت ولا | خـط كتابي بأرض مغترب
ولا تخطيت في الصلاة إلى | قراءة تبت يدا أبي لهب[7]

وهذه أرجوزة أتى بها عام حجه :

لبيـك إن الحمد لـك | والملـك لا شريـك لك
والسابحـات فـي الفلـك | علـى مجـاري المنسلك
والليـل لمـا إن حلـك | إلاهنـا مـا أعدلـك
مليـك كـل من ملـك | وكـل مـن أهـل لك
ما خـاب عبـد سألك | يـا خاطئـا مـا أغفلك
اعمـل وبـادر أجلـك | واختـم بخيـر عملـك
لبيـك قـد لبيـت لك | لبيـك إن الحمـد لك[1]

---

[1] مسـلم بن الوليد الأنصاري. المعروف بصريع الغواني. شاعر غزل. من أهل الكوفة. استوطن بغداد. ومدح الخليفة هـارون الرشيد بقصائد عديدة. وهو الذي لقبه بصريع الغواني. توفي سنة 208 هـ. أنظر ترجمته في النجوم الزاهرة لابن تغري بردي 2: 186. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 13: 96. الأعلام للزركلي 7: 223

[2] الحسين بن الضحاك الباهلي المعروف بالخليع. شاعر عباسي. ولد بالبصرة سنة 162 هـ. وتوفي ببغداد سنة 250 هـ . أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان 1: 154. تهذيب ابن عساكر 4: 297. الأغاني 6: 165 – 205. الأعلام للزركلي 2: 239.

[3] الفضل بن عبد الصمد الرقاشي البصري. شاعر عباسي. فارسي الأصل. انتقل إلى بغداد. ومدح الخلفاء. له قصائد كثيـرة في الخلاعة والمجون. توفي نحو سنة 200 هـ . أنظر ترجمته في تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 12 : 345. الأعلام للزركلي 5: 150. فوات الوفيات لابن شاكر الكتبي 2: 125.

[4] فيه اقتباس من قوله تعالى ودانية عليهم ظلالها وذللت قطوفها تذليلا سورة الإنسان الآية 14.

[5] دعـبل بن علي الخزاعي. شاعر هجاء. من العهد العباسي. قال عنه ابن خلكان : كان بذيء اللسان. مولعا بالهجو والحـط مـن أقدار الناس. إهـ .. توفي سنة 246 هـ .أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان 1: 178. تاريخ بغداد للخطيب البغدادي 8: 382. الأعلام للزركلي 2: 339. لسان الميزان لابن حجر العسقلاني 2: 430.

[6] مـن قصيدة للشاعر دعبل بن علي الخزاعي. وهو البيت الحادي والعشرون من قصيدة من بحر الوافر. تقع في 28 بيتا. يقول في مطلعها :

أفيقي من ملامك يا ظعينا | كفاك اللـوم مر الأربعينا
ألم تحزنك أحداث الليالي | يشيبن الـذوائب والقرونا
إذا لم تتعظ بالشيب نفسي | فما تغني عظات الواعظينا

[7] البيتان لأبي نواس و فيهما اقتباس من قوله تعالى تبت يدا أبي لهب

سوانح يوم الجمعة 23 محرم 1328 هـ

4 فبراير 1910 م

وفـي يوم الجمعة سنح لي أن أكتب هنا نادرة رأيتها في تحفة المجالس للسيوطي، كنت عازما على كتبها في بعض السوانح المتقدمة، ولكن تقييد الأمور بإبانه، ونصها:

حكـي عـن أحمد بن المدبر أنه كان إذا مدحه شاعر ولم يرض شعره قال لغلامه: امض إلى المسجد ولا تفارقه حتى يصلي مائة ركعة، ثم خله، فتحاماه الشعراء إلا المجيدين منهم، فجاء الحسـين بـن عبد السلام البصري فاستأذنه في النشيد، فقال له: أعرفت الشرط Þ قال: نعم، وأنشأ يقول :

أردنا من أبي حسن مديحا	كما بالمـدح تمتدح الولاة
فقلنـا أكـرم الثقلين طرا	ومـن كفيـه دجلة الفرات
فقالـوا يقبل المدحات لكن	جوائزه على المدح الصلاة
فقلت لهم وما تغني صلاتي	عيالـي إنمـا تغني الزكاة
فأمـا إن أبـى إلا صلاتي	وعاقتنـي الهموم الشاغلاة
فيأمر لي بكسر الصاد منها	لعلـي أن تنشطني الصلاة
فيصلح لي على هذا حياتي	ويصلح لي على هذا المماة

سوانح يوم السبت 24 محرم 1328 هـ

5 فبراير 1910 م

وفـي يوم السبت أنشدني بعض الإخوان بيتين كنت أحفظهما من بحر الخفيف، لكنه أنشدهما علـى التصحيف، فتذكرتهما بلا تحريف، فسنح لي أن أقيدهما هنا في هذا التأليف، وهما، وقد أحسن قائلهما :

كل يوم أريـد أن أتسلى	بك والدهـر بيننا يتعذر
والليالي تقول لي بلسان	لا تلمنا فالاجتماع مقدر[1]

---

[1] من شعر أبي نواس. تقع في 14 بيتا. وهي من مجزوء الرجز. قال في مطلعها :

إلاهنـا مـا أعدلـك   مليـك كـل مـن ملك

[1] تـم تشـطير هـذين البيتين من طرف بعض كبار الشعراء، فمن ذلك قول الشاعر عبد الطيف بن علي المعروف بالمفتي فتح ا :

كـل يـوم أروم أن أتملـى   بمحيـاك البـدر لاح وأسفـر
ولكـم رمـت أحتضي باجتماع   بـك والدهـر بيننـا يتعـذر
والليالـي تقـول لي بلسان   عربـي أبدى اعتـذارا وأظهر

وسنح لي أيضا أن أقيد هنا قول الزمخشري الذي قيل أنه يدل على توبته، وهي هذه الأبيات:

يا من يـرى مد البعوض جناحها ... في ظلمـة الليـل البهيم الأليل
ويرى منـاط عروقها في نحرها ... والمـخ في تلـك العظـام النحل
ويـرى خرير دمائهـا متسلسلا ... في جسمها من مفصـل في مفصل
ويـرى مكان الوطء من أقدامها ... في سيرهـا وخطيطها المستعجل
ويرى وصول غدا الجنين ببطنها ... في ظلمـة الأحشـا بغيـر تحمل
ويرى ويعلـم كـل ما هو دونها ... سبحانـه مـن مالـك متفضل
أمنن علـي بتوبـة أمحو بها ... مـا كان مني فـي الزمان الأول[2]

سوانح يوم الأحد 25 محرم 1328 هـ
6 فبراير 1910 م

وفي يوم الأحد رأيت في شرح الإمام الأبي لصحيح الإمام مسلم أبياتا نقلها عن المسعودي لما تكلـم على تبع[3]، وأنه آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل بعثه بسبعمائة عام، وأنه قالها في النبي صلى الله عليه وسلم، فسنح لي أن أذكرها هنا :

شهـدت على أحمـد أنه ... رسول من الله باري النسم
له أمـة سميت في الزبور ... بأمـة أحمـد خيـر الأمم

هـاك عذري فإن حرمت اجتماعا ... لا تلمنـي فالإجتمـاع مقـدر
ومن ذلك أيضا قول الشاعر عمر بن عبد الغني الرافعي
كـل يـوم أروم أن أتملى ... بحبيب بنوره الكـون أزهر
يا حبيبي متى تقر عيوني ... بك والدهـر بيننـا يتعذر
والليالي تقول لي بلسـان ... مظهر الذات للكمالات مظهر
فاجمع القلب كي تراه وإلا ... لا تلمني فالإجتمـاع مقـدر

(2) نسـجها العلامـة الزمخشري عن أبيات سابقة للشاعر هبة الله بن موسى الشيرازي. المعروف بالمؤيد في الدين. ونص أبيات هذا الأخير :
يا مـن يرى مد البعوض جناحها ... في ظلمة الليل البهيـم الأليل
ويـرى مناط عروقها في نحرها ... والمخ فـي تلك العظام النحل
ويـرى ويسمع كل ما هو دون ذا ... في قعـر بحـر زاخر أو جندل
مـا إن يغـادره فـلا يخفـى له ... مـن خلقـه مثقال حبة خردل
ألا ليعلمـــه ويعلـــم وصفـــه ... سبحانـه مـن ماجـد متفضل
امنـن علـــي بنظـرة أحيا بها ... كانـت قديمـا في الزمان الأول

(3) تبع. إشارة لملوك التبابعة. وهم بنو حمير، ملوك بلاد اليمن. سموا تبابعة لأنه يتبع بعضهم بعضا، كلما مات واحد منهم خلفه الآخر، وأول من تولى الملك منهم هو قحطان بن عابر بن شالخ. ثم بعده ابنه يعرب. ثم ابنه يشجب. ثم ابنه عـبد الشـمس. الملقب بسبأ. نظرا لاشتهاره بالغزو والسبي. وذلك قبل الميلاد بحوالي 2000 سنة. واستمر الحكم بين أيـديهم إلى غاية عهد الملك ذي نواس. الذي مات غريقا سنة 529 م. بعد انهزامه في موقعة عظيمة دارت بينه وبين جيش الأحباش. فكان بذلك آخر ملك من ملوك التبابعة.

و لو مد دهـري إلى دهره   لكنـت وزيرا له وابن عم

وقاتلـت بالسيف أعداءه   وكشفـت عن قلبه كل غم

ورأيت من قول أبي نواس هذين البيتين فاستحسنتهما، وسنح لي أن أقيدهما، وهما :

حسن الظن بمن قد عودك   كـل إحسـان وقوي أودك

إن ربـا كان يكفيك الذي   كان بالأمس سيكفيك غدك [1]

سوانح يوم الإثنين 26 محرم 1328 هـ

7 فبراير 1910 م

وفـي يـوم الإثنـين السـادس والعشرون جرى على لساني البيتان المشهوران، يقول فيهما صاحبهما على لسان الحضرة:

تذكـر جميلـي فيك إذ كنت نطفة   ولا تنس تصويري لشخصك في الحشا

وسلـم لي الأقـدار واعلم بأنني   أصـرف أحكامـي وأفعـل مـا أشا

وتذكرت بهما قول بعض العارفين مضمنا فيه تأليف الإمام ابن عطاء ا ، المسمى التنوير في اسقاط التدبير:

ما تـم إلا مـا أراد   فاطرح همومك وانطرح

واتـرك شواغلك التي   شغلـت فؤادك تسترح

سوانح يوم الثلاثاء 27 محرم 1328 هـ

8 فبراير 1910 م

وفـي يومنا هذا، وهو يوم الثلاثاء سنح لي أن أقيد هنا قصيدة كنت خاطبت بها أخانا في ا الفقيه العلامة سيدي أحمد جسوس[2]، بعد أن اجتمعت به في طنجة بأواخر ربيع عام 1327 هـ، وسافرت لتطوان، ومنها كتبتها له ونصها :

يـا قاطنيـن بقلبـي بعـد ترحالي   هـلا نظرتـم بعيـن رأفة حالي

قاسيـت من بعدكم مـن أجل بعدكم   ما في الصبابـة لم يخطر على بال

أبيـت أهتـف كـل ليلـة بكم   وفـي نهـاري بكم تزداد أهوالي

أظـل فـي غمرة مـن الغـرام بكم   وعذلـي كلهـم فـي نهج إضلال

---

[1] أنظرهما في كتاب روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، لابن حبان البستي 1: 54

[2] سبق التعريف به في ص

لا أســأل الناس إلا عن محاسنكم وعن ســوى حبكم قلبي يرى خال

أرتــاح عنــد سمــاع ذكركم وإلى سواكــم لم أكــن يومــا بميال

إن لــم تمنــوا علــي بالوصال فمن يــرق لي بعدما قد رق لي القالي

إنــي وحقكــم لمــــا عشقتكــــم يا سيــدي في الورى بلغت آمالي

وجدت قلبــي الذي قد ضاع لي زمنا مخيمــا عندكم عن غيركم سالي

فقلــت مالــك يــا قلبــي فقال أما علمــت أنــي مكســوب بلا مال

فقلــت ويحــك مــن سبتك بهجته وصــرت قيد هواه رهن أوصال

فقــال لــي مــن تظنــه تملكنــي فقلــت أحمدنــا جسوسا العالي

جاسوس ما في علوم الدين من نكث وكاشــف عن خبايــا كل إشكال

فقــال لــي إننــي وا فيــه أرى متيمــا لــم تغير فيــه أحوالي

فإنــه فــي البرايـــا قطب معرفة سليــل مجــد وإعظــام وإجلال

يسبــي عقول الورى بحسن سيرته وصـــدق أقواله و حسن أفعال

أخلاقــه كملــت أوصافــه جملــت آدابــه تبهـــر المحب والقالي

قــد حل بين ذوي العلياء من شرف برفــع همته في المنصب العالي

وســاد فــي عصــره أقرانــه وله أقــر بالفضــل فينا كل مفضال

يــا سيــدا لا يفــي نطقي مدائحه وكيف تعــرب عنها ضيق أقوالي

سمــوت فــي رتــب تخفى مداركها فكيــف يبلغها في المــدح أمثالي

إليــك ترغــب فــي قبول معذرتي في العجز عن أن أفيك وصفك الغالي

فإننــي كلمــــا أردت نشــر ثنا على عــلاك طويــت عنه منوالي

يخوننــي منطقي عن الوصول إلى ما في ضميري بتفصيلي وإجمالي

وأننـــي لم أطــق نطقا يبلغ ما فــي القلــب مني إليك منذ ترحالي

أقــول هــذا وإنــي ما أتيت بما به يصـــح اعتــذاري عند عذالي

لكــن صفــاء وداد منـــك أعهده به تشبتــت عمري فهو أقوى لي

وأســأل ا أن يرعـــاك يا أملي فحفــظ قـــدرك عندي خير آمالي

وقلت مخاطبا له من تطوان أيضا وهـــو بطنجــة وقد بعK إلي رسالة :

يــا نسيمــا قد هب من ثغر طنجه فشفانــي لمــــا تنسمـــت أرجه

جئتنـــي مــن أحبتــي بسلام أصبحــت مهجتي به ذات بهجة

وكسونــي مــن الجوى بجواب ملبســـا أبدع الجوى فيه نسجه

ما قــرأت الجــواب إلا ودمعي من عيونــي يثير بالشوق موجه

ليس شوقي إلا لأحمد جسوس منير الدجى بكل محجه
نال في العلم منزلا قد تسامى فاز وا كل من أم نهجه
كلما وافانا بفن بديع من فنون يفي بالآف حجه
أتمنى بأن أراه بعيني إنني إن رأيته حزت حجه
فعليه مني أجل سلام كلما حل في العلا النجم أوجه

سوانح يوم الأربعاء 28 محرم 1328 هـ

9 فبراير 1910 م

وفي يوم الأربعاء سنح لي أن أقيد هنا قولي، وهو مما كنت قلته ارتجالا في التحذير من الثقة بالنفس الأمارة :

بنفسك لا تثق مادمت حيا فإن النفس من نحس النحوس
فشر النفس أقبح كل شر وقانا ا مـن شر النفوس[1]

ويعجبني قول القائل، فلذلك سنح لي أن أقيده هنا :

أذاعوا أنني عبد لسلمى لقد صدقوا علي إذ أذاعوا
وقد سكت الوشاة اليوم عني أقر الخصم وارتفع النزاع

ثم بلغني أن الشيخ سيدي أحمد بن عبد العزيز الهلالي[2] رحمه ا كان كثيرا ما يوصي طلبة مجلسه بالإعراض عن خطة القضاء وينشدهم :

ألا فاعتبر يوم القضاء وفصله إذا حشر ا الخلائق أفذاذا
فدع خطة القضاء ويحك لا ترم ولو كنت قد وليت مصرا وبغداذا
إذا قيل لي من أحمق الناس كلهم أشرت إلى القاضي وقلت لهم هذا

وسنح لي أن نقيد هنا فتوى كتبتها في أخذ ولدي معي من حضانة أمه لما قدر ا الفراق بيننا، وأردت السكنى والاستيطان بطنجة أو تطوان مع سيدنا العم أطال ا لنا عمره، نصها :

---

(1) قريب من هذين البيتين قول الشاعر:
النفس أدنى عدو أنت حاذره والقلب أعظم ما يبلى به الرجل

(2) أحمد بن عبد العزيز الهلالي السجلماسي. فقيه مالكي مشهور. مغربي. من مؤلفاته : إضاءة الأدموس ورياضة الشموس من اصطلاح صاحب القاموس. والزواهر الأفقية (في علم المنطق) وعرف الند في حكم حذف المد. ونور البصر في شرح المختصر، لخليل. وغيرها من مؤلفات أخرى. توفي بموطنه بمدغرة من ناحية تافيلالت سنة 1175 هـ - 1761م. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 7: 2375. شجرة النور الزكية (رقم 1432) فهرس الفهارس، للكتاني 2: 1099- 1102 (رقم 617) معجم المطبوعات لسركيس 1893. الأعلام للزركلي 1: 151. نشر المثاني 4: 143. الفكر السامي 2: 290.

الحمـد ، لا خفـاء على من له إلمام بمعرفة النوازل والأحكام من السادة الأعلام، أن ولي المحضـون إذا سـافر سفر نقلة واستيطان بلدة غير البلدة التي بها حاضنته، وأراد أخذ ولده معـه، فلـه انتزاعه منها مع توفر الشروط المشار لها بقول الشيخ خليل لما تكلم على ثبوت الحضانة وشروطها ونصه : وأن لا يسافر ولي حر عن ....

سوانح يوم الخميس 29 محرم 1328 هـ
10 فبراير 1910 م

وفي يوم الخميس سنح لي أن أقيد ما تذكرته من قول الشيخ محمود الوراق رحمه ا :

عطيته إذا أعطـى سرور   وإن أخذ الـذي أعطى أثابا
فأي النعمتين أحق شكرا   وأعظـم عنـد منقلب إيابا
أنعمته التي أهدت سرورا   أم الأخرى التي أهدت ثوابا[1]

وسنح لي أن نقيد هذين البيتين، وكثيرا ما يتمثل بهما سيدنا العم :

مـالا يكون فلا يكون بحيلة   وجميـع ما هـو كائن سيكون
سيكـون ما هو كائن في وقته   وأخـو الجهالة دائما محزون[2]

سوانح يوم الجمعة 30 محرم 1328 هـ
11 فبراير 1910 م

وفـي يوم الجمعة سنح لي أن نقيد هذين البيتين احفظهما لبعض العارفين يقول فيهما مخاطبا الحضرة الإلهية :

لقد ظهرت فما تخفى على أحد   إلا على أكمه لا يعـرف القمرا
كما بطنت بما أسدلت من حجب   وكيف يدرك من بالعزة استترا[1]

---

(1) الأبيات للشاعر محمود بن حسن الوراق، وهي ستة أبيات من بحر الوافر قال في مطلعها:
ومنتصح يكرر ذكر نشوى   على عمد ليبعث لي اكتئابا

(2) من هذا القبيل قول الشاعر أبي فراس الحمداني
إذا قضى ا فاستلم لقدرته   ما لامرئ حيلة فيما قضى ا
ومنه أيضا قول الشاعر الأندلسي الشهير أبو الصلت:
تجري الأمور على وفق القضاء وفي   طي الحوادث محبوب ومكروه
فربمـا سرنـي مـا بـت أحذره   وربما ساءني ما كنت أرجوه
ومنه أيضا قول بعض الشعراء:
إذا عقد القضاء عليك أمرا   فليـس يحلـه إلا القضاء
فمـالك قد أقمـت بدار ذل   ودار العـز واسعـة فضاء

سوانح يوم السبت فاتح صفر 1328 هـ
12 فبراير 1910 م

وفي يوم السبت تذكرت بيتين في مدح الكرم فسنح لي أن نقيدهما وهما :

مجازاة السماحة دار خلد | وأمن من عذاب يوم بوس
وما نار بمحرقـة كريما | ولو كان الكريم من المجوس

وسـنح لي أن نقيد بيتين أنشدهما لي بعض الأفاضل حين كنت مسافرا لطنجة من فاس، وأنا بالطريق قرب القصر الكبير بمرحلتين :

في فساد الأمـور سر | مستبين في غاية الإيضاح
ويقول الجهال قد فسد الأمـ ـ ـر وذاك الفساد عين الصلاح

(1) أنظـره فـي نفـح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري 5: 300. وفي كتاب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي. 2: 26

ووقفت في كشكول[1] بهاء الدين العاملي[2]، نقلا عن بعض الحكماء قال : من شرف الفقر أنك لا تجـد أحـدا يعصي ا ليفتقر، وأكثر ما يعصي المرء ليستغني، وأخذ هذا المعنى محمود الوراق فقال :

إنك تعصي ا تبغي الغنى ولسـت تعصي ا كي تفتقر
يا عائب الفقـر ألا تزدجر عيـب الغنـى أكثر لو تعتبر[3]

سوانح يوم الأحد 2 صفر 1328 هـ

13 فبراير 1910 م

وفي يوم الأحد ثاني صفر سنح لي أن نقيد هذين البيتين، وهما:

هي المقادير تجـري في أعنتها فاصبر فليس سوى صبر على حال
يوما تريك خسيس الناس ترفعه إلى السماء ويومـا تخفض العالي[4]

(1) الكشـكول. مـن أشهر تآليف العلامة بهاء الدين العاملي. يقع في خمسة أجزاء. تحتوي في مجموعها على 2448 صـفحة. تضـم غرر الفوائد والنوادر الأدبية. ألفه بمصر. قال عنه الشهاب الخفاجي : طالعته فرأيت فيه ما تنشرح له الصدور. ويحل عقدة الإشكال عن كل مصدور. إهـ..

وقالـت عنه الأستاذة دلال عباس في كتابها (بهاء الدين العاملي أديبا وفقيها وعالما) قالت: ليس ثمة جدول من جداول المعـرفة فـي عصـره إلا تسربت منه فروع ومنعطفات إلى هذا الكتاب. إنه يشبه تمام الشبه معرضا من المعارض الحديثة. يعرض فيه جميع ألوان المعارف. اهـ ..

طـبع الكشـكول لأول مرة في طهران سنة 1266 هـ . ثم أعيدت طباعته بمصر سنة 1288 هـ . والكشكول لفظة فارسية. وتعني جراب المتسولين يعلقونه في رقبتهم. ويضعون فيه ما يحصلون عليه من طعام الناس.

(2) محمـد بن حسين الحارثي العاملي الهمذاني. أديب فقيه محدث فلكي صوفي. ولد ببعلبك بلبنان سنة 953 هـ . له مؤلفات كثيرة منها: الكشكول. والمخلاة. وأسرار البلاغة. والعروة الوثقى. والفوائد الصمدية في علم العربية. وتشريح الأفلاك. وغيرها.

توفـي بأصـفهان سـنة 1031 هـ . أنظر ترجمته في خلاصة الأثر للمحبي 3: 440. الأعلام للزركلي 6: 102. روضات الجنات في أحوال العلماء والسادات لمحمد باقر 352.

(3) البيتان للشاعر محمود بن حسن الوراق. وهما من بحر السريع. بالإضافة لبيت ثالث لم يذكره العلامة سكيرج. وهو الثاني في الترتيب. ونصه:

من شرف الفقر ومن فضله على الغنى إن صح منك النظر

(4) البيتان للشاعر إسحاق بن ابراهيم التميمي الموصلي، وهما من بحر البسيط.

سوانح يوم الإثنين 3 صفر 1328 هـ

14 فبراير 1910 م

وفي يوم الإثنين فتحت كشكول بهاء الدين العاملي لأطالع فيه، فأول ما وقع عليه بصري قول صلاح الدين الصفدي[1] :

يقول الزمان ولم تستمع   لمن طلب الرزق أو أمله

أنا حرب من جد في كسبه   ومن يتقنع تعصبت له

وله رحمه ا :

وصاحب لما أتاه الغنى   تاه ونفس المرء طماحه

وقيل هل أبصرت منه يدا   تشكرها قلت ولا راحه

وتذكرت بهذين البيتين بيتين أحفظهما سنح لي أن أقيدهما هنا، وهما :

إذا رأيت امرءا في حال عسرته   مصافيا لك ما في وده خلل

فلا تمنى له أن يستفيد غنى   فإنه بانتقال الحال ينتقل

سوانح يوم الثلاثاء 4 صفر 1328 هـ

15 فبراير 1910 م

وفي يوم الثلاثاء سنح لي أن أقيد أبيات كتبتها على صورتي وصورة ولدي عبد الكريم[2] أصلحه ا ، وبعثها إلى سيدنا الوالد والوالدة، وهي:

---

[1] خليل بن أيبك بن عبد ا الصفدي. أديب مؤرخ. من مواليد صفد بفلسطين سنة 696 هـ .له ما يفوق مئتي مصنف. منها : الوافي بالوفيات. ونكت الهميان. وألحان السواجع. والتذكرة. والغيث المسجم في شرح لامية العجم. وغيرها من نفائس المؤلفات الأخرى.
توفي سنة 764 هـ . أنظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 2: 86. طبقات الشافعية 6: 94. الأعلام للزركلي 2: 315 – 316. آدب اللغة، لجرجي زيدان 3: 161.

[2] النابغة النبيه، والأستاذ الفقيه، الفنان الكبير، والأديب الشهير، سيدي عبد الكريم بن سيدي الحاج أحمد سكيرج، من مواليد مدينة فاس في 15 ربيع الأول عام 1322 هـ كان رحمه ا مرضيا عند والده يحبه محبة خاصة، وهو من الأدباء المتفوقين شعرا ونثرا، وله إلمام كبير بفن الخط بجميع أنواعه، وقد أطلعني ابنه الأستاذ الفاضل سيدي محمد الكبير على مصحف كتبه بخطه، وهو في غاية النفاسة والجمال، وكثيرا ما كانت الجرائد والمجلات تنوه بعبقريته الكبيرة، خاصة فيما يتعلق بالألوان والخطوط البديعة والزخرفة، وإلى جانب ذلك كان له رحمه ا اهتمام وولوع بفن التصوير الفتوغرافي، وقد أبدع فيه غاية الإبداع، كما ألف كتابا سماه (المعرب عن تراجم بعض أعيان المغرب) غير أنه لم يتمه، وقد عززه بصور فوتوغرافية للعديد من الشخصيات التي ترجم لها فيه، ويعد هذا العمل من أولوياته التي لم يسبقه إليها أحد، ويكفيه فخرا أنه حافظ على خزانة والده العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج من التلف والضياع والآفات طيلة حياته، وخلاصة القول أن هذا الرجل جدير بكل ما قيل ويقال فيه من التنويه والتقدير والإكبار، وكانت وفاته بتاريخ 10 شعبان عام 1403 هـ الموافق 23 مايو سنة 1983 م. ورثاه ابن عمه الأستاذ الأديب سيدي عبد الغني سكيرج بهمزية قال في مطلعها :

إن فاتني يوم الرحيل عزائي   فلقد حملت اليوم فيك رثائي

أرثي أبا وأخا وخلا رائقا   غضا عطوفا نير الأحشاء

والـدي الكـرام إني مشوق　　　لكـم دائما أريـد لقاكم
هذه صورتـي وصورة نجلي　　　قد أتتكـم لتمنحوها رضاكم
سكنت روحهتـا لديكم فسارت　　　دون روح إليكـم لتراكم

وسنح لي أن نقيد بيتين أنشدهما لي سيدنا العم حفظه ا ، وكان سيدنا الوالد كثيرا ما ينشدهما لي، وهما:

خذ القناعة من دنياك وارض بها　　　واجعل نصيبك فيها راحة البدن
وانظر لمـن ملك الدنيا بأجمعها　　　ما فاز منها سوى باللحد والكفن[1]

ثـم انجـر بنا بساط الكلام في القناعة، أنها هي رأس الغنى، وأن الطمع هو أقبح خصلة في الإنسان، وذكرت له قول الحكم العطائية :

أنت حر لما عنه آيس، وعبد لما له طامع، وأنشدته قول من نظم هذه الحكمة:

العبـد حـر ما قنع　　　والحـر عبـد ما طمع
فاقنـع ولا تطمع فما　　　شيء يشن سوى الطمع

وذكرت له قول الحكم: ما بسقت أغصان ذل إلا على بزر طمع اهـ.

سوانح يوم الأربعاء 5 صفر 1328 هـ
16 فبراير 1910 م

وفي يوم الأربعاء بعثت لسيدنا الوالد صورة أيضا مع صورة الإبن، وكتبت فيها أبياتا سنح لي أن نقيدها هنا وهي:

أحبتنـا هـذه صورتي　　　أتـت لتفـوز برؤيتكم
وفـي جنبها ولدي ناظر　　　إليكـم ليحظى بدعوتكم
فنأمل منكم دوام الرضى　　　وحسـن قبول بعطفتكم
فـلا زال جمعكـم سالما　　　إلى أن نراكـم بجملتكم

---

(1) أنظـرهما فـي كتاب المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي 1: 160 – 161، وذلك بصيغة قريبة من هذه وهي :

هي القناعة فالزمها تعش ملكا　　　لو لم يكـن منك إلا راحـة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها　　　هل راح منها بغير القطن والكفن

وقـريب مـن هـذا قول السلطان أبي علي المريني يخاطب أخاه السلطان أبا الحسن. وقد حصره بسجلماسة حتى أخذه قسرا.

فـلا يغرنـك الدهر الخئون فكم　　　أباد من كان قبلي يا أبا الحسن
الدهر مذ كان لا يبقى على صفة　　　لابد مـن فـرح فيه ومن حزن
أيـن الملوك التي كانت تهابهم　　　أسد العرين ثووا في اللحد والكفن
بعـد الأسرة والتيجان قد محيت　　　رسومها وعفت عن كل ذي حسن

وفـي هـذا اليوم أتاني سيدنا العم حفظه ا بورقة الرزنامة، وفيها مطبوع: كان أبو عبد ا الفارسـي يـتقلد قضاء بلخ، وكان صديق أبي يحي الحمادي، فكتب هذا إليه يعاتبه على ترك المهاداة بما يجلب من بلخ، فأجابه أبو عبد ا : قد أهديت للشيخ عدل صابون ليغسل به طمعه، والسلام. وفيها قول أعرابي في قمر وكان قد هداه نوره إلى ما كان يقصد:

ما ذا أقول وقولي فيك ذو حصر وقد كفيتني التفضيل والجملا

إن قلت لا زلت مرفوعا فأنت كذا أو قلت زانك ربي فهو قد فعلا

سوانح يوم الخميس 6 صفر 1328 هـ

17 فبراير 1910 م

وفي يوم الخميس وقفت على قول بعضهم، وفيه أتم نصيحة، وهو:

يا طالبا رحمـة ا سلـم أمـورك

ما خـاب عبد رجاه وإنمـا العـز با [1]

وتذكرت في هذا اليوم قول الزمخشري في تقديم الزمان لغيره عليه وتأخيره، وقد أجاد، وهو:

وأخرني دهري وقدم معشرا على أنهم لا يعلمون وأعلم

وقد أفلح الجهال أيقنت أنني أنا الميـم والأيام أفلح أعلم

سوانح يوم الجمعة 7 صفر 1328 هـ

18 فبراير 1910 م

وفي يوم الجمعة تذكرت هذين البيتين، فسنح لي أن أقيدهما، وهما:

إذا بخـل الصديق عليك يوما بشـيء أنـت محتاج إليه

فصور شخصه في الأرض قبرا وقـل قد مات لا أسفا عليه

وتذكرت بأولهما قول القائل:

إذا اعتـذر الصديق إليك يوما تجـاوز عن مساويه الكثيره

فإن الشافعـ ـي روى حديثـا بإسنـاد صحيح عن المغيره

[1] البيتان للعارف بربه الشيخ أبي الحسن الششتري، من موشح له يقع في 16 بيتا.

عن المختار أن ا يمحو   بعذر واحد ألفي كبيره [1]

ووقفت على قول القائل:

فلو كانت الدنيا جزاء لمحسن   إذا لم يكن فيها معاش لظالم

لقد جاع فيها الأنبياء كرامة   وقد شبعت فيها بطون البهائم

فسنح لي كتبهما هنا، وكذلك قول القائل، وما ألطفه:

إذا كان شيء لا يساوي جميعه   جناح بعوض عند من أنت عبده

وأشغـل جزء منه كلك ما الذي   يكون على ذا الحال قدرك عنده

سوانح يوم السبت 8 صفر 1328 هـ

19 فبراير 1910 م

وفي يوم السبت تذكرت قول بعضهم، وقد أجاد في قوله:

ومهفهف عني يميل ولم يمل   يوما إلي فقلـت مـن ألم الجوى

لم لا تميل إلي يا غصن النقا   فأجاب كيف وأنت من جهة الهوى[2]

وقـد أحسن فيهما للغاية، لولا أنهما سلما من عيب التضمين، ومثلهما في الحسن مع التضمين قول ابن الخطيب في وصف خامة زرع:

انظر إلى الزرع وخامته   تحكي وقد مالت أمام الرياح

كتيبة خضراء مهزومة   شقائق النعمـان فيها جراح[3]

وهـذان البيتان مع ما قبلهما، لما كانا في غاية الحسن من جهة المعنى، فإنه يغتفر فيهما هذا التضـمين الـذي هو عندهم من عيوب الشعر، لا سيما وبعضهم يجوزه فيما إذا لم تكن نفس القافية متوقفة على ما بعدها، مثلهما، وإلى التضمين أشار ابن الحاجب بقوله :

تضمينهم أن يكون البيت مفتقرا   إلى الذي بعـده كأنـه وصلا

---

(1) قريب من هذه الأبيات قول الشاعر:

ليس الصديق الذي إن زل صاحبه   يوما رأى الذنب منه غير مغفور

وإن أضـاع لـه حقا فعاتبه   فيـه أتاه بتزويـق المعاذير

إن الصديـق الذي ألقاه يعذر لي   مـا ليس صاحبـه فيه بمعذور

ومنه أيضا قول الشاعر محمود الوراق:

لا بـر أعظـم من مساعـدة   فاشكر أخاك على مساعدته

وإذا هفـا فأقلـه هفوتـه   حتى يعـود أخا كعادته

فالصفح عن زلال الصديق وإن   أعيـاك خير من معاندته

(2) أنظر كتاب خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، لعبد القادر البغدادي 2: 54

(3) البيتان للقاضي أبي الفضل عياض، وليس لابن الخطيب كما جاء في النص، وهما من بحر السريع.

سوانح يوم الأحد 9 صفر 1328 هـ

20 فبراير 1910 م

وفي يوم الأحد تذكرت قول من قال، وقد أجاد في المقال، فلذلك سنح لي أن نكتبه هنا وهو:

إذا كنت أعلم علما يقينا   بأن جميـع حياتي كساعه

فلم لا أكون ظنينـا بها   وأجعلها في صلاح وطاعه[1]

وتذكرت بهما ما كان ينشده كثيرا بعض الشيوخ:

بقية العمر عنـدي ما لها ثمن   وكيف يدرك ما قد ضاع من زمني

يستدرك المرء فيه أمر مقصده   حقا ويستبـدل القبيـح بالحسن[2]

سوانح يوم الإثنين 10 صفر 1328 هـ

21 فبراير 1910 م

وفي يوم الإثنين وقفت على قول القائل، فسنح لي أن أقيده، وهو:

ألا قـل لمن دهمتـه خطوب   وجـرع من دهـره ما أسا

تأسـى بمـن قبل يا رجـل   فإن التأسـي دواء الأسى[3]

وتذكرت بهما قول الخنساء في أخيها:

ولـولا كثرة الباكيـن حولي   على موتاهـم لقتلت نفسي

وما يبكـون مثل أخي ولكن   أسلي النفس عنه بالتأسي[4]

وتذكـرت أيضا قول بعض الصحابة رضي ا عنهم، يخاطب سيدنا عبد ا بن عباس رضي ا عنهما لما توفي العباس وحزن عليه ابنه سيدنا عبد ا :

اصبر نكن بك صابرين فإنما   صبر الرعية عند صبر الراس

خير من العباس صبرك بعده   وا خيـــر منـك للعـباس

---

(1) البيتان للعلامة سليمان بن خاف التجيبي القرطبي. المعروف بأبي الوليد الباجي، وهما من بحر المتقارب.

(2) البيـتان للشـاعر علي بن محمد المعروف بأبي الفتح البستي. وهما من بحر البسيط. ولهما صيغة آخرى غير هذه وهي:

بقية العمر ما عندي لها ثمن   وإن غدا خير محبوب من الثمن
يستدرك المرء فيها ما أفات ويحـيي ما أمات ويمحو السوء بالحسن

(3) البيتان للعلامة الشيخ حمدون بن الحاج السلمي، وهما من بحر المتقارب.

(4) البيتان من قصيدة سينية للشاعرة الشهيرة تماضر بنت عمر الرياحية المعروفة بالخنساء. تقع هذه القصيدة في 15 بيتا. قالت في مطلعها:

يؤرقنـي التذكر حيـن أمسي   فأصبح قد بليت بفرط نكس
على صخـر وأي فتى كصخر   ليـوم كريهة وطعان حاس
وللخصـــم الألد إذا تعـــدى   ليأخـذ حق مظلـوم بقنس
فلـم أرا مثلـه رزء لجـــن   ولـم أرا مثلـه رزء لإنس

سوانح يوم الثلاثاء 11 صفر 1328 هـ

22 فبراير 1910 م

فـي يـوم الثلاثـاء وقفت في كتاب الكشكول على أبيات كنت احفظها فسنح لي أن نقيدها وهي:

إذا أنت لم تعـرف لنفسك حقها	هوانا بها كانت على الناس أهونا
فنفسك أكرمها وإن ضاق مسكن	عليك بهـا فاطلب لنفسك مسكنا
وإيـاك والسكنـى بـدار مذلة	تعـد مسيئـا بعدما كنت محسنا

وبعدها هذه الأبيات، وقد أجاد فيها قائلها وهي:

شخوص[1] الفتى عن منزل الضيم واجب	وإن كـان فيـه أهله والأقارب
وللحـر أهل إن نـأى عنـه أهلـه	وجانـب عز إن نأى عنـه جانب
ومـن يرض دار الضيـم دارا لنفسه	فذلك في دعـوى التوكـل كاذب

غيره:

بلاد الله واسعـة الفضاء	ورزق الله فـي الدنيا فسيح
فقـل للقاعدين على هوان	إذا ضاقت بكم أرض فسيحوا[2]

وسنح لي أن نقيد بيتين كنت قلتهما:

من عـادة الشعراء أن مدحهم	يصير هجوا على من لا يجيزهم
ولا ترى عاقلا في الناس خاصمهم	لكـن لإحـراز ماراموا يجيزهم

واجـتمعت بمحبنا الأديب سيدي أحمد جسوس بداره، وجرت المذاكرة في ساداتنا أهل البيت، فأنشدني البيتين المشهورين فسنح لي أن أقيدهما هنا وهما:

أقـول قولا حسنـا قلته	ما النفـس فيما قلتـه آثمه
لكل شيء جوهـر فاخر	وجوهـر الخلـق بنو فاطمه

---

(1) شخوص: من شخص يشخص شخوصا، يقال شخص من بلد إلى بلد أي ذهب.

(2) البيـتان للشـاعر علي بن محمد المعروف بأبي الفتح البستي. وهما من بحر الوافر. وقريب من هذا المعنى قول الشاعر:

لا يمنعنك خفض العيش في دعة	من أن تبـدل أوطانـا بأوطان
تلقـى بكـل بلاد إن حللت بها	أهـلا بأهل وإخوانـا بإخوان

سوانح يوم الأربعاء 12 صفر 1328 هـ
23 فبراير 1910 م

وفـي يـوم الأربعاء سنح لي أن نقيد مذاكرة حصلت بيني وبين الفقيه المذكور في قوله عليه السـلام: (أكثر أهل الجنة البله[1].) قال حفظه ا : ذكر الشهاب فيه أن غير البله في الجنة، مقامهم عزيز أرفع من مقام غيرهم، ولعزتهم كان أكثر أهل الجنة البله، أقول: وهذا يتضح لك بأن المؤمن كما في حديث آخر: (كيس فطن إن نصح لا يغر.) فأثبت له الفطانة، والأبله غير الفطن. نعم إذا قلنا كما قاله جمهور العلماء : بأن الفطانة في الدين لا في الدنيا و إلا فإن كان فطنا في دنياه دون آخرته فهذا غير فطن، ولقد أجاد من قال :

أبني إن من الرجـال بهيمة   في صورة الرجل النبيه المبصر

فطن بكل مصيبـة في ماله   وإذا يصـاب بدينـه لا يشعـر[2]

وعلـيه، فإن كان أبله في دنياه وفطنا بأمور أخراه، فهو فطن، وهذا أكثر من غيره في الجنة، فـيقال: أكثـر أهل الجنة الفطناء، لكن قال النبي صلى ا عليه وسلم : أكثر أهل الجنة البله. يعنـي البله عند أهل الدنيا وهم فطناء في أمور أخراهم، ولك أن تقول البله هم الذين يكونون كالمجاذيـب زاهدين في دنياهم، أوهم العاملون لما بعد الموت كما قال : الكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت، والأحمق من اتبع نفسه هواها، وتمنى على ا الأماني).

سوانح يوم الخميس 13 صفر 1328 هـ
24 فبراير 1910 م

وفي يوم الخميس رأيت في كناشي بيتين كنت قيدتهما للموعظة فسنح أن نكتبهما هنا وهما:

يريد المرء في الدنيا خلودا   خلود المرء في الدنيا محال

نزلناها هنـا ثـم ارتحلنا   كذا الدنيـا نزول وارتحال

وتذكرت بهما قول القائل:

مشيناهـا خطى كتبـت علينا   ومن كتبـت عليه خطى مشاها

---

[1] رواه البيهقـي في شعب الإيمان 2: 59 (رقم 1163) 2: 126 – 127 (رقم 1366) (1367) (1368) مجمع الزوائد 8: 79 و 10: 264 مسـند الشهاب القضاعي 2: 110 (رقم 989) (990) فيض القدير 2: 79. سير النبلاء 6: 303. الفردوس بمأثور الخطاب 1: 362 (رقم 1463) ميزان الإعتدال 3: 261 (رقم 3364) كشف الخفاء 1: 186 – 187 (رقم 495)

[2] البيتان للخليفة الراشدي علي بن أبي طالب كرم ا وجهه. وهما من بحر الكامل.

ومـن كانـت منيتـه بأرض   فليـس يموت في أرض سواها[1]

كـتب إلي عمر الرياحي[2] ووصلني كتابه في هذا اليوم وفي ضمنه بيتين سنح لي أن أقيدها وهما :

ألا إن المـروءة حدثتني   بأنك فـي الوداد بلا شبيه
وإنك قد حميت لها ذمارا[3]   فقلت لها : صدقت فإن فيه

سوانح يوم الجمعة 14 صفر 1328 هـ
25 فبراير 1910 م

وفي يوم الجمعة تذكرت قول بعضهم :

وقائلة رأيت السود سادوا   فلازمهـم تفز بالمكرمات
فقلت لها: دليل الشؤم باد   فكالوجه الفعال مع الصفات

وتذكرت قول بعضهم وقد حفظتها عن شيخنا سيدي الحبيب الداودي[4] رحمه ا مع ما قبلها:

لا ترج من أسود خيرا فإن بني   حام إذا شبعـت بطونهـم فسقوا
وإن أنالتهـم الأيـام مخمصة   لا بـارك ا في أعمارهـم سرقوا
ما ساد منهم فتى إلا إذا قطعت   منه الخصى أو دوى من عوده الورق[1]

---

(1) ذكرهما صاحب كتاب المستطرف في كل فن مستظرف، لأبشيهي 2: 553، مقدما عليهما بيتين اثنين وهما:

أقـام علـى المسير وقد أنيخت   مطايـاه وغـرد حاديها
وقـال أخـاف عاديـة الليالي   علـى نفسي وأن ألقى رداها

(2) سـيدي عمر بن محمد بن علي بن العارف بربه العلامة سيدي ابراهيم الرياحي التونسي. فقيه أديب مؤرخ فاضل. مـن أعـلام الطـريقة التجانية في بلاده. كان عديم النظير في الصلاح والعبادة والتقوى. من بين مؤلفاته كتاب: تعطير النواحـي في ترجمة سيدي ابراهيم الرياحي. وهو أديب وشاعر مفلق. ذو اطلاع واسع واستحضار عجيب. له بالعلامة سـكيرج صداقة وعهود مثينة. تشهد لها وفرة ما دار بينهما من رسائل وأجوبة ومساجلات. وقد أدرجت جانبا منها في الجـزء الأخيـر من كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج. وهو جزء خاص بما توصل به العلامة المذكور من رسائل. ولهذا سميناه : إتحاف السائل بما توصل به العلامة سكيرج من أجوبة ورسائل.

(3) الذمار : كل ما يلزمك حمايته وحفظه والدفع عنه.

(4) العلامة سيدي الحبيب بن الحاج الداودي التلمساني، فقيه، محدث، أديب، كانت له خبرة كبيرة بعلم أسرار الحروف، وهـو مـن أكبر أساتذة وشيوخ العلامة سكيرج، توفي رحمه ا قرب الساعة العاشرة من نهار يوم السبت فاتح شهر شوال عام 1325هـ ، بعد غيبوبة دامت أربعة أيام، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

علام الدمع من عينيك يجري   ويحكي في التلاطم موج بحر
ونفسك في أنين وانزعاج   كأنك قلب قلبـك فوق جمر
أمن فقد الحبيب أطلت حزنا   نعـم وا فيه فقدت صبري

انظـر تـرجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 14، وترجمته واسعة في كتاب حديقة أنسي في التعريف بنفسي للعلامة سكيرج، انظر كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 29.

(1) من هذا القبيل قول الشاعر أبي الطيب المتنبي:

العبـد ليس لحر صالح بأخ   لو أنـه في ثياب الحر مولود

سوانح يوم السبت 15 صفر 1328 هـ
26 فبراير 1910 م

وفـي يوم السبت سنح لي أن نقيد قصيدة في مدح سيدنا القطب الرباني مولانا أحمد التجاني رضي ا عنه قد استعملتها فيه متشكيا من فعل الزمان وما أكابده من الأحزان نصها :

غرامـي في حـب التجاني لا يخفى وشوقـي له فـي القرب والبعد لا يطفى
فقـل للـذي قد صار لي فيه عاذلا بلومـــك إغرائي على حبه يلفى
أمـا إنـه بدر بأفق العلا بدا بأنـواره ظلمـاء نهـج الهدى تنفى
أبـان لأهـل الرشد خير طريقة فمـن سار فيها نـال فوق العلى غرفا
طريـق أنـار ا قلـب مريدها وضـوع كل الكائنـــات بها عرفا
ولست ترى في الناس جاحد فضلها سـوى جاهل أنـواره انكشفت كشفا
وهل شيخنا الختم التجاني في الورى سـوى عارف با عمـا الورى عرفا
له أوليـاء ا في الخلق قد عنوا ولسـت ترى فـي فضلــه منهم خلفا
يمـد الـورى سـرا بأمداد سره وهـذا يـراه كــل مـن منح الكشفا
على أن كل الناس قد شهدوا له بهذا وهل شمس الضحى إذ طلعت تخفى
لقد كـان مكتومـا عن الخلق أمره إلـى أن بدا قطبـا بـه العالـم احتفا
فأصبـح معروفا لدى كل عارف ومـن بحره كـل امرئ غـارف غرفا
فكـــان إماما والجميـع وراءه لتقديمـــه والكل مـن حوله اصطفا
تقدم بالآداب فـي حضـرة العلى وخـــص بمـا أضحـى به ماله أكفا
وصار يرى في حضرة القدس مفردا وفـاز من المختـار بالمـورد الأصفى
وحضرة أهـل ا لـم تـر داخلا على بابهـــا إلا الـــذي حقـه وفى
وأما الـذي لـم يـأت بالأدب الذي به طلبتـــه فهـــي تخسفـــه خسفا
لقـد كملت أوصافـه في ذوي العلى وعليـاؤه لم يحصهـــا أحـــد وصفا
ومـن رام يستوفي مديـح جماله ولـو قام طول الدهر بالمدح ما استوفى

تمـام هـذه القصيدة في ديوان المؤلف رحمه ا المسمى بالنفحات الربانية في الأمداح التجانية ص- 98 الطبعة الحجرية.

لا تشتر العبد إلا والعصا معه إن العبيـد لأنجـاس مناكيد

ومن ذلك أيضا قول الشاعر ابن الوردي:

ما السود كالبيض وصل السود منقصة فعـد عنهـن واذكـر حجلة الحبل
وارجـع إلى الحق والطبع السليم تجد في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

سوانح يوم الأحد 16 صفر 1328 هـ

27 فبراير 1910 م

وفـي يوم الأحد وقفت على تقييدة بخطي، نظمت فيها أبياتا، سنح لي إثباتها حتى لا تدخل في خبر كان، منها قولي:

حسن ظنونك بالمولـى فإن له　　بعبـده دائما حسـن العنايات

واعلم بأن لـه سبحانه فرجا　　لعبده في الورى عند العني ياتي

وقلت من باب قول صاحب الحكم العطائية: من شكر النعم، فقد قيدها بعقالها[1] :

إن شكر الإله منك على آلائـــــــــه إن وعيـت لـب [2] العباده

فاشكر ا فهو مولى إذا ما　　جئتـــه شاكرا تنال الزياده

وقلت أيضا :

إذا ظفرت كفاك يوما بنعمة　　ورمت بأن تبقى لديك مقيمه

فدوام على شكر الإله فإنها　　تصير به طول الدوام عظيمه

وقلت أيضا :

شكـر الإلـه على الـذي　　أولاك مـــن نعمائـه

داع إلـى نيـل الزيـــا　　دة منـك مـن آلائه[3]

وقلت أيضا :

الشكر مفتاح أبواب الزيادات　　من كل خير من المولى لنا ياتي

لذا بـه أمـر المولى خلائقه　　عساهـم أن ينالوا كل خيرات

فهو الكريم الذي للخير يرشدهم　　وفضلـه لا يـزال في زيادات

فلتشغتـل بالذي إليه أرشدنا　　إن الكريـم ليهـدي للسعادات

سبحانـه من كريم شكر نعمته　　لسنـا نوافي به في كل ساعات

فكيـف لا ومن النعماء منه لنا　　شكـر لـه دائما في كل حالات

---

[1] إشـارة لقول ابن عطاء ا الإسكندري في الحكم الكبرى : من لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قيدها بعقالها (الحكمة رقم 64)

وعن هذه الحكمة يقول العلامة سيدي عبد الكريم بنيس في نظمه للحكم المسمى : الواضح المنهاج في نظم ما للتاج

مـن لم يكـن شاكرا أنعمه　　فقـد تعرض بالنعماء للنقل

والشكر قيد وصيد قيد حاصلها　　وصيد شاردها بأوثق الحبل

[2] اللب : الخالص من كل شيء.

[3] إشـارة لقوله تعالى (وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم) سورة ابراهيم الآية 14 والشكر هو في اللغة الثناء على المنعم بما يدل على أن الشاكر قد عرفه واعترف له بها وبحسن موقعها عنده، مع حضور قلبه له لأجل ذلك.

و قـال صاحب كتاب لطائف الأعمال: الشكر هو ملاحظة المرء لما أنعم ا به عليه من إعطائه ما ينبغي، وصرف ما هو من المكروه كذلك. سواء كان الإعطاء والمنع راجعين إلى ما يتعلق بالنفس أو البدن أو الدنيا والآخرة.

وقالـــت:

للشكـر سـر كبيـر في نيـل كل سـرور

لا يشكـرا شخص إلا وقـي مـن شرور

وقالـت مـن باب قول صاحب الحكم : من علامات الإعتماد على العمل، نقصان الرجاء عند وجود الزال[1]. هذه الأبيات:

وعلامـات الاعتمـاد علـى الأعمال نقص الرجا عند المزله[2]

والرجاء الذي يجـر إلى التـــــرك غرور يفضي الفتى للمذله

فاجعـل الخـوف والرجـا بين عينيك سواء تفز بأعظم نحله[3]

غير أن الرجـاء يطلـب تغليبـه عنـد الوفــاة بين الأجله

وبهـذا أتـت لنا سنـة المختـار والصحب فـي صحيح الأدله

وقالـــت:

لا تقطعن الرجا في ا في أمل ولو ملأت جميع الكـون بالزال

فإن كنزا في خزائنـــه مواهـب[4] خصهـا بكل متكل

فاهرع إلى فضله في كل مسألة تنال غاية ما ترجــوه من أمل

ولا يصـدك عمـا منه تعرفه من فضلـه عمـل تأتيـه بالكسل

فـإن نقص الرجـا في ا دل على اعتمـاد فاعلـه منه على العمل

ولن ترى عملا يفضي بصاحبه لجنة غير محض الفضل فـي الأزل

وقالـــت:

كن واثقا بالذي أولاك طاعته بـأن آلاءه تأتيـك منقاده

ولا تظـن بأنـه يغيرهـــا حتى تغير ما قلب الك ارتاده

فهو الذي إن يقم بشكر نعمته من العبـــا د عبيد دائما زاده

وقد تحقـق عند العارفين به بأنـه مانـح للكل ما اعتاده

---

(1) هي أول الحكم التي افتتح بها العارف با ابن عطاء ا الإسكندري في كتابه الحكم الكبرى. وقال لدى شرحه لها: إن هـذه الحكمـة (من علامات الإعتماد على العمل نقصان الرجاء عند وجود الزال) تحث المسلم على عدم الإعتماد علـى أعماله الصالحة. سواء كانت من مقـام الإسلام. أو الإيمان. أو الإحسان. بأن يغتر بها ويركن إليها. بل يجـب علـيه أن يعلـق قلبه با تعالى وبرحمتـه وفضله. مصداقا لقوله تعالى : الذين صبروا وعلى ربهم يتوكلون (سورة النحل الآية 42) فهذه الآية تشير إلى اعتماد العبد وتوكله على ربه تعالى لا على عمله. لقول النبي صلى ا عليه وسلم : لن يدخل أحدكم الجنة بعمله. قالوا : ولا أنت يا رسول ا þ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدني ا بفضله ورحمته. إلخ...
وعن هذه الحكمة يقول العلامة سيدي عبد الكريم بنيس في نظمه المسمى : الواضح المنهاج في نظم ما للتاج
فمن علامة الإعتداد بالعمل نقصان حال الرجا في حالة الزال

(2) المزله : من الزال وهو ارتكاب الذنوب والخطايا

(3) النحلة : العطية والهبة

(4) المواهب : العطايا

فاجعل رجاءك فيه دائما حسنا ولو أتيت بما لم تحص تعداده

فـإن رحمتـه عمت خلائقه وإنهـا لعلـى خوارق العاده

سوانح يوم الإثنين 17 صفر 1328 هـ
28 فبراير 1910 م

وفـي يـوم الإثنين وقفت على قول الشيخ سيدي حمدون بن الحاج[1] في عقده لقول صاحب الحكم: (الكون كله ظلمة) الخ. فسنح لي أن أقيده هنا للحفظ:

الكون كله ظلمـة منوره ظهور حق به لولاه كان هبا

فمن رآه ولم يشهد مكونه من قبل أو بعد أو فيه فقد حجبا

ووقفـت علـى تقيـيدة بخطـي نصها: قـال العـارف باللـه أبـو المواهب التونسي في رسالته (قوانين الإشراق، إلى كل الصوفية بجميع الآفاق.) ما نصه : لا تقل إن تأخر الزمان، يوجب ذهاب الأعيان، لكنهم وا في هذه الأعصار، ككنز الجدار :

ما ضرنـي إن لم أكن متقدما بالسبق يعرف آخذ المضمار

ولئن غدا ربع البلاغة دارسا فلرب كنز في أساس جدار[2]

لا ينتقص من جاء في آخر دورات الكيان، إن قدمه علمه على الأفاضل والأقران، فقد أخر ا سيدنا محمدا صلى ا عليه وسلم، وقدمه في رتبة المدح والذكر اهـ .

سوانح يوم الثلاثاء 18 صفر 1328 هـ
1 مارس 1910 م

وفي يوم الثلاثاء كتبت إلى بعض الأحبة، واستعملت بيتين فيه، سنح لي أن أقيدهما وهما:

سألت عن المكارم أين حلت فقالـت إنني قد صرت فيه

---

[1] أبو الفيض حمدون بن عبد الرحمان بن الحاج السلمي المرادسي، من أكابر فقهاء وأدباء فاس، توفي رحمه ا سنة 1232 هـ من مؤلفاته : نفحة المسك الداري لقارئ صحيح البخاري، وقصيدة ميمية في السيرة النبوية في نحو 4000 بـيت، ولـه شـرح علـيها في خمسة أسفار، وحاشية على تفسير أبي السعود ومتبوعه البيضاوي، وديوانه الذي سماه السـليمانيات مـع شرحه، ويحتوي على قصائد رائعة جميلة في مدح السلطان العادل مولاي سليمان بن محمد العلوي رحمه ا .

انظر ترجمته في النبوغ المغربي للعلامة عبد ا كنون ج 1 ص 296 وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 379 رقم التـرجمة 1516 وفي الإستقصا للناصري ج 4 ص 151 وفي سلوة الأنفاس للكتاني ج 3 ص 4 وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 275. وخصصه ابنه العلامة سيدي محمد الطالب بتأليف في ترجمته سماه : نيل السرور و الابتهاج بترجمة الشيخ حمدون بن الحاج، وسماه كذلك : رياض الورد إلى ما انتهى إليه هذا الجوهر الفرد.

[2] البيـتان للشـاعر الشهير لسان الدين ابن الخطيب. وهما من بحر الكامل. و لهما بيت ثالث لم يذكره صاحب هذا النص وهو :

وعلى احتفال المدح فيك فإنما هي نقطة من بحرك الزخار

فقلت لها وأين دليل هذا   فقالت نظمه دري بفيه

وسنح لي أن أقيد هذه الأبيات في الأيام التي يقلم فيها أظفاره:

في قص ظفرك يوم السبت آكلة   تبدو وفي ما يليه تذهـب البركه

وعالـم فاضـل يبـدو بتلوهما   وإن يكن في الثلاثا فاحـذر الهلكه

و يورث السوء في الأخلاق رابعها   وفي الخميس الغنى يأتي لمن سلكه

والعمـر والرزق زيدا في عروبتها   عـن النبي روينـا فاتبـع نسكه

سوانح يوم الأربعاء 19 صفر 1328 هـ

2 مارس 1910 م

و في يوم الأربعاء تذكرت قول بعضهم لما رأى البحر، وقد كتبتهما فيما تقدم:

لا أركب البحـر أخشـى   علي فيـه المعاطـب

طيـن أنـا وهـو ماء   والطين في الماء ذائب[1]

وكتبت في رسالة لشيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس:

عليكم سلام يمـلأ الكـون طيبها   ويغدو به غصن الزمان رطيبا

و تضحى به الأرواح ترقص نشوة   بأشباحهـا لم تخش فيه رقيبا

سـلام إذا يسـري يسـر أحبتي   ويرغم أعدائي ويشفي الحبيبا

ويحملـه في كـل وقت إليكم   نسيـم به يضحى البعيد قريبا

وسـنح لـي أن نقول: لا يخفى أن برور الولد بوالديه مأمور به، لما جلبوه من المنفعة إليه، وبثوه من الإحسان لديه، وأعظم به من إحسان، وشكر المحسن واجب شرعا وعقلا، وأما من لم يقل ببرورهم فهو من الضلالة بمكان، وكان بعض الحكماء يضرب أباه ويقول: هو أدخلني في عالم الكون، وعرضني للموت والأمراض. وأمر المعري أن يكتب على قبره:

هـذا جنـاه أبـي علـي وما جنيت على أحـد

وقال في التزوج والولد:

وتركتهم في نعمة العدم التي   سبقـت لذاذتها نعيم العاجل

ولو أنهـم ولدوا لعانوا شدة   ترمي بهم في موبقات الآجال[2]

وذلك من فرط الفلسفة، التي تفضي إلى السفه، نسأل ا السلامة من عدم شكر الوالدين.

---

(1) البيتان للشاعر عبد الجبار بن أبي بكر المعروف بابن حمديس، وهما من بحر المجتث.

(2) الأبيات لأبي العلاء المعري. من قصيدة لامية تقع في 11 بيتا. قال في مطلعها :

لا يغبطن ماش فوارس شرب   ما فـارس إلا كـآخر راجل

ويداي في دنياي وهي حبيبة   كيدي أبي لهب غدا في الآجل

وإذا افتكرت فما يهيج تفكري   فيما أكابـد غير لوم الناجل

وأرحت أولادي فهم في نعمة الـعدم التـي   فضلت نعيم العاجل

سوانح يوم الخميس 20 صفر 1328 هـ

3 مارس 1910 م

و فـي يـوم الخميس كتبت هذه الأبيات لبعض الأحبة، كنت واعدته بالحضور عنده فمنع من ذلك مانع، ونصها:

يـا صاحب الخلـق الجليـل وكـامل الخلق الجميـل

إنـي وعدتـك موعـدا و الوعـد يرعـاه الخليل

لكننـي يـا سيـدي بينـي وبيـن القصـد حيل

و العـذر يقبلـه الـذي عـن نهـج حـق لا يميل

فلـذاك نطلـب منك لي صفـحا بفضلـك يـا جليل

فعليـك خيـر تحية يشفـي العليـل من الغليل

سوانح يوم الجمعة 21 صفر 1328 هـ

4 مارس 1910 م

وفـي يـوم الجمعة سنح لي أن نكتب في هذا اليوم المبارك الذي هو من أعياد المومنين قول بعضهم:

ما عيدك الفخم إلا يوم يغفر لك لا أن تجـر بـه مستكبـرا حللـك

كم من جديد ثيـاب دينه خلق تكـاد تلعنه الأقطـار حيـن سلك

وكم مرقـع أثواب جديد تقى بكت عليه السما والأرض حين هلك[1]

ورأيت قول عبد الحق الإشبيلي، فسنح كتبه هنا :

وكانت لي ذنوب موبقات يضيق بذرعها حرف الروي

فلما أن وليت الحكم يوما أتى الوادي فطم على القري

القري زنة العلي، هو مجرى الماء في الحوض، قاله الجوهري. ويعجبني قول من قال :

---

(1) الأبـيات للشاعر ابراهيم بن مسعود التجيبي. المعروف بأبي إسحاق الألبيري. ولهم بيت رابع لم يذكره صاحب هذا النص وهو :

ما ضر ذاك طمراه ولا نفعت هذا حلاه ولا أن الرقاب ملك

لا يعجبنك من يصون ثيابه   حذر الغبار وعرضه مبذول
فلربما افتقر الفتى فرأيته   دنس الثياب وعرضه مغسول

سوانح يوم السبت 22 صفر 1328 هـ
5 مارس 1910 م

وفي يوم السبت سنح لي أن نقيد قول القائل في المروءة:

مررت على المروءة وهي تبكي   فقلت لها وما تبكي الفتاة
فقالت كيف لا أبكي وأهلي   جميعا دون خلق الله ماتوا[1]

كما سنح لي أن نكتب قول القائل :

مما يزهدني في أرض أندلس   ألقاب معتضد فيها ومعتمد
ألقاب مملكة في غير موضعها   كالهر يحكي انتفاخا صورة الأسد[2]

سوانح يوم الأحد 23 صفر 1328 هـ
6 مارس 1910 م

وفي يوم الأحد استعملت عشرة أبيات في مدح الحضرة المحمدية، قرئت بعد الدرس بين العشائين في الزاوية المباركة بطنجة نصها :

أخلاي في مدح النبي الشفاء   وفيه لأدواء القلوب الدواء
مدائحه للقرب منه وسيلة   ومداحه هم عنده قرباء
فيجبر كسر القلب منهم بسره   وفي يدهم من سره كيمياء
وهل مدحه إلا طريق سعادة   وفيه يرى للمقترين الغناء
لقد فاز من وافى إليه بمدحه   وإن لم يكن بالمدح فيه وفاء
وكيف نوفي بالمدائح شكر من   عليه من الرحمن وافى الثناء

---

(1) للشاعر اللبناني حنا بك الأسعد تخميس لهذين البيتين ونصه :
زمان الهون جاء بكل فتك   غزا شرف النفوس بماء بتك
فيا للغوث من عار وهتك   مررت على المروءة وهي تبكي
فقلت لها لما تبكي الفتاة
ومومهت الكلام بدون مهل   بلفظ ظاهر في لبس جهل
دعي فرط البكايا يا روح سؤلي   فقالت كيف لا أبكي وأهلي
جميعا دون خلق الله ماتوا

(2) البيتان للشاعر ابن رشيق القيرواني، وهما من بحر البسيط.

فيـا سعد مـن أثنى عليه فإنه يكون عليه من رضـاه رداء
فكـل مقـام فيـه مداحه يرى عليهـم من النـور الإلهي لواء
فدوموا على أمداحه فهي منهج لنيـل الذي ترجونـه وتشـاء
عليـه صلاة ا مـا قال قائل : أخـلاي في مدح النبي الشفاء

سوانح يوم الإثنين 24 صفر 1328 هـ
7 مارس 1910 م

وفي يوم الإثنين استعملت أيضا عشرة أبيات، ونصها:

مديح رسول ا يشفي القلوبا ويكشف عن كل النفوس الكروبا
ويكسبهـا بعد اكتئاب مسرة ويدفع في الدارين عنها الخطوبا[1]
ويورثهـا حب الرسول وحبه بـه يغفر ا الغفـور الذنوبا
فقوموا على ساق لمدح جنابه تفوزوا بأسـرار تنير القلوبا
مدائحـه حقـا على كل مسلم لهـا أوجب ا الكريم وجوبا
وكل امرئ أضحى يمتع سمعه بأمداحه لم يخش يوما حروبا
ويصبح و الآساد تخشى لقاءه بهيبتـه يضحى لديهم مهوبا
ويستـر من بين الأنام عيوبه ويبدي له بالكشف منه الغيوبا
ويظهر نـور الحق فوق جبينه وشمـس هداه لا تحل غروبا
عليه سـلام ا ما قال عاشق مديح رسول ا يشفي القلوبا

سوانح يوم الثلاثاء 25 صفر 1328 هـ
8 مارس 1910 م

وفـي يوم الثلاثاء وقفت على هذه الأبيات، فسنح لي كتبها، وهي مما أنشدنيه سيدي محمد بن الطيب العلوي لغيره:

إن رمـت نطقا بلفظ يومـا فزنـه وزنه
وانطـق به باختصار إن قل صبـرك عنه
وإن تجـد عنه صبرا فالصمـت أحسن منه

[1] الخطوب: مفرد خطب وقد غلب استعمال هذا اللفظ في الأمر العظيم المكروه

وقد أنشأت هذه الأبيات أخاطب بها شيخنا العلامة سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، نصها:

آلان قد كمل السـرور وراقا يا نفس قومي اضرب بساق ساقا

وترنحي[2] طربا ولا تعدل لمن قد صار يعدل في الهوى العشاقا

فأنا الذي خلع العذار وحل في حان الصبابة بالجوى الأطواقا

لما سكرت بكأس خمرة من له أضحى قليبـي دائما مشتاقـا

عبد الكريم المرتضى من طوقت منـا يداه أياديا أعناقـــا

نجل الرضى العربي بنيس الذي قد صار بحرا بالهدى دفاقــا

لا زال شمس سعـادة وهداية قد أشرقت أنوارها الآفاقـــا

سوانح يوم الأربعاء 26 صفر 1328 هـ

9 مارس 1910 م

وفـي يوم الأربعاء كان سيدنا العم يتأهب للسفر إلى تطوان، فاستحضرت بيتين حفظتهما من شـيخنا العلامـة سيدي الحبيب الداودي[1] رحمه الله، كان يقول لي فيهما: إذا قرأهما الإنسان ورأى المسافر إذا صد فإن الله يحفظه في سفره، فقلت لا بد لي من قراءتهما، وهما :

يا مزمعا بالرحيل عنا سلمك الله في المسالك

كان لك الله خير واق[2] أمنـك الله من مهالك

سوانح يوم الخميس 27 صفر 1328 هـ

10 مارس 1910 م

وفي يوم الخميس سافر سيدنا العم فقرأتهما عند وداعه، وصرت أتذاكر مع الأخ الأعز سيدنا محمد في شأن فراق الأحبة، وأن أحوال هذه الدنيا نسخة من أحوال الآخرة، ولا يعتبر بها إلا ذوو الأبصـار، يقول الله تعالى (فاعتبروا يا أولي الأبصار[3]) فيؤخذ من هذه الآية أن من لا اعتـبار لـه لـيس من ذوي الأبصار، والأمر لذوي الأبصـار في الآية بالاعتبار الإدامة

---

(2) ترنح : تمايل من سكر أو نحوه

(1) سبق التعريف به في ص

(2) واق: حافظ

(3) سورة الحشر، الآية 2

عليـه، على حد قولـه تعالى (يا أيها الذين آمنوا آمنوا[4]) أي دومـوا على إيمانكم، ومنه (فاعتبروا يا أولي الأبصار[5]) أي دوموا على اعتباركم ا هـ .

وفي هذا اليوم اجتمعت بالأمين الأرضى السيد الحاج محمد الزكاري حفظه ا ، فأنشدني ثلاثة أبـيات مـن كـلام العارف سيدي محمد الحراق فأعجبتني فكتبتها عنه لأثبتها هنا من جملة السوانح، ونصها:

أهديت روحي لمـن أهواه خالصة ... يوم النوى عله بالوصل يجزيها
فاستصغر الروح دون ما أردت بها ... وقال هيهات ما وصلي يساويها
فقلت قدرك عال قد علمت ولـــــكن الهدايـا على مقـدار مهديها

فأنشدته قول من قال، وفيه العجز الأخير:

جاءت سليمان يوم العرض هدهدة ... ألقت إليه بشيء كـان في فيها
وأنشـدت بلسان الحـــال قائلة ... إن الهدايا على مقـدار مهديها
لو كـان يهدى إلى الإنسان قيمته ... يوما لأهدت لك الدنيا وما فيها

سوانح يوم الجمعة 28 صفر 1328 هـ

11 مارس 1910 م

وفـي يـوم الجمعة أخذت ورقة من أوراق تقييدي لأقيدها في هذا الموضع، فوجدت فيها ما اخترته من ديوان ابن مظفر[1]، فمن ذلك قوله :

فلا تك في الدنيا مضافا وكن بها ... مضافـا إليـه إن قدرت عليه
فكـل مضاف للعوامل عرضة ... وقد خص بالجر المضاف إليه[2]

ومن أيضا، وفيها فكاهة:

أيا دادا حكت صدغاك واوا ... وما أحلـى ثنايـاك العذابا
لقـد صدتك أمك عن لقانا ... فيـا ماما دعي للوصل بابا[3]

---

(4) سورة النساء، الآية 136

(5) سورة الحشر، الآية 2

(1) عمـر بـن مظفر، المعروف بابن الوردي، شاعر أديب مؤرخ صوفي. من مواليد معزة النعمان بسوريا سنة 691 هـ . لـه ديـوان شعري مطبوع. وتتمة المختصر في التاريخ. ويعرف بتاريخ ابن الوردي. ومنظومة في التصوف سـماها : منطق الطير. واللباب في الإعراب. وتحرير الخصاصة في تيسير الخلاصة (في النحو) إلى غير ذلك من كتب كثيرة آخرى. وهو صاحب اللامية المشهورة التي مطلعها :

اعتزل ذكر الأغاني والغزل ... وقل الفصل وجانب الهزل

توفـي سنة 749هـ أنظر ترجمته في فوات الوفيات، لابن شاكر الكتبي 2: 116. والأعلام للزركلي 5: 67. والنجوم الزاهرة، لابن تغري بردي 10: 240. أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء، لمحمد راغب 5: 3

(2) البيتان للشاعر عمر بن مظفر المعروف بابن الوردي. وهما من بحر الطويل.

ومنـه أيضا:

أنـا إن سافـرت عنكـم   لا يصـر عنـدك صوره

فـي تعريـف و عدل   فـانصرافـي للضروره[4]

ومنـه:

يا بـدر تم نـوره باهـر   منزلـه في القلـب والطـرف

صدغك حرف النون في مشقه   مـن يعبد ا علـى حرف[1]

ومنـه:

شاعـر أخـرج نصفا زغلا   عند خبـاز فلما أن عـرف

قال لم تصرف هـذا قال مه   يصرف الشاعر مالا ينصرف[2]

وقال مضمنا للمثل المشهور:

رامـت وصالي فقلت لي شغل   عـن كل خـود تريد تلقاني

قالـت كـأن الخـدود كاسدة   قلـت كثيرا لقلـة القاني[3]

ومنـه:

يا مـن تولـى قاضيا   هـذا قضـاء أم قـدر

عـذرك في نسياننـا   أن القضـا يعمي البصر[4]

ومنـه:

قلـت لنحـوي إذا عرضـا   له بإعـراب الرضى أعرضا

يا حيث لو أصبح باب الرضى   كيف لما صرت كأمس مضى[5]

وقال فيمن سرق من مخذومه ظرف خمر، ففصله عن خدمته:

---

(3) البيتان للشاعر ابن الوردي، وهما من بحر الوافر.

(4) البيتان للشاعر ابن الوردي، وهما من مجزوء بحر الرمل.

(1) البيتان للشاعر ابن الوردي، وهما من بحر السريع.

(2) البيتان للشاعر ابن الوردي، وهما من بحر الرمل.

(3) البيتان للشاعر ابن الوردي، وهما من بحر المنسرح.

(4) البيتان للشاعر ابن الوردي، وهما من بحر السريع، من قصيدة رائية له قال في مطلعها :

قالوا بدا الشعر أما تشعر   قلـت من الواجب أن تعذروا

بخـده آيات حسن ومن   إذا رأى الآيـات لا يبهـر

نسختهـا صحت لقرائها   ففـي حواشيهـا لهم أسطر

بـل نحله قد رام من ثغره   شهـدا وخوف البرق لا يجسر

(5) البيتان للشاعر ابن الوردي، وهما من بحر السريع.

في ظرف خمر خان مخدومه　　　فامتلأ المخدوم غيظا عليه

لا بدع في ظرف أتى فاصلا　　　بين مضاف ومضاف إليه[6]

ووجدت مقيدا بها: ولم أدر لمن هما:

أقـــول طلبـــت مالا　　　ومـلـت عـن افتقـاري

فقالـت كـل قلـب　　　يميـــل إلـــى اليسـار[1] [2]

وبها أيضا من معناهما:

أيا روض الشمال فدتك نفسي　　　وأصغر أن أقـول فداك مالي

وقالوا مـل إلى جهـة سواها　　　فقلت القلب في جهة الشمال[3]

و وجدت بها قولي ملغزا في لفظة أب و هو:

أفدني ما اسم مسماه قد　　　أتى لسوى اثنين بين الورى

وجمله مثل جملتـــه　　　ولكـن بحرفيـن قد ظهرا

يقـول: أفدني أيها الطالب ما اسم مسماه، وهو الأب لسوى اثنين وهما آدم وعيسى، فإنهما بلا أب، وجمله أي عدده مثل جملته إذا وضعت موضع كل حرف عدده يكون هكذا أب 21. وهما حرفان فافهم.

سوانح يوم السبت 29 صفر 1328 هـ

12 مارس 1910 م

وفي يوم السبت أخذت ورقة من التقاييد فوجدت فيها ما سنح لي ذكره هنا، وذلك ما نقلته من مخلاة بهاء الدين العاملي صاحب الكشكول ونصه:

مـن أراد أن يعـرف الدراهم المدلسة يقرأ هذه الآية، ثم يقلب الدراهم، فإنه يظهر له زيفها، وكـذلك فـي جميع الأشياء التي يريد معرفتها (قل الحمد　سيريكم آياته فتعرفونها وما ا بغافل عما يعملون[4]) إهـ .

---

[6] البيتان للشاعر ابن الوردي، وهما من بحر السريع.

[1] اليسار : الغنى

[2] البيتان للشاعر ابن الوردي، وهما من بحر المضارع.

[3] البيتان للشاعر ابن الوردي. وهما من بحر الوافر.

وبهذه التقييدة قول القائل :

انصح صديقك مرتيـــــــــــــن فإن عصـاك فغشه
لو ظن نصحك ما عصى وأبى وأظهـر فحشه[5]

ومن التلميح إلى قضية من قضايا في المنطق قول القائل:

إليـك اشتياقـي لا يحـد لأنه إذا حـد لا يلفـى لضابطه أصل
وكيف يحد الشوق عندي بضابط وليس له جنس قريب ولا فصل[1]

وفيها أيضا:

قالوا سكت وقد خوصمت قلت لهم إن الجـواب لبـاب الشر مفتاح
فالصمت عن جاهل أو أحمق كرم أيضا وفيه لصون العرض إصلاح
أما ترى الأسد تخشى وهي ساكتة والكلاب يخشى لعمري وهو نباح[2]

وفيهـــــا:

وإذا استقام الدهر يوما للفتى أغنت سعادته عن التنجيم
ونجوم كاساتي طوالع للمنى والسعد يستغنى عن التقديم[3]

ولبعضهم وأجاد:

أعيى الفلاسفة الماضين في الحقب أن يصنعوا ذهبا إلا من الذهب
أو يصنعـوا فضـة بيضاء خالصة إلا من الفضة المعروفة النسب

وفيهـــــا:

جـس الطيب يدي جهلا فقلت له : إن المحبـة في قلبي فخل يدي
ليس اصفراري لحمى خامرت بدني لكن نار الهـوى تلتاح في كبدي
فقـال : هـذا سقام لا دواء لـه إلا برؤية مـن تهـواه يا سندي[4]

---

(4) سورة النمل الآية 93

(5) البيتان للشاعر صفي الدين الحلي، وهما من مجزوء الكامل.

(1) البيتان للشاعر صفي الدين الحلي، وهما من بحر الطويل.

(2) الأبيات للإمام الشافعي رحمه ا ، وهي من بحر البسيط.

(3) البيتان للشاعر ابن شرف القيرواني، وهي من بحر الكامل. من سبعة أبيات ميمية. نصها :

واذكر ليالـك التـي ذهبت لنا نهبا وعيشـا كان كالتهويم
بسعـدك وابل أدمـع في أربع شربت مياه الدمع شرب الهيم
أيام شمس المشرقين ضجيعتي فيها وبـدر المغربين نديمي
ونجوم كاساتـي طولع بالمنى والسعـد يستغني عن التقويم
محمود عيش جاد لي دهري به ثم استـرد فكان فيه خصيمي
ولـى وخلى جمـرة مشبوبة تذكى على الأحشاء نار سموم
فـإذا رأيت لهيبهـا وسلامتي فاذكـر بذلـك نار ابراهيم

أبـو نواس:

تنكـر حـال علتـي الطبيـب   وقال أرى لجسمـك ما يذيب

جسست النبض منك فدل عندي   على قلـب به وجـع عجيب

فما هذا الذي قد بان قل لي   فكـان جوابه مني النحيب

فطأطـأ رأسه وأباح سري   وقال الحب ليس له طبيب[1]

وفيها أيضا:

إن مدحت الخمول نبهت قوما   غفـلا عنـه سابقوني إليه

هـو قـد دلني على لـذة العيـش   فمالي أدل غيري عليه

وفيها في حال أهل الزمان:

زمـان كل حـب فيه حب   وطعـم الخل خل لـو يذاق

لهـم سوق بضاعته نفاق   فنافـق فالنفاق لـه نفاق

وفيها أيضا، وهو حسن في بابه:

تسـل إذا ما نال غيرك رفعة   عليـك فهذا الدهر دهر يعاند

كأنكما الميزان يشتال[2] ناقصا   بخفتـه فيه ويرجـح[3] زائد

وفيها أيضا في الحث على الجد:

إياك والهزل يا من جد في الطلب   واقصد لنيل العلا والفضل والأدب

لا تتـرك العـز واعلم أن قيمته   قيـراط عز بقنطـار من الذهب

وفيها أيضا:

لإن كان حكم النجم لا شك واقعا   فما سعينـا في رده بنجيـح

---

(4) الأبيات للشاعر عبد السلام بن رغبان، المعروف بديك الجن الحمصي. وهي الأبيات الثلاثة الأخيرة من قصيدة قال في مطلعها :

ودعتها ولهيب الشوق في كبدي   والبين يبعد بين الروح و الجسد

وداع صبيـن لم يمكن وداعهما   إلا بلحظـة عين أو ببنـان يد

(1) الأبـيات للشاعر علي بن الجهم. قالها في مطلع قصيدة بائية له تقع في ثمان أبيات. وليست لأبي نواس كما جاء في النص. وتتمتها كالتالي :

فأعجبني الذي قد قال جدا   وقلت بلى إذا رضي الحبيب

فقال هو الشفاء فلا تقصر   فقلـت أجل ولكن لا يجيب

ألا هل مسعد يبكي لشجوى   فإنـي هائـم فـرد غريب

(2) يشتال : يرفع

(3) يرجح : يغلب

وإن كـان بالتدبير يبطل حكمه فقد صح أن الحكم غير صحيح

ووجدت فيها قولي:

وعدت معناها[4] فزال سقامه وأتتـه زائـرة فـزاد غرامه

حوراء تحسبها الغزالة أسفرت[1] فإذا بدت في الداج[2] ضاء ظلامه

سوانح يوم الأحد فاتح ربيع النبوي 1328 هـ

13 مارس 1910 م

وفي يوم الأحد فاتح ربيع النبوي تذاكرت مع الأمين الأبر عم الحاج محمد الزكاري في حقيقة إلى أن أنشدته قول الشيخ محمود الوراق رضي ا عنه المتقدم وهو :

عطيته إذا أعطى سرورا وإن أخـذ الذي أعطى أثابا[3]

فأي النعمتين أحق شكرا وأحمـد عنـد منقلب إيابا

أنعمته التي أهدت سرورا أم الأخرى التي أهدت ثوابا[4]

فقـال لـي حفظـه ا : هذا بعينه قول صاحب الحكم: متى أعطاك أشهدك بره، ومتى منعك أشـهدك قهره، فهو في كل ذلك متعرف إليك، ومقبل بوجود لطفه عليك[5]، فتذكرت عقد هذه الحكمـة من نظم شيخنا العلامة سيدي الحاج عبد الكريم بنيس حفظه ا لها، فسنح لي ذكره وهو قوله :

فكل مامنـه تعريـف إليك بـه فبره في العطا والقهر في العلل

فاشهده في كل شيء منه أورده عليك من منع أو إعطاء أو نقل

تـراه باللطف مقبـلا عليك بها وأنت منه بها في الحلي والحلل[6]

---

(4) معناها : من المعاناة

(1) أسفرت : كشفت عن وجهها

(2) الداج : الظلام الشديد

(3) أثابه : جازاه

(4) الأبيات للشاعر الشهير محمود الوراق وهي من بحر الوافر، من أبيات يقول في مطلعها :

ومنتصح يكرر ذكر نشوى على عمد ليبعث لي اكتئابا

(5) من الحكم الكبرى للعارف با ابن عطاء الإسكندري، وهي الحكمة الثالثة والتسعون من حكمه المذكورة.

(6) مـنظومة للعلامـة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس. أدرجتها ضمن كتابنا: رسائل وأدبيات العلامة سيدي عبد الكريم بنيس. نظم فيه الحكم الكبرى لابن عطاء ا الإسكندري. يقع هذا النظم في 666 بيتا. قال في مطلعه:

حمدا لمن عمنـا في سابق الأزل برحمة وسعت كـلا بلا عمل

وخص من شاء بالهدى وأوصله لهم بألسنة الأمـلاك و الرسل

وذكرت له قول الآخر:

إذا كنـت في نعمـة فارعهـا   فإن المعاصـي تزيـل النعـم

وحافـظ عليهـا بشكر الإله   فإن الإله شديد النقم[1]

وهذا من معنى قول صاحب الحكم: ومن لم يشكر النعم فقد تعرض لزوالها، ومن شكرها فقد قـيدها بعقالهـا. فقال لي حفظه ا : إن الجنيد لما سئل عن الشكر فقال: هو أن لا يعصى ا بـنعمه. وقـال له خاله السرى السقطي: أخشى أن يكون حظك من ا لسانك. لا زالت قولة خاله بين عينيه منذ صغره إلى أن توفي رحمه ا اهـ .

سوانح يوم الإثنين 2 ربيع الأول 1328 هـ

14 مارس 1910 م

وفي يوم الإثنين سنح لي أن أقيد عقد شيخنا بنيس حفظه ا للحكمة المذكورة ونصه :

مـن لـم يكن شاكرا أنعمه   فقد تعـرض بالنعماء للنقل

والشكر قيد وصيد قيد حاصلها   وصيـد آبقها بأوثق الحبل

وفـي هذا اليوم اجتمعت بالسيد الحاج محمد الزكاري فتذاكرت معه فذكر لي حكمة من حكم العـارف بـا سيدي محمد الحراق نصها : لا تطلب منه تعالى أن يقيمك في وصف معين، لأنـك ربمـا طلـبت منه ما حجبك به عنه، واطلب منه التأييد في المراد، والتحصن به من موجبات البعاد، فالمؤيد لا يغيب بالنعم، ولا يفتن بالآلام. واذكر أيوب وسليمان عليهما السلام إهـ... وقال أيضا رضي ا عنه : الكون لا يعقل عنك إلا بترجمان منك، فإذا أردت الكلام

وأنـزل الكتـب إرشـادا بحكمته   في طيها حكم الأحكام و المثل

دعـا لحضرته فعـم مقتضيا   سبحانه وحبا من شاء بالوصل

ثم الصلاة على شمس الهداية من   عـم الأنـام بهدي غير منبتل

(1) البيتان للامام علي بن أبي طالب كرم ا وجهه، قالهما في مطلع قصيدة ميمية من بحر المتقارب. تقع في 11 بيتا. وتتمتها كالتالي :

فـإن تعـط نفسك آمالها   فعند منـاها يحل الندم

فأيـن القرون ومن حولهم   تفانوا جميعا وربي الحكم

وكن موسرا شئت أو معسرا   فلابـد تلقـى بدنياك غم

ودنيـاك بالغـم مقرونـة   فـلا يقطـع العمر إلا بهم

حـلاوة دنيـاك مسمومـة   فلا تأكـل الشهد إلا بسم

محامـد دنيـاك مذمومة   فلا تكسـب الحمد إلا بذم

إذا تـم أمـر بـدا نقصه   تـوق زوالا إذا قيـل تم

فكـم آمن عـاش في نعمة   فما حس بالفقر حتى هجمþ

وكـم قـدر دب فـي غفلة   فلم يشعر الناس حتى هجم

معـه، فكلم نفسك، واجعل لغتك العبودية، فإن العبد لا يفهم إلا بلسان العبد اهـ . وقوله : لا تطلب ماله ضد فيهيج ضده عليك، واطلب ماله ضد له تكن الأشياء عبيدا لك اهـ .

سوانح يوم الثلاثاء 3 ربيع الأول 1328 هـ

15 مارس 1910 م

وفـي يـوم الثلاثاء سنح لي أن أقيد أبياتا من رسالة وجهها لنا شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحـاج عـبد الكـريم بنيس[1] حفظه ا جوبا عن كتاب كنت وجهته له من طنجة يقول فيها يصف الكتاب المذكور :

فلله من طرس طوى في سطوره	جواهر عقد في ملاءة عسجد
حوى دررا دارت علينا كؤوسها	بسحـر حلال بل بخمر معربد
رقيـق معان راق منها رواقها	وأصـدق ألفـاظ به كزبرجد
ونظـم طويل الباع بايعت نقده	على أنـه فرد سمـي كفرقد

---

(1) الفقيه العلامة سيدي عبد الكريم بن العربي بنيس. الفاسي دارا ومنشأ. الأندلسي نسبا. ولد بالعقبة الزرقاء بفاس في شهر ذي القعدة الحرام عام 1267 هـ . وبها نشأ وشب. فحفظ القرآن الكريم حفظا متقنا. ثم تعاطى لطلب العلوم. فأخذ عـن جماعـة من أكابر علماء القرويين. كوالده العلامة الحاج العربي بن محمد بنيس. وسيدي محمد بن المدني كنون. وأحمد بن سودة. والهادي الصقلي. ومحمد التدلاوي. وأحمد ابن الخياط. وجعفر الكتاني وآخرين.

ولـه رحمـه ا تآليف كثيرة منها : نظمه للحكم العطائية المسمى : بواضح المنهاج بنظم ما للتاج. ومنظومة في علم الـتجويد. في أكثر من خمسمائة بيت، وفتح الجليل في بيان مجادلة الخليل. والنفحة السرية في مدح خير البرية. ورفع الشـجب عمن ذكر رجب. وبردة المديح من الهمزية. في 459 بيتا. والأنوار الوهبية من الأحاديث النبوية المقتطفة من الأدعـية. وتقييد في السواك. وعقد اللآلىء الوامض بدرر من جملة الفرائض. وردة التاج وعجالة المحتاج. وغير ذلك من الفتاوي والرسائل العلمية المفيدة.

أخذ الطريقة التجانية عام 1316 هـ . على يد العلامة المقدم سيدي محمد (فتحا) كنون. وكان عمره إذ ذاك 49 سنة. ثـم أخذها بعد ذلك على وجه التبرك عن جماعة من الأفاضل الآخرين. كالعارف بربه سيدي العربي العلمي اللحياني. والولي الصالح سيدي أحمد العبدولاي. والشريف المقدم سيدي الطيب السفياني. توفي رحمه ا في الساعة التاسعة من صـبيحة يـوم الإثنـين 1 جمـادى الأولى عام 1350 هـ -14 شتنبر 1931. وصلي عليه بعد صلاة العصر بجامع القـرويين. ودفـن خـارج باب الفتوح بفاس. انظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج ت 45. وفي إتحاف أهل المـراتب العرفانية. بذكر بعض رجال الطريقة التجانية للفقيه سيدي محمد الحجوجي 7: 262 – 263. وفي فتح الملك العـلام. بتـراجم بعـض علمـاء الطريقة التجانية الأعلام. لنفس العلامة بتحقيقنا عليه ت 165. وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي 8: 3004. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي أحمد سكيرج 1: 40.

وهـو أحد جلة شيوخ العلامة سكيرج، كما أنه ذلك الأستاذ الموجه المقتدر الذي مكنه من إحراز ما كان يصبو إليه من علم ومعرفة وفضيلة.

وكـان العلامة سكيرج قوي المحبة في شيخه المذكور. يقر بالعجز عن وفاء الإحسان نحوه بمثله. وكان كثيرا ما يردد بين أصحابه ما يراه له من الفضل العظيم عليه. ويذكر حديثه وسيرته. ومواعظه ونصائحه.

وخير شاهد على هذه المحبة وفرة ما بعثه إليه من رسائل تدل على شغفه العظيم بهذا الشيخ وعمق مودته له. ومن ذلك هذه الأبيات الحميمية التي بعثها له من إحدى حمامات مدينة فيشي الفرنسية:

ولقـد ذكرتـك والبحـار تلاطمت	أمواجهـا وأنـا بـداج مظلـم
والماء من تحتي ومن فوقي ومن	عيني جرى من فرط شوقي المضرم
وذكـرت جهلـي والجهالة دائما	من صار فيهـا فهو ذو قلب عمي
وذكـرت علمـك حالـة الإمـلا ولكـــــن بحرك الطامـي عظيم الأنعم	
فنشلتنـي مـن وحلتي ومنحتني	فضـلا سأشكـره بقلبـي والفـم
فالفضـل منـك أنالـه و أنالـه	فـي شكـره عبـد الكريم المنعم
مـا كان هذا الموج في جنب الذي	تمليـه إلا نقطـة لـم تعظـم

فأضحى له في كل عضو مدامه   على ما بقلبـي من أليم التعبد
غـرام وبعـد واشتغـال بلابل   وعكس زمان مقعد غير مسعد

وفـيها يستفهم عن أحوالي، وهل ظفرت على شيء من آمالي، أو ينطبق علي قول الطغرائي الذي هو في الحقيقة في غربتي دائي:

أريد بسطة كف أستعين بها   على قضاء حقوق للعلى قبلي
والدهر يعكس آمالي ويقنعني   من الغنيمة بعد الكد[1] بالقفل[2]

ومـنها قوله مخبرا لنا ببعض الوقائع ما نصه: وكتبت لبعض أهل الطريق، وهو السيد أحمد جسوس لما وجه قصيدة تشوق بها للحضرة الأحمدية مطلعها:

ذكر البقاع الطاهرات بفاس   صب يعاني من النوى ويقاسي

فكتب على ظهر القصيدة ما نصه:

يشكو نوى مغنى الحبيب بفاس   من جرعتـه يد الغرام بكاس
فحنينـه أبـدا لحـي حبيبـه   وشخيصه لضنى البعاد يقاسي
حملـت جوانحـه أليم صبابة   فزفيـره يذكـو مع الأنفاس
فضـت على فضي واضح خده   فضاحــة من دمعة المقباس
هـذا وحقك حال مركوب الهوى   منهوكـه لا يستطـب بآس

سوانح يوم الأربعاء 4 ربيع الأول 1328 هـ
16 مارس 1910 م

وفي يوم الأربعاء رابع ربيع النبوي سنح لي أن أقيد هذه الأبيات حين تذكرتها وهي:

إذا أعطشتـك أكـف اللئام   كفتـك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله في الثرى[3]   وهامـة همته في الثريا[4]

---

[1] الكد : التعب

[2] البيتان من لامية الطغرائي وهما الثامن والتاسع من هذه القصيدة التي تحتوي على 58 بيتا، يقول في مطلعها :

أصالة الرأي صانتني عن الخطل   وحيلـة الفضـل زانتنـي لدى العطل
مجـدي أخيرا ومجدي أولا شرع   والشمس رأد الضحى كالشمس في الطفل
فيـم الإقامة بالـزوراء لا سكني   بهـا ولا ناقتـــي فيهـا ولا جملــي
نـاء عن الأهل صفر الكف منفرد   كالسيـــف عـري متنـاه مـن الخلل

[3] الثرى : التراب

أبيـا لنائـل ذي ثـروة | تـراه لمـا في يديه أبيا
فـإن إراقة ماء الحيا | ة دون إراقـة ماء المحيا [5]

سوانح يوم الخميس 5 ربيع الأول 1328 هـ
17 مارس 1910 م

وفي يوم الخميس وقفت على تقييدة أردت ادخالها في هذه السوانح، منها قولي :

الأمر كيـف شـاء قدره | فلا تكـن تعترض شيئا على ا
واحذر بأنك تلهو عن عبادته | فاللحـظ يحسبه ا على اللاهي
وطهر النفس من أدران لذتها | فليس بلوى لذات الشخص إلا هي

ومنها قول بعضهم في ما يجمع على فواعل من وإن فاعل لمذكر عاقل :

فواعل لم يسمـع لجمع مذكر | له عقل إلا في ثمان تجانس
فناكـس رأس هالك ثم ناكص | وسابق أيضا خالف ثم فارس
وناجعة مع صاحب عند بعضهم | فكن حافظا تظفر بما هو نافس

واختصرتها في قولي :

جمع الفواعل لا يكـون لعاقل | إلا لناجعـة وناكص ناكس
مع هالك مع خالف مع صاحب | مع سابق سمعت له مع فارس

ومنها قول بعضهم، وقد أهدى مروحة[1] لبعض الرؤساء، وقال له : هذه ليست في بيت مالك، مكتوبا عليها :

أنا من نخلـة تجاور قبرا | ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبر حتى | صرت في كف ابن أيوب أقرا

قال ابن عنين في فخر الدين الرازي حين دخلت حمامة في كفه مستجيرة من بازي :

---

(4) الثريا : مجموعة كواكب في عنق الثور، ويشبهون بها الجموع الخفيفة في حسن النظام وتناسب الأفراد

(5) الأبيات للإمام علي بن أبي طالب كرم ا وجهه. وهما من بحر المتقارب.

(1) المروحة: آلة يحرك بها الريح عند اشتداد الحر

جاءت سليمان الزمان حمامة   والموت يلمع في جناحي خاطف

من نبـأ الورقـاء أن محلكم   حرم وأنـه مأمـن للخائـ ـف[2]

فأجازه بألف دينار إهـ .

سوانح يوم الجمعة 6 ربيع الأول 1328 هـ

18 مارس 1910 م

وفـي يـوم الجمعـة وقفـت علـى ورقة فيها تشطير محبنا الأديب سيدي محمد بن إدريس بوعشرين[1] للأبيات التي حفظتها في المنام، فسنح لي أن أقيدها خوف الضياع:

خـذ سنـة ا بيـن خلقه أبدا   تنل سموا وتحصينا من الباس

فإنهـا العروة الوثقـى لماسكها   ولتجعلنهـا لديك خير قسطاس

ما عظم المرء آل البيت دون مرى   وأم قطبهـم إدريس في فاس

ودان خالقـ ـه دومـ ـا بحبهـم   إلا وعظـم عنـد ا والنـاس

فالحـظ بعيـن كمال الفضل قدرهم   لأنهـم طهروا من سوء أرجاس

وإن قصـدت حماهـم فالتزم أدبا   واخضع لهم دائما بالقلب والراس

وقـد ألفت تويلفا في من خمس هذه الأبيات سميته تحفة الأنام، في أبيات رأيتها في المنام[2].

وقد قرظه صاحب هذا التشطير بقوله:

نتيجـة الفكـر قد تبدت   مـن حبـرها حالة المنام

لا غـرو[3] بحر أتى بدر   وقـد غـدا تحفـة الأنام

---

(2) البيـتـان للشـاعر محمد بن نصر ا الحوراني الدمشقي، المعروف بابن عنين. قالهما ضمن سبع أبيات افتتحها بقوله :

يا ابن الكرام المطعمين إذا شتوا   في كل مخمصة وثلج خاشف

(1) محمـد بن بوشعيب بوعشرين الأنصاري. فقيه قاض. من أعلام مدينة فاس. وبها كان مسقط رأسه عام 1300هـ - 1882م. أخـذ العلم عن نخبة من علماء القرويين. كمحمد (فتحا) كنون. وعبد السلام الهواري. وأحمد بن الخياط. وأحمد بن الجيلالي الأمغاري. وعبد المالك العلوي الضرير. ومحمد (فتحا) القادري وآخرين.
لـه مـؤلفات عديـدة في الفقه والحديث والمنطق والكلام. ومعظمها شروح وحواش. وقد طبع بعضها. منها : الأحكام النهائـية الزيادية. وهي الأحكام التي كان أصدرها إبان فترة قضائه بقبيلة الزيايدة. وحاشية على شرح بناني للسلم في المنطق. والحظ في العبادة في الرد على من ألحد في كلمتي الشهادة. وهو مدرس بارع. زاول هذه المهمة الشريفة مدة طويلة من عمره. سواء بالقرويين أو بغيرها من مساجد ومدارس مدينة فاس.
عـين قاضيا بقبيلة زعير عام 1335 هـ - 1916 م . ثم بعد ذلك بناحية الزيايدة وأولاد سعيد من قبيلة الشاوية. توفي بمدينة سطات (حيث كان يقيم بها إبان قضائه بناحية أولاد سعيد) وذلك يوم الخميس 12 جمادى الثانية عام 1364هـ - 1944 م. ودفن قبالة باب الولي الصالح سيدي الغنيمي. أنظر ترجمته في سل النصال (موسوعة أعلام المغرب) 9 : 3192. الأعلام للزركلي 6: 159. معلمة المغرب 6: 1798. معجم المطبوعات المغربية51.

(2) شـرب المدام بتخميس أبيات رأيتها في المنام. وتحفة الأنام بتراجم من خمس أبياتا حفظتها في المنام. الكتابان معا للعلامـة سكيرج، فرغت من تحقيقهما وتقديمهما للطبع في شهر رمضان 1425 هـ - نونبر 2004 م. يقعان في 65 صفحة. ترجم المؤلف فيها لما يناهز خمسين عالما وأديبا، ممن أقدموا على تخميس أبياته المنامية المشهورة، ونصها:

خـذ سنـة ا بيـن خلقه أبدا   ولتجعلنهـا لديك خيـر قسطاس

ما عظم المرء آل البيت دون مرا   إلا وعظـم عنـد الـه والناس

فالحظ بعين كمال الفضل قدرهم   واخضع لهم دائما بالقلب والراس

وقد كتب لي صاحب هذا التقريظ أول معرفتي به لغزا وهو:

أيا أدبـا أريد حـل لغزي فما شيء بـلا ضوء ينور
حقيقتـه تدل على ظلام ويظهـر للخلائق منه نور

فظهر لي أنه يلغز في إنسان العين، فقلت مجيبا له بارتجال:

أيا بـدرا سمـا فوق المعالي وبين النـاس ليس له نظير
أرى ذا اللغـز يا إنسان عيني بناظرتـي منظــره نظير

ووقفت على أبيات من إنشائي وهي:

صـل المحـب ولا تصرم[1] حبائله فعنده الوصل من أغلى الحباء له
لاشـيء يعـدل وصلا أنت مانحه لعاشق لم يـزل يعصي عواذله
فلـن يماثــل قربـا منك يا أملي شـيء يقر العيون أو يعاذله[2]
فأنــت قطـب تجلـى في جلالته وا بيـن الورى أبدى فضائله
غدوت وارث سر المصطفى وحوت يـداك ما لم يكن سواك واصله
منـك استمـد ذووا الأسرار سرهم لـولاك مـا نال منه الناس نائله
فأنـت بيـن جميـع الخلق واسطة فـي كل سـر يجـل ا حامله

ووقفت على قولي فسنح لي كتبه هنا وهو:

إذا رمـت نيـل الـذي تبتغيـه فاطلـب مـن ا ربي الإعانه
فــإن الإله يعيــن الذي دعـاه ولا يختشي من أعانه

ووقفت على قولي:

وسالكـة بـي في الهوى منهج البعد وكـم واعدتني وهي لم تف بالوعد
أبحـت لها نفسـي عساها تجود لي بوصـل وما رقت لحالي من الصد
ولـم أك بــواحا[3] لغيري بسرها ولم أك خوانـا[4] بوعـد ولا عهد
يلومونني فيهـا ولومـي يزيدني بها في الهوى وجدا يزيد على وجدي

---

(3) لا غرو: لا ريب

(1) تصرم : تقطع

(2) يعاذله : يساويه

(3) بواحا : من البوح وهو الكشف وإظهار ما في الصدر

(4) خوانا للعهد : ناقضا له

وما كنت أدري ما الهوى قبل عشقها إلى أن غدوت مفردا بالجوى وحدي
وحاصل ما عاينت فيها من العنا فلا أحد عاناه قبلي ولا بعدي

وقولي:

أيدا دولة العشاق وحماهم من دورة الفساق
ولهم كان في الذي أملوه خير واق من شرب كأس الفراق

وقولي:

خليلي مرا بالتي سلبت عقلي ولي استخبراها هل نوت ساعة وصلي
فإني أراها بعد بعدي بتيهها تعذبني والتيه يفضي إلى قتلي
أما قد كفاها ما ألاقي من الجوى[1] وما في الهوى عاينته من ذوى العذل
يقولون لي دع عنك ميلك للهوى ولم يعلموا أني بها دائما شغلي
أميل إليها لا إلى غيرها أنا أميل ولا استنكرت في وعدها مطلي
قنعت بوعد الوصل منها وإن تطل بمطلي عسى بالوصل تجمع لي شملي

وقولي:

لقاؤك عن كل الأحبة يسليني وحسنك طول الدهر لازال يسبيني
ومذ بالغ العذال في اللوم في الهوى وعدلهم عن منهج الحب يوذنيني
يظنون أن اللوم فيك يغرني وما علموا أن الملامة تغريني

سوانح يوم السبت 7 ربيع الأول 1328 هـ
19 مارس 1910 م

وفي يوم السبت وقفت على تقييدة بخط سيدنا العم رعاه ا اشتملت على بعض الحكم منها : لا مذل للحساد كالتجمل، ولا مكسبة للإعلال كتوقي المزاح، ولا مجلبة للمقت كالإعجاب، ولا متلفة للمروءة كاستعمال الهزل في موضع الجد. ومنها أيضا: إن المأكول للبدن، والموهوب للمعاد، والمتروك للعدو، فاختر أي الثلاثة شئت والسلام. ومنها سبحان من جعل الملوك عبيدا بمعصيتهم، وجعل العبيد ملوكا بطاعتهم اهـ .

ووقفت على هذه الأبيات من إنشائي فسنح لي كتبها هنا:

رعى ا طيفا قد ألم بنا ليلا فهيج ما في قلبنا من هوى ليلى

[1] الجوى: شدة الوجد من حزن أوعشق

أثـار جوى قد كان بالقلب كاملا	وأضحى يسيل الدمع من عيننا سيلا
ولم نملك الصبر الذي كان عندنا	لـدى أزمـات صبرنا عندها جل
فيا أيها الطيف الذي أذهب الكرى	عن العين والتسهيد[2] جل بها كحلا
لـك ا مـن طيف رأيناه مقبلا	فقمنـا لإجلال له نطلب الوصلا
فصـار مدلا عـن لقانا بنفسه	فـأورثنا من دله في الهوى الذلا

وتلاقـيت مع الأمين الأرضى عم الحاج محمد الزكاري[1] رعاه المولى فوجدته قد قيد حكمة لطيفة من اليواقيت والجواهر[2] من كلام ابن عربي – قدس سره – فأطلعني عليها، فسنح لي تقييدها ونصها :

لا تكثـر الوراد إلا على أبواب الأجواد، فإن البخيل بابه مغلق، والجواد جواده مطلق، إذا فني الكـريم عـن شهود جوده في حال جوده، فهو الدليل على صحة وجده وجوده، فإنه ما أعطى للخلـق إلا ما كان لهم من خزائن الحق، ومع هذا فله الأجر في استعماله في هذا الأمر، ومن تكرم وجاد وتخيل أن له فضلا على العباد فما جاد، إذ المنة أذى، فاعلم ذا إهـ .

سوانح يوم الأحد 8 ربيع الأول 1328 هـ

20 مارس 1910 م

وفي يوم الأحد وقفت على تقاييد بخطي اشتملت على أبيات متنوعة سنح لي تقييد بعض منها خوف الضياع، منها تصدير قصيدة العلامة سيدي ابراهيم الرياحي[3] رحمه ا التي مدح بها سيدنا الشيخ التجاني رضي ا عنه والقصد بها تخميسها إن شاء ا وهو :

---

[2] التسهيد: من السهد والسهاد وهو الأرق

[1] سبق التعريف به في ص

[2] اليواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر، للعلامة الشهير الصوفي الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراني. قال عنه صـاحب كشف الضنون عن أسامي الكتب والفنون : ألفه في العقائد، حاول فيه المطابقة بين عقائد أهل الكشف وعقائد أهل الفكر، لم يسبق إليه أحد، وفرغ من تأليفه بمصر في شهر رجب 955 هـ .

[3] العالم العلامة العارف بربه سيدي إبراهيم بن عبد القادر بن سيدي إبراهيم الطرابلسي المحمودي بن صالح بن علي بن سالم بن بلقاسم الرياحي التونسي، ولد بتونس عام 1180 هـ، أخذ العلم عن جماعة من جهابذة علماء وفقهاء تونس مـنهم : حمـزة الجـباص، وصـالح الكواش، ومحمد الفاسي، وعمر بن قاسم المحجوب، وحسن الشريف، وأحمد بو خـريص، وإسماعيل التميمي، والطاهر بن مسعود، وغيرهم. أما الطريقة الأحمدية التجانية فقد أخذها أولا بتونس عن العارف با سيدي الحاج علي حرازم برادة الفاسي عام 1216 هـ . وبعدها بسنتين حدثت مسغبة ببلاد تونس، فرشح لـذهاب للمغرب وملاقاة سلطانه قصد طلب المعونة، ولما جاء لمدينة فاس كان أول عمل قام به هو زيارة دار شيخه أبي العباس التجاني رضي ا عنه، حيث رحب به وأكرمه غاية الإكرام، كما أجازه في طريقته الأحمدية.
وللعلامـة سيدي إبراهيم الرياحي العديد من الأجوبة والتقاييد العلمية المفيدة منها: مبرد الصوارم والأسنة في الرد على مـن أخرج الشيخ التجاني عن دائرة أهل السنة، وديوان شعر مرتب على الحروف الهجائية، ومنظومة في علم النحو، وحاشية على الفاكهاني، وغير ذلك من المصنفات الأخرى. وكانت وفاته رحمه ا في 27 رمضان عام 1266 هـ .
انظـر تـرجمته في كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 132، وفي رفع النقاب لنفس العلامة ج 1 ص 17، وفي بغية المسـتفيد لسيدي محمد العربي بن السائح ص 264، وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلاوي الشنجيطي رقم

إن رمت دفع الذي تلقى من الباس   وتحرز الأمن بين الخلق في الناس

وأن تنال الهـدى من غير إلباس   صاح اركب الحزم لا تخلد إلى الياس

واصحـب أخــا الحــزم ذا جـد إلى فـــاس

ومنها قولي:

وسائلـة عمـا لقيت من الهوى   وما فعلـت بي في الغرام يد النوى

فقيـل لهـا لو كان بعض الذي به   على جبـل لاندك بالعشق وانهوى

ولو كان بعض البعض مما أصابه   بدا في سجل الكون بالشوق لانطوى

ومـازال يرعـى للحبيب عهوده   وعن حبـه باللوم والعدل ما ارعوى

ومنها قولي:

وقائلـة هـلا عدلـت إلى الصبا   وكل شبـاب للصبابـة [1] يعدل

فقلت لها ما في الهوى لذوي الهوى   سوى نصب[2] فيه العواذل تعذل

علـى أنـه لـم ألف غانيـة بها   لنفسي يحلو ما من الشوق يحمل

ولم أر حتى في ذوي الحسن شادنا   تطيب به نفسي وبالتيـه يجمل

فما في الهوى إن كنت تعقل راحة   وليس يريد العشق من هو يعقل

فلسـت بميـال إلى جهـة الهوى   ولكن إلى السلـوان لازلت أعدل

ومن ذلك قولي أيضا:

مــاذا أثــار هـواك   مـن بعــد ما قد دهاك

وقـد تركــت التصابي   طوعـا أوان صبــاك

قـل لي قضايــاك إني   أرثـي لحــــال جواك

أراك طــول الليالي   جفـاك طيــب كراك[3]

وتستــر الحـب عني   كأننــــي مـن عداك

أتحســب الحـب يخفى   وثوبــه قــد كساك

قـل لــي ولا تخف عني   ولا تخــاف هلاكــا

الترجمة 12، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي ج 1 رقم الترجمة، وفي نخبة الإتحاف لنفس العلامـة رقم الترجمة 297، وفي فتح الملك العلام لنفس العلامة بتحقيقنا عليه رقم الترجمة6، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 386 رقم الترجمة 1555، وفي الجيش العرمرم الخماسي لأكنسوس ج 1 ص 294، وفي الأعلام للزركلي ج 1ص 48، وفي اليواقيت الثمينة لظافر الأزهري ج 1 ص 89، وفي معجم المطبوعات لسركيس 1381.

[1] الصبابة: الشوق ورقة الهوى والولع الشديد

[2] النصب: البلاء

[3] الكرى: النعاس

عليـك ثـوب نحـول والإصفـرار علاك
أمـن تذكـر حب بوصلـه قـد حباك
عليـك جـاد بقرب من بعدمـا قـد جفاك
فصـرت تثنـي عليه ولا تخـاف عـداك

وقلت أيضا :

ملكتنـي بالجمـال ولم تجـد بوصالي
ألسـت تعلـم أني قد صرت مثل الخيال
وقد رثت لي الأعادي ولم تـرق لحالـي
فجـد بوعـد بوصل وإن يكـن بمطـال
فـرب مطـل محب أتـى لـه باتصـال
ا يعلـم مـا بي مـن شوقـي المتوالي
قـد كدت أفني بحبي لـولا دوام اعتـلال
أعلـل النفـس حتى عللتهـا بالمحـال
فجـد بوصـل فإني فـان وأنت الدوا لي

سوانح يوم الإثنين 9 ربيع الأول 1328 هـ
21 مارس 1910 م

وفي يوم الإثنين سنح لي أن أقيد هنا قول بعض العلماء يرد على المقري قوله الفظيع، الدال على اعتقاده البشيع :

كـم عالـم عالم أعيـت مذاهبه وجاهل جاهل تلقـاه مرزوقا
هـذا الذي تـرك الأوهام حائرة وصير العالم النحرير زنديقا[1]

وهو وقد أجاد:

كم عالـم عالـم أعيت مذاهبه وجاهـل جاهل شبعان ريانا
هذا الذي زاد أهل الكفر لا سلموا كفرا وزاد ذوي الإيمان إيمانا

ورددت على المقري أيضا بقولي:

كم عالم عالم قد ظل في تعب وجاهل دون كد صار مرزوقا
هذا الدليل على اختيار خالقه وكل شيء يـرى مخلوقا

ووقفت على قولي في الشيخ سيدنا ومولانا أحمد التجاني رضي ا عنه وهو:

---

(1) أنظره في كتاب الإيضاح في علوم البلاغة، لجلال الدين القزويني 1: 71

إن التجاني سرت في الكون أسراره   وجـل عند الورى وا مقداره
قـد حل فـي رتبـة تعنو لرفعتها   أسد الوغى وجرت بالخير أنهاره

وقلـ ـت:

إن قطب الوجود من دون مريه[1]   هو شيخي الذي سمـا في البريه
حـل في حضـ ـرة الفلاح إماما   خلفـه الأوليـاء أولـوا المزيه
وتبـ ـدى في رتبة المجد فيهم   فوق كرسي الخلافـة المرضية
وغـدا حولـه الأكابر تجثوا[2]   ولـه تخضـع النفوس الأبيه[3]

ووقفـت علـى ورقـة فيها تخميس بعض قصيدة الشيخ سيدي إبراهيم الرياحي المتقدم قريبا مطلعها، وبعده قولي في وصف فاس وأهلها :

فالعلـم ينبع من حيطان سورتها   وفي المعالي سمت بحسن سورتها
فاسر لها كي ترى جمال صورتها   واشـرح متون صباباتي لجيرتها
وحي حيا بهم قد كان إيناسي
حي لمن حله نيل الأمان ضمن   ومن جميع الشرور من أتاه أمن
فأمـه فبـه لـك الفـلاح قمن   واقرا السلام على تلك المعاهد من
حيران تلفظه ناس إلى ناس
وقل لهم إنه رهين عشقكم   يكاد يفنى بمـا يلقى بشوقكم
سباه خلقكم وحسن خلقكم   وقل لهم ذلك المضنى وحقكم
باق على العهد ذو وجد بكم راسي
وقل لهم ماله ميـل لغيركم   وليس يسـأل إلا نيل قربكم
فلترحموه فقد أضحى بحبكم   لا ينظر الحسن إلا في وجوهكم
وليس يجنح[4] في حب لوسواس

ومن ذلك قولي:

يا فاس إنك في أمن من الباس   مذ حل فيـك التجاني ملجأ الناس
تيهـي دلالا به ولتفخري فبه   تطيـب نفسـك مثل طيب أنفاسي
أحرزت منه ضمانا ليس ينقصه   مر الجديدين[5] من أهوال أهواس[6]

---

[1] المرية : الشك
[2] تجثوا : جثا يجثوا أي جلس على ركبتيه أو قام على أطراف أصابعه
[3] الأبية : المترفعة عن الدنايا
[4] يجنح : يميل

وكنت قلت:

إن كنـت ممن بنهج الحب قد سلكا	فصرحـن بـه ولا تخف دركا
فليـس في مذهبـي كتمانـه نجح	ليعـرف النـاس فيه العبد و الملك
ولا تقـل لي افتضاح الحب فيه ردى	إن الشهيـد يرى بالعشق قد هلك
ولا تبـال بمـن بالعـذل مشتغلا	غـدا يسـول كالشيطـان فيه لك
فالعـذل عـدل عن النهج القويم إلى	طرق الغوايـة ممن جاء لائمك
ومـن يكـن في هـواه غير منتهك	لحرمـة العـذل فيه صار منهمكا
فـإن ذا العـذل لا تخفـى دسائسه	إلا على مـن بغير الخبرة احتنكا[1]
يأتيك في صورة النصاح[2] وهو له	خذيعـة مـن طريق الغش أم لك
كـم عـاذل فـي الهوى متى تأمله	تـراه فـي نيـل ما تهواه أملكا
حتـى إذا لـم يجـدك عنـه ملتفتا	من شدة الوجـد يبغي أن يرى معك

ووجـدت في تقييدة هذين البيتين وهما من إنشائي من بحر الطويل، وقد يصيران من البسيط بتقديم بعض أجزاء تفعيله وهما :

أرى قدمي في الحـب ثابتة وإن	أراق دمي من فيه استعذب الهوى
أبحت دمي إن لم أكن في غرامه	أخا كلـف يرتـاح قلبـي بالجوى

وعلى نقلهما للبسيط تقول:

في الحب ثابتة وإن أراق دمي	من فيه استعذب الهوى أرى قدمي
إن لم أكن في غرامه أخا كلف	يرتاح قلبـي بالجوى أبحت دمي

وقولي:

روحي روحي لمن يروم افتضاحي	في التصابي فدى بغير جناح
فهـو بيـن المـلاح بدر تبدى	لست أصغى فيه إلى لوم لاح[3]

---

(5) الجديدان : الليل والنهار

(6) الهوس: الحيرة والإضطراب وهو أيضا طرف من الجنون وخفة العقل

(1) احتنك الشيء : فهمه وأحكمه

(2) النصاح : الناصح مفرد النصحاء

(3) اللاحي : اللائم والمنازع

وقولي:

عشقـي يزيد بعذلي أيها اللاحي فكيف أسلو وحبي عين إصلاح
هات الكؤوس ولا تمزج سلافتها إلا بمزج فـروح الروح بالراح[4]
واخلع عذراك في جنب الهوى طربا فإنني في الغـرام لست بالصاح

وقد اجتمعت في هذا اليوم بالبركة عم الحاج محمد الزكاري فأنشدني للإمام ابن عربي:

تجلي وجود الحق في فلك النفس دليل على ما في العلوم من النقص
وإن ظهرت للعلم في النفس كثرة فقد ثبت السـر المحقق بالنض

ووقفت على ورقة بها قولي:

أنا بين أهل العشق فيه محدث وعهدي قديم فيه والغير محدث
ألم تر دمعي مرسلا ومسلسلا بغير انقطاع بالدمـاء ملوث[1]
وقلبي عليل صـح فيه عضاله وريح الهوى بالعقل مني يبعث[2]
وأهملت تدليس العذول وزوره ولو أنه أضحـى بلومي يلهث
فهل حسن منـي أميل لسمعه وكم لعهود في الهوى قام ينكث[3]

سوانح يوم الثلاثاء 10 ربيع الأول 1328 هـ
22 مارس 1910 م

وصل الحبيب أرى المحب صحا به مـن غيبة كانـت ببين صحابه
لم يستمـع يومـا للوم عذوله[4] ممـا بـه شيطانـه أوحى به
ولفـرط ما عاناه من حرق الجوى كم يحـظ منـه مخاطب بجوابه
لا يعـرف الأشـواق إلا من لها عانـى[5] وذاب فـؤاده مما به
أوصافـه لم يدرهـا إلا فتى تـرك الهوى وبتركه أوصى به
إن الهـوى سهل على من رامه لكنـه فيـه هـوان مصابه
فأنـا به شيـخ لمـا قد نابني[6] بمـلام مـن قد ضرني من نابه

---

(4) الراح : الخمر
(1) ملوث : ملطخ
(2) يبعث : يلعب ويهزل
(3) ينكث : ينقض وينبذ
(4) عذوله : لوامه
(5) عانى : قاسى
(6) نابني : أصابني

فرقـي[7] بـه برقيبه[8] أرقى به	يـ ـزداد لمـا رام أن يرقى به
قد ضاق صدري من عذول عادل	عن أخذ نهـج الحق عن أربابه

ومن ذلك قولي:

أما وحميا[1] قد حوتها المراشف[2]	وقـد رشيـ ـق أثقلتـه المعاطف
وغنج[3] جفون قد رماني بسهمه	وطـول ليـال قـد حكتها السوالف
لقد زادني لوم اللواحي[4] تحردا[5]	وإني على رفـض السوى لك عاكف
فردي علي ما سلبت من الكرى[6]	عسى لي يسخو منك في النوم طائف[7]

ومنه قولي:

بحديقة السراء خود[8] رافله[9]	مثل القنا[10] من غير وعد واصله
ما البـدر إلا من سناها مقمر	ومتى رأتها الشمس صارت آفله[11]
ما الخمر إلا ما حواه ثغرها[12]	والسحـر منهـا في لحـاظ قاتله
إن المحب وإن سخا بالنفس لم	تعطـي له وعدا وإن بمماطله[13]

ومنه لكن فيه من عيوب الشعر مالا يخفى:

ألذ الهـوى عندي ملام عواذلي	وأحلـى خطـاب معتـب بالتراسل
فلو لم يكن في العشق إلا شكاية	لكـان عزيزا سيمـا في التواصل
على أنني في الحب أبغي توددا	ويكفـ ـي فؤادي موعد بالتماطل
وكل أمور العشق يسهل حملها	سوى الهجر[14] لا تبديه لي فهو قاتلي

---

(7) الفرق : الفزع الشديد
(8) الرقيب : مفرد رقباء وهو الحارس والحافظ
(1) الحميا : الخمر
(2) المراشف : جمع مرشف وهو ما يمتص به الماء ويطلق أيضا على الشفاه
(3) الغنج : الدلال
(4) اللواحي : جمع لائح وهو اللائم والمنازع
(5) الحارد : الغاضب
(6) الكرى : النعاس
(7) الطائف : الخيال
(8) الخود : مفرد خودات وخود وهي المرأة الشابة
(9) رافله : رفل يرفل رفلا بمعنى جر ذيله وتبختر
(10) القنا : الرمح
(11) أفل : غاب
(12) ثغرها : فمها
(13) المماطلة : التسويف
(14) الهجر : ضد الوصال وهو القطع

ومنه قولي:

أتلـوم في سبـل الغرام متيما ... لازال من عشـق الغواني مغرما

فـي كل وقـت قلبه متشوق ... متشـوف والشوق زاد تضرما[15]

نزع التصبـر مـن فؤاده بعدما ... حـال الغـرام بنفسـه وتحكما

ومنها أيضا:

أدرها بلا مزج معتقة[1] ترى ... بكاسات شمس من سناها انجلى الغم

ولا تلتفت للعاذلين بشربها ... فعذلهـم للشاربيـن لهـ ـا ظلم

وفـي هذا اليوم سئلت عمن فتح كوتين بسور داره، وأقام موجبا على أنه ما فيهما ضرر على جيرانه، إلا أنهما يشرفان على سطح بعض من قام يطلب منه سدهما، مدعيا أنهما ضرر عليه بتكشف سطحه فأجبت بقولي :

الحمـد ، قـد تقرر عند العلماء الأعلام، المرجوع إليهم في النوازل والأحكام، أنه لا يلتفت لدعـوى الضـرر فـي شيء من الأشياء إلا بإثبات كونه ضررا، وإثباته يرجع فيه إلى أهل المعرفة والبصر وذوي الخبرة والنظر كما قال في التحفة :

ثـم العيوب كلهـا لا تعتبـر ... إلا بقـول مـن له بها بصر

وقال فيها أيضا:

ويثبـت العيوب أهل المعرفة ... بها ولا ينظـر فيهم لصفة

وقـال العلامـة ابن فرحون[2] في الباب الثامن والخمسين في القضاء بقول أهل المعرفة من تبصـرته ما نصه: ويجب الرجوع إلى أهل البصر- الى أن قال ما نصه: وكذلك يرجع إلى أهل المعرفة بمسائل الضرر مما يحدثه الإنسان على جاره أو الطرقات وأنواع ذلك، وقد ثبت انـتفاء الضرر عن الجيران بفتح الكوتين المقابلتين لسطح هذا المدعي بالموجب أعلاه. وأما رؤيـة السـطح فقـد نص العلماء أنها ليست بضرر، فقد سئل العلامة البرقي عمن بنى بنيانا وأحـدث فـيه كـوى، فقام بعض من له دار في الجهة الأخرى من الشارع وقال له: إن هذه الكـوى تكشف على سطحي. فهل للقائم مقال في ذلك أم لا ÷ فأجاب : إذا لم يطلع مما أحدث إلا على السطوح خاصة فلا مقال للقائم، وليس عليه أن يسدها إهـ .

---

(15) زاد تضرما : أي زاد اتقادا واشتعالا

(1) المعتقة : الخمر القديمة الجيدة

(2) ابـراهيم بـن علـي ابن فرحون اليعمري. فقيه مشهور. من أشهر أعلام المذهب المالكي في عصره. له مؤلفات كثيـرة. منها : تبصرة الحكام، في أصول الأقضية ومناهج الأحكام. والديباج المذهب، في معرفة أعيان علماء المذهب. وتسهيل المهمات، في شرح جامع الأمهات. ودرة الغواص، في محاضرة الخواص. إلى غير ذلك من مؤلفات آخرى. ولـد ونشـأ بالمديـنة المنورة،وبها توفي سنة 799هـ . أنظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 1: 48 الأعـلام للزركلـي 1: 52. تعريف الخاف برجال السلف 1: 197. آداب اللغة لجرجي زيدان 3: 218. نيل الابتهاج، للتنبكتي ص 167 (رقم 176) وفيات الونشريسي ص 123. شجرة النور الزكية لمخلوف (رقم 820)

وأجـاب ابن الضابط أنه لا يمنع إلا ما يتوقع منه الكشف على محل السكنى والمبيت والمقام، وأمـا ظهر البيوت فلا يمنع، وهو قول ابن القاسم وأصحاب مالك. إهـ نقله صاحب المعيار الجديـد. وسئل القاضي ابن عبد الرفيع عمن بنى غرفة وأحدث فيها كوة يرى منها سطوح

جيـرانه وبعـض الجيران يتصرف في سطوحه بالنشر وغيره، هل يمنع هذا من فتح الكوى بسبب تصرف الجيران في سطوحهم þ فأجاب : لا يمنع أحد من ذلك. وسئل عنها أبو عبد ا بن الغماز فأجاب بمثله إهـ . وعلى ما نقلناه من فتاوى هؤلاء العلماء الأعلام. يجب على من أسـند إلـيه الأمـر في الأحكام، أن يكف يد المعترض لصاحب هذين الكوتين الواقع بسببهما النزاع والخصام، وا الموفق لسواء السبيل، وهو حسبنا ونعم الوكيل إهـ .

سوانح يوم الأربعاء 11 ربيع الأول 1328 هـ
23 مارس 1910 م

وفـي يـوم الأربعاء وقفت على تقييدة بخطي فيها تشطير لبعض الأبيات قد استحسنها محبنا الأديب السيد الحاج محمد بوعشرين [1] ونصه والتشطير له:

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد   ففـي ريحـك البـادي أرى نفحة القد

لأنـك مـن أرض نأتني[2] ديارها   فقـد زادنـي مسراك وجدا على وجد

وقد زعمـوا أن المحـب إذا دنا   يعامل بالهجران والتيه [3] و الصـد[4]

وإن طال في حال الزيارة مكثه[5]   يمـــل وأن النـأي يشفي من الود

بكـل تداوينا[6] فلم يشف ما بنا   كمــــا لم نجد بالذل عطفا وبالمجد

وحيـث كلا الحالين فالبعد راحة   علـى أن قـــرب الدار خير من البعد

علـى أن قرب الدار ليس بنافع   لمن لـم ينل في العشق حظا من السعد

أرح يـا فؤادي ما الوصال بحيلة   إذا كـان مـن تهـواه ليـس بذي ود

ووقفـت على هذين البيتين لمحبنا المقدم السيد الحاج عبد ا بن الحاج بن سيدي أحمد الملقب بالخليفة بن سيدي عبد ا العلوي الشنجيطي:

---

[1] سبق التعريف به

[2] نأتني : من النأي وهو البعد

[3] التيه : تاه يتيه تيها بعنى تحير

[4] الصد : المنع والإعراض

[5] المكث : الإقامة

[6] تداوى : تعالج

كـان افتـقاري بالغنى وإنما أرجو به كوني به أغنى غني
أنت الغني وأنا الفقير جعلتني وعليك لي ما للفقير على الغني

سوانح يوم الخميس 12 ربيع الأول 1328 هـ
24 مارس 1910 م

وفي يوم الخميس رأيت قول القائل، فأعجبني إثباته هنا، وهو:

إن الأمور إذا الأحداث دبرها دون الشيوخ ترى في أمرها خللا
إن الشباب لهم في الأمر بادرة وللشيـوخ أناة تقطـع العـللا[1]

وقـد سـئلت عمـن ادعـى بدعـوى، وألزمه الشرع اثبات مدعاه، فأدلى بحجة لفيف، وبعد استفسـارها. رجع أكثر الشهود عن شهادتهم، فهل تبطل شهادتهم أولا ? فأجبت بما نصه: إذا ثـبت رجـوع الشهود عن شهادتهم قبل الحكم بها بطلت شهادتهم، ولا يجري عليها عمل من الأعمـال، ولا يلتفت إليها بحال، لأنها صارت كالعدم لا يجوز القضاء بها، ورجوعهم معتبر. فقـد قـيل لسحنون كما في أول رسم من سماع ابن القاسم من كتاب الشهادات : أرأيت رجلا شـهد على رجل، فلقيه المشهود عليه فقال :بلغني أنك شهدت علي بكذا وكذا ? فقال له الشاهد : إن كنت شهدت عليك بذلك فأنا مبطل، وقد كان شهد بذلك، هل شهادته ساقطة ? فقال : أرى هـذا رجـوعا إذا كان على قوله بينة، وتسقط شهادته، ولا تجوز ولا يثبت بها شيء إذا كان رجوعه قبل القضاء، وإن كانت هذه المقالة منه بعد القضاء ضمن ما استهلك من المال إهـ . وفي التحفة :

وراجع عنها قبوله اعتبر ما الحكم لم يمض وإن لم يعتذر

قـال الشـيخ مـيارة عـند تعرضه للكلام على هـذا البيت في شرحه: وللرجوع كما قال ابن الحاجب: ثلاث صور، الصورة الأولى قبل القضاء، فلا قضاء أي لا يقضي بها وتصير كالعدم، وإلـى هـذه الصورة أشار بهذا البيت، والمعنى أن رجوع الشاهد يقبل ويعمل به، سواء اعتذر وقـال: توهمت مثلا، أو نسيت أو لم يعتذر إذا كان ذلك قبل إمضاء الحكم إهـ ... وقال الشيخ الـتاودي موطـئا البيت: ثم تكلم، يعني الناظم على رجوع الشاهد عن شهادته، وله ثلاث صور قـبل القضاء، فلا يقضي بها وتصير كالعدم وإليها أشار بقوله (وشاهد راجع عن شهادته قبول رجوعه اعتبر ما الحكم لم يمض، أي مدة كون الحكم لم يقع، هذا إذا اعتذر بسهو أو نحوه، بل وإن لم يعتذر فتسقط الشهادة ولا يلزم الشاهد شيء، إلا أن تكون بزنى فيحد الراجع إلخ... وفيما

[1] البيتان للشاعر إسحاق بن حسان الخريمي. وهما من بحر البسيط. و لهما صيغة آخرى وهي :
إن الأمـور إذا الأحـداث دبرها دون الشيـوخ ترى في بعضها خللا
إن الشباب لهم في الأمر معجلة و للشيـوخ أناة تدفـــع الزللا

ذكـر مـن هـذه النصوص كفاية في إبطال هذه الشهادة، ولا يحتاج معها إلى زيادة بسط ولا إشكال، وا تعالى اعلم اهـ .

سوانح يوم الجمعة 13 ربيع الأول 1328 هـ

25 مارس 1910 م

وفـي يـوم الجمعة وقفت على قول الإمام الشافعي رضي ا عنه في طبقات الإمام السبكي، وهو:

العلـم من شرطه لمن خدمه — أن يجعـل النـاس كلهم خدمه
وواجـب صونـه عليه كما — يصون في الناس عرضه ودمه
فمـن حوى العلم ثم أودعه — بجهلـه غيـر أهله ظلمه
وكان كالمتبنـي البنـاء إذا — تـم له مـا أراده هدمه[1]

وله أيضا:

أأنثـر درا بيـن راعيـة الغنم — وأنثر منظومـا لراعية النعم
لئن كنت قد ضيعت في شر بلدة — فلست مضيعا بينهم غرر الكلام
فـإن فـرج ا الكريـم بلطفه — وأدركـت أهـلا للعلوم وللحكم
بثـت مفيدا واستفـدت ودادهم — و إلا فمخـزون لـدي ومكتتم
ومـن منح الجهال علما أضاعه — ومن منع المستوجبين فقد ظلم[2]

وقولـه:

يـا لهـف نفسي على مال أفرقه — علـى المقليـن من أهل المروءات
إن اعتذاري إلى من جاء يسألني — ما ليس عندي لمن إحدى المصيبات[3]

وقال رضي ا عنه:

علـي ثيـاب لـو يبـاع جميعهـا — بفلـس لكـان الفلس منهن أكثرا
وفيهـن نفـس لـو تقـاس بمثلها — نفـوس الورى كانت أجل وأخطرا
وما ضر نصل السيف إخلاق[4] غمده[5] — إذا كان عضبا[6] حيث أنفذته فرا[7]

---

(1) الأبيات للامام الشافعي رحمه ا . وهي من بحر المنسرح. وقريب من هذا قول الشاعر الأندلسي أبو حيان محمد بن يوسف النفزي الغرناطي

إن علما تعبت فيه زماني — باذلا فيه طارفي وتلادي
لجدير بأن يكون عزيزا — ومصونا إلا على الأجواد

(2) الأبيات للإمام الشافعي رحمه ا . وهي من بحر الطويل

(3) البيتان للإمام الشافعي رحمه ا . وهما من بحر البسيط

(4) إخلاق : أخلاق الشيء، أي بلي وتقادم

فإن تكن الأيام أزرت ببزتي[1] فكم من حسام في غلاف مكسرا[2]

وقال رضي ا عنه:

وأنطقت الدراهم بعد صمت أناس بعد أن كانوا سكوتا

فما عطفوا على أحد بفضل ولا عرفوا لمكرمة ثبوتا[3]

يقـال إن عياشـا الأزرق دخل على الشافعي يوما فقال : يا أبا عبد ا قد قلت أبياتا إن أنت أجزت لي بمثلها لأتوبن أن لا أقول شعرا أبدا، فقال له الشافعي أيه فأنشأ يقول:

ما همتي إلا مقارعة العـ ـ ـدا خلق[4] الزمان وهمتي لم تخلق

والناس أعينهـم إلى سلب الغنى لا يسألـون عن الحجا و الأولق

لو كان بالحيـل الغنى لوجدتني بنجوم أقطـ ـار السماء تعلقي[5]

فقال له الشافعي هلا قلت كما أقول استرسالا:

إن الذي رزق اليسـار فلم يصب حمـ ـ ـدا ولا أجـرا لغير موفق

فالجـ ـد يدنـي كل أمـر شاسع والجـ ـد يفتـح كـل باب مغلق

وإذا سمعت بأن مجـدودا[6] حوى عـودا فأثمـ ـر في يديه فحقق

وإذا سمعـت بـأن محروما أتى مـاء ليشربه فغـاض [7] فصدق

وأحـق خلـق ا بالهـم امرؤ ذو همـة يبلـ ـى[9] بعيش ضيق

ومـن الدليل على القضاء وكونه بؤس اللبيب وطيب عيش الأحمق[10]

---

(5) الغمد : مفرد غمود وأغماد، وهو جفن السيف

(6) العضب : السيف القاطع

(7) فرى : قطع وشق

(1) البزة : الثياب

(2) الأبيات للإمام الشافعي، وهي من بحر الطويل

(3) البيتان للإمام الشافعي وهما من بحر الوافر

(4) خلق : بمعنى بلي وتقادم

(5) البيت الثالث من هذه الأبيات للإمام علي بن أبي طالب

(6) مجدود : من الجدوى وهي العطية

(7) غاض : غار في الأرض ونضب

(9) يبلى : بمعنى يمتحن ويختبر

سوانح يوم السبت 14 ربيع الأول 1328 هـ

26 مارس 1910 م

وفي يوم السبت اجتمعت مع الشيخ محمد بن سعد، فأنشدني تخميسا للبيتين المشهورين لعنترة وهو:

أنا دون وصلك يا مليحة باذل　　　روحي ولو أن الأنام عواذل

هيهات يشغلني بغيرك شاغل　　　ولقد ذكرتك والرماح نواهل

منى وبيض الهند تقطر من دمي

لك قامة لا زلت أعشق لدنها　　　ولأجلها أهوى السلاح وطعنها

يا ظبية ضحكت فأبدت سنها　　　فوددت تقبيل السيوف لأنها

لمعت كلامع ثغرك[1] المتبسم[2]

ثـم ذكر لي أنه كان راكبا على فرس مارا بطريق سكة البابور[3] فجرى الفرس به في وسط السـكة والـبابور مقـبل، فلمـا أدركه البابور والفرس لم يخرج من السكة رمى بنفسه على الأرض، وتـرك الفرس في السكة، فمر عليه البابور فصيره رميما، قال: فسلمت والحمد ، فصرت أقول :

ولقد ذكرتك والجواد معاندي　　　بين الشريط وقد أتى البابور

ووقفت على قصيدة أجبت بها بعض الإخوان من الشناقطة على قصيدة كان وجهها لي، فسنح لي أن نكتبها هنا، وقصيدته ذكرتها في غير هذا الموضع:

سـلام عرفـه مجي العظـام　　　على قطب الجهابـ ـذة العظام

محمـد الرضى الحسن المفدى　　　خليلي ابن الجليل ابـن الكرام

وبعـد أداء تسليمـ ـي عليـه　　　بخيـر تحيـة طـ ـول الدوام

فقـد وافـت علينـا منـه بكر　　　تجـر رداء فخـر لاحترامي

فضوعت[4] الأماكن من شذاها[5]　　　وأشـرق نـورها كل الظلام

وكدنـا أن نخـر لهـ ـا سجودا　　　لدى كشف الحجاب من الهيام[6]

---

(10) الأبيات للإمام الشافعي رحمه ا . وهي من بحر الكامل.

(1) الثغر : الفم

(2) التخميس للشاعر محمد الهلالي، أحد شعراء العصر الحديث، توفي سنة 1311 هـ - 1894 م.

(3) إشارة لسكة القطار.

(4) ضوعت الأماكن : انتشرت فيها رائحة المسك

(5) الشذا : قوة ذكاء الرائحة

وإن وصولهـا فيـه لدينا يـرى نيل الأماني والمرام

وحقـك أنهـا سحـر حلال تمثـل منـك في حسن انتظام

لقـد صرنا بمطلعهـا سكارى بلفـظ فعلـه فعـل المدام

وأحيـت قلبنـا بجميـل ود صفـي من كدورات[1] الملام

وأبـدت مـن لطافتهـا فنونا من الآداب في حسـن ابتسام

فقمـت لهـا أبجلها[2] ومثلي يكـون لهـا يبـادر بالقيام

ألا يـا ذا العـلاء أبـا علي ومـن أعلـى بإجلال مقامي

لقـد أوليتنـي منك احتراما وأنـت أحـق مني باحترامي

فقـد أعطاك ربي حسن ظن فصـرت تجل قدري في الأنام

وحسن الظن عند ذوي المعالي به يضحى[3] المؤخر في الأمام

ولا سيمـا وأنـت رعاك ربي ترى فـي ذروة العليـاء سام

فأبشـر سيـدي ببلوغ قصد وفتـح دائـم طبـق المرام

وأسـأل ربنـا يرعاك حتى تحـل منعمـا دار السـلام

بجـاه إمامنـا القطب التجاني وجـاه صحابـه الأسد الكرام

وجـاه المصطفـى والآل طرا وجـاه الصحب خير ذوى المقام

عليهـم أفضل الصلوات تغشى مقامهـم علـى طـول الدوام

سوانح يوم الأحد 15 ربيع الأول 1328 هـ
27 مارس 1910 م

وفي يوم الأحد سنح لي أن نقيد قصيدته التي وجهها لي، ونصها :

خليفـة جامـع الشرف العظامي إلى الأعلى من الشرف العصامي

نـزف[4] تحيـة غـراء بكر لنيـل وصالكـم بيـن الأنام

تجوز زواخر[5] اللجج[6] الطوامي وتجتاب[7] المهامـه[8] والمرامي

---

(6) الهيام : الجنون من العشق

(1) الكدورات : من الكدر وهو نقيض الصافي

(2) أبجلها : أعظمها

(3) يضحى : يصير

(4) نزف : بمعنى نهدي

(5) زواخر : جمع زاخر، وهو الطافح الملآن

(6) اللجج : جمع لجة، وهو معظم الماء

وتأنف عن أبي زيد وعمـرو	وعـن أوس بـن حارثة بن حامي
وأطيـب نشـرها من كل مسك	وأسـرى في العظـام من المدام
وأسعد للفتى مـن وصل سعدى	وأصـدق فـي المحبـة من حذام[1]
وتلـك ولو سمت شرفـا وقدرا	فإنـك عـن كفائتهـا لسام
وإن عـدم الفتـى كفؤا تدلى	إلى غيـر المكافـئ في المقام
فيستر مـن جلالته المساوي	فيحسـب ذو المسـاوي كالمسام
أأحمد سيدي فاغضض وخدها	فمثلـك غـض عـن عـاب وذام
تـزف لجنـب حضرتكم وتلقي	عصـا التسيـار ضاربـة الخيام
عفافتهـا لثام عـن سواكم	وعنـد وصالكـم كشـف اللثام
كشفت حجاب محتجب المعاني	بنيـل ذوي الأمانـي والمرام
ظـلام الجهل نجـم العلم غطى	فأوهجـت[2] الكواكـب في الظلام
وسـرك باهـر بفيوض علم	بربانيـة النفحـات طـام
سراج النور منك مضيء داج	وصفو نداك[3] مـورد كـل ظام
علـى خيـر الأنـام وتابعيه	صـلاة والسـلام مـن السلام
ودام لشيخنـا القطب التجاني	رضـى المولـى مع الرحمات هام
ودام كـذاك يغمـر حيث كانوا	صحـاب الغـوث أحمـد من أنام
كريـم أفض علـى بكل حاج	وحاجـات الأحبـة بالتمام
فأفضـل مرسـل وأجل قطب	وصحبهـا الجهابـذة الكرام
عليهـم دائمـا متواصـلات	مـن الصلـوات تصحب بالسلام

---

(7) تجتاب : تقطع سيرا

(8) المهامه : جمع مهمه ومهمهة،وهي المفازة البعيدة والبلد المقفر

(1) حذام بنت ريان، قال عنها صاحب الأعلام : جاهلية يمانية، يضرب بها المثل في صدق الخبر، قالوا: إن عاطس بن خـلاج زحـف علـى أبيها في قبائل حمير وخثعم وجعفي وهمدان، فلقيهم أبوها في أربعة عشر حيا من أحياء اليمن، فاقتـتلوا، ثـم تحاجزوا، وشعر الريان بضعف جماعاته فرحل بهم ليلا، وأصبح عاطس فجد في طلبهم، فلما كان قريبا منهم رأت حذام أسرابا من القطا مقبلة عليهم، فخرجت تقول :

ألا يا قومي ارتحلوا وسيروا   فلو ترك القطا ليلا لناما

وقام زوجها واسمه في إحدى الروايات لجيم بن مصعب فأنشد :

إذا قالت حذام فصدقوها   فإن القول ما قالت حذام

فلجأ قومها إلى واد امتنعوا فيه من عاطس، ونجوا، وضربت العرب بصدقها المثل.

(2) أوهجت : اتقدت

(3) الندى : العطاء

ووقفت على جواب من سؤال سئلت عنه ونصه:

ســادتنا الأعــلام، مصابيح الهدى والظلام، جوابكم عن رجل له زوجة وأمة، وعلى الزوجة الطلاق والأمة العتق بقوله: إن دخلتما الدار، ففعلت واحدة فهل تعتق الأمة وتطلق الزوجة

أو الداخلة أو لا شيء عليه þ بينوا لنا جوابكم ولكم الأجر والسلام. ونص الجواب وا الموفق للصــواب: إن قصــد المعلق في تعليقه أن لا يقع طلاق ولا عتق إلا بدخولهما معا، ثم دخلت واحــدة مــنهما، فلا يلزمه شيء في السؤال أعلاه، قياسا على الزوجتين والأمتين، قال الشيخ خليل : (وإن قال إن دخلتما الدار فأنتما حرتان، فدخلت واحدة فلا شيء عليه) .

ولا يخفى على من له عقل أن النص في المسائل، إذا لم يقف عليه الطالب تشبث بالقياس :

إذا عدم الفقيه وجود نص تمسك لا محالة بالقياس

وعليه فلا شيء على المعلق أعلاه، حيث كان قصده ذلك وإلا لزمه وا أعلم اهــ.

وســئلت أيضا عن رجل حلف بلفظ الحرام على أخيه لا يدخل لداره، فمضت مدة من الأيام حتــى مرض الحالف ووصل إلى السياق، فطلبت والدته أن يستودع معه، فدخل عنده وهو لا شــعور لــه بذلك، فاستودع معه فمات، هل يحنث أم لا þ وإذا قلتم بحنثه هل لزوجته ميراث أولا þ بينوا لنا ولكم الأجر والثواب. ونص الجواب، وا الموفق للصواب:

الحمــد رب العالمــين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعــد، فإن هذه الزوجة التي حلف زوجها بالحرام على أخيه لا يدخل لداره فدخلها في مرض مــوته، بمجــرد دخوله لداره وقعت في الحنث ولزم الطلاق للزوج بذلك، فإذا ماتت قبله فلا يــرثها وترثه هي بعد موته من هذا المرض الذي وقعت في الحنث بسبب دخول الأخ لداره، وإذا كــان لا مانع للمرأة من الإرث إذا حنثت زوجها بعد أن حلف لها في صحته أن لا تفعل شيئا وفعلته في مرض توفي فيه على المشهور، فمن باب أولى هذه الصورة التي وقع السؤال عــنها، ففــي باب الخلع من المختصر ونفذ خلع المريض و ورثته دونها كمخيرة ومملكة فيه وممولى منها وملاعنة أو أحنثته فيه.

قال الخرشي بعد قوله أو أحنثته فيه ما نصه: المشهور أن الرجل إذا قال لزوجته في صحته أو فــي مرضه. إن دخلت دار فلان مثلا فأنت طالق، فدخلتها في المرض فإنه يلزمه الطلاق وترثه، وإن ماتت هي في ذلك المرض لم يرثها، فقوله فيه- أي أوقعت الحنث عليه فيه سواء كــان التعلــيق فيه أو في الصحة، وأولى لو أحنثه غيرها إهــ... وقال الزرقاني ما نصه: أو قال في صحة أو مرض إن دخلت الدار فأنت طالق، فدخلت وحنثته فيه- أي في مرض موته إهــ... وسلم ذلك محشوهما بالسكوت. وفي الشيخ ميارة على قول التحفة :

مــا لــم يكن بخلــع أو تخيير أو مــرض ليــس من المحذور

ما نصه بعد كلام: وأما عدم إرثها منه في مسألتي الخلع والتخيير، فهو خلاف المعروف عند ابن الحاجب، والمعروف مذهب المدونة أنها ترثه إهـ .

قال الشيخ أبو علي في حاشيته عليه قوله خلاف المعروف إلخ.. هذا المعروف هو لابن الحاج، وابن شاس قال ما نصه : فإن كان أصله- أي الطلاق – من الزوج وكماله منها أو من غيرها كالمخيرة والمملكة والحالف في صحته على زوجته أو على غيرها، فيحنثه من حلف عليه وهو مريض، أو الملاعن أو ما أشبه ذلك، ففي توريثها منه قولان إهـ بلفظه. وعلل في التوضيح القول بعدم الإرث بقوله لضعف التهمة فيها، لأن الفراق وإن كان ابتداؤه منه لم يستقل به، وإنما تممته هي أو غيرها، وهذا مقابل المعروف إهـ بلفظه. وصرح الباجي في مسألة التحنيث بمشهورية الإرث فيها قائلا : فالمشهور من المذهب أنها ترثه، وعلى هذا المعروف والمشهور مر في المختصر كما رأيته إهـ.. المقصود من الحاشية باللفظ، فتحصل مما ذكرناه أن الزوجة المذكورة، وقعت في الحنث بذلك ولا مانع لها من الإرث على القول المشهور الذي تجب الفتوى به والله أعلم إهـ .

ووقفت على ورقة بخط العلامة مولاي عبد السلام العلوي[1] فيها أبيات من مدحه للنبي صلى الله عليه وسلم كنت طلبت منه أن يكتبها لي، فأردت أن أقيدها في المحل حتى لا تضيع. قال:

من شاء عزا لا بمال أو نشب[2]   وعشيرة ليست بإخوان النسب
فليلزم الجاه العريض ويحتمي   بجنابه يجد المنى طوع الرغب
الله أكبر ما احتميت بجاهه   في حادث قد ساءني إلا ذهب
كلا ولا ناديته لمهمة   أو سوء حال قد عرا إلا انقلب
يا صاحب الجاه العريض عليك في   كل الأمور معولي مالي سبب
إلا الصلاة عليك يا خير الورى   وتلذذي بمديحك الأشهى الأحب

---

(1) عبد السلام المحب العلوي. أديب شاعر كاتب. من أعلام مدينة فاس. أخذ العلم عن جماعة من أعيان علماء القرويين. فبرز نجمه في فنون عديدة. أهمها الأدب. تولى الكتابة مدة على عهد السلاطنين المولى عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظ. توفي أوائل شهر شوال عام 1331 هـ - 1913 م. ورثاه الأديب محمد غريط بقصيدة قال في مطلعها :

نغالط بالآمال والحكم واجب   ونستوهب الإمهال والعمر ذاهب
ولولا أمانينا وحجب نفوسنا   عن الغيب ما لذت لدينا مشارب

أنظر ترجمته في فواصل الجمان لمحمد غريط ص 224. وفي الأعلام للزركلي 4: 7.

(2) النشب: العقار، والمال الأصيل من الناطق والصامت.

فأنـت يـا سندي مناي وبغيتي   وكفايتــي وغناي من فقر ألب[3]

وعليـك صلـى ا جـل جلاله   والآل و الأصحـاب كل منتخب

وقال في الحث على التمسك بأذيال النبي صلى ا عليه وسلم:

نــور النبي محمد قد أشرقا   ونفى الظلام عن القلوب وأمحقا[1]

هذا الوجـود بأسره هو روحه   وحياتــه لولا الممـد لما بقى

والعرش والكرسي والجنات و الـحور الحسـان وما حوت[2] دار البقا

نور البصائر و العيون وعقلنا   والملـك والملكـوت منه تألقا

لذ مـن جميع الكائنات بحبه   فهو الشفـا لجميع أمراض الشقا

وإذا رميت من الزمان بمعضل[3]   صعب فلذ بالهاشمي المنتقى[4]

قـل يا رسـول ا إنـي لائذ   وحماك للظلام[5] صعب المرتقى

تجـد العناية و السعـادة دائما   وتفـوز بالدنيا ويوم الملتقى[6]

وعليـه صلى ا جـل جلاله   ما لاح رعد في السماء وأبرقا

وقـد سنح لي أن أقيد قصيدة كنت قلتها في مدح هذا الشريف على لسان بعض عدول طنجة، وقد كان الشريف المذكور قاضيا بها، ونصها:

لأهـل الخير فضل في الأنام   على أهـل المناصب في المقام

وأنهـم وإن فاقـوا سواهم   فأفضلهـم يــرى عبد السلام

علي القدر والعلـوي المفدى   بأنفسنـا علـى طــول الدوام

فـإن بقـــــاءه وا فينا   لأهل الديـن مـن خير اغتنام

وأي فتــى يساويه بفضل   ونـور هداه مجــــل للظلام

فــإن بـه الإله أقام ركنا   من الإســلام مـن بعـد انهدام

وأصبـح للديانـة خير واق   يدافـع بالحسـام ذوي الترامي

ولـم أر مثلـه فينـا إماما   غــدا في كـل فـن في الأمام

له قـد أذعنت أولوا المعالي   وكلهــم لـه يعنــــو بهام

---

(3) ألب: تجمع وتحشد

(1) أمحقه: محاه وأبطله

(2) حوت: ضمت وجمعت

(3) المعضل: مذكر معضلة وهي المسألة المستغلقة المشكلة وجمعها معضلات وهي الشدائد

(4) المنتقى: المختار

(5) الظلام : بمعنى الظالم أي الجائر

(6) يوم الملتقى : يوم القيامة

لعمـــرك إنه ليـث إذا ما	بـدا سكنـت بـه نار الخصام
ويصبح أهلهـا من بعد هول	كأنهـم بسلـــم فـي إلتئام
ولـم لا وهـو ذو خلق عظيم	وقـدر قـد أحيـط بالاحترام
ورتبتـه الجليلـة قد تسامت	إلى مـالا سـواه له مسامـي
ففي كـل العلوم تـراه بحرا	حلافي العالميـن لكـل ظامي[1]
وان نفـوذه بالسـر سار	على رغـم الأعـادي في الأنام
ألا يا أيهـا القاضـي الذي في	ظهـور الحق أصبـح ذا قيام
ولا يخشـى لقول الحـق يوما	بحـول ا مـن أهل المـلام
لأنـــك سيـــد للـه داع	وغيـــرا ا مالـك من مرام
فكـم أوليتنا مننـا وفضلا	وجـودك بحره في الكون طام[2]
وإنـا قـد عجـزنا عن ثناء	يفـي منـا بشكرك في الكرام
فـدم يا كامـل الإحسان فينا	بحفــظ ا ملحوظـا المقام
وعـش والناس كلهـم فداء	لنفســك في أمـان واحترام

سوانح يوم الإثنين 16 ربيع الأول 1328 هـ
28 مارس1910 م

و في يوم الإثنين وقفت على هذه الأبيات من إنشائي، وهي:

ما للزمان أراه غير مساعدي	و أراه في كل الأمور معاندي
أ لحرفة الأدب التي شغلت بها	نفسي وقاهـا ا شر الحاسد
فغدا حسودا لي عليها و هي لا	تجدي و حتك لي بلوغ مقاصدي
كسدت تجارتها فلم يحصل بها	ربح و هل يرجـى بسوق كاسد

ووقفت على قول، القائل، و هو مما يعجبني:

إذا أجمع الناس في الواحد	و خالفهم في الرضى واحد
فقـد دل إجماعهـم دونه	علـى عقله أنـه فاسد

قد أجاد القائل في الحث على الصلاة على النبي صلى ا عليه و سلم:

---

(1) الظامε : العطشان

(2) طامي : طمى البحر أي امتلأ وارتفع

كم بالصلاة عليه فاز من رجل　　　و كم رأيت لها في الضيقة الفرجا
و كم قضيت بها للنفس من أرب [1]　　　و كم رأيت بها في ا ألف رجا

و قلت، و القصد أن أنسج عليه قصيدة:

أحبتنـا و ا إنـي مشوق　　　لرؤيتكم و القلب مني خفوق
و قد حكم البين المفرق بيننا　　　بما فيه ضاعت لي لديك حقوق
أناشدكـم با إلا رجعتـم　　　لودي على رغم الذي لي عقوق

و وقفـت على بيتين وجهتهما للأخ في ا العلامة سيدي الحاج أحمد جسوس[2] لما وجه لي هدية، و لم أجد ما أكافيه به عليها، و لحسن أدبه طلب مني أن أنظرها بعين القبول، و هي:

وصلت فكانت بالرضى ملحوظه　　　يا مـن عهودي فيهم محفوظه
أعطاكم الرحمان خيرا دائما　　　وعداكم[3] طول المدى ملفوظه

ووقفت على قولي:

أباحت دمي لما بحبي لها بحت　　　على أنني في الخلق عشقي لها بحت
فما مات في حبي إلى غير حبها　　　و لكننـي قـد بت فيـ ـه كما ظلت
سهرت الليالي بالجوى متواجدا　　　وأصبحت فيهـا مثل ما فيه أمسيت
و عاينت ما لا تستطيع لحمله　　　جبـال ويـ ـا ما فيـه عانيت

[1] أرب: مفرد آراب و هي الحاجات.
[2] سبق التعرف به في
[3] عداكم: بمعنى أعدائكم.

ووقفت على قولي مذيلا قول الإمام الشافعي رضي ا عنه:

عمـدة الديـن عندنا كلمات مختراة مـن قول خير البرية

اتق الشبهات و ازهد ودع ما ليـس يعنيـك واعملن بنيه

و هو قولي:

و أصول الخيرات في قوله من حسـن إسـلام كل أمـر جليه

و قل الحق إن نطقت و لا تغـــــــــضب و حب السوى كنفس سويه

ووقفت على قول القائل، وقد أبدلت القافية بما بعدها:

يـا فاخرا بالعظام و السلـف وتاركـا للعـلاء والأدب

أبـاء أجسادنـــا هـم سبب لأن جعلنـا عوارض التلف

مـن علم النـاس كان خير أب ذاك أبو الروح لا أبو النطف

فصارت هكذا:

يـا فاخرا بالعظـام والرتب وتاركـا للعــلاء والأدب

أبـاء أجسادنـــا هم سبب لأن جعلنـا عوارض العطب

مـن علم الناس كان خير أب ذاك أبو الروح لا أبو النسب[1]

سوانح يوم الثلاثاء 17 ربيع الأول 1328 هـ
29 مارس 1910م

وفي يوم الثلاثاء، وقفت على قول القائل، وقد سنح لي ذكره هنا، وهو قوله مهنئا لبعضهم بازدياد مولود، وقد أحسن للغاية:

هنيت بالبر التقي و من يكن بـرا تقيـا مثـل ذاك ينتج
إن المقدمتيـن مهمـا كانتا صدقا فمثلهما النتيجة تخرج

فـإذا قرأت قوله ينتج بالبناء للفاعل، كان فيه مدح لوالد المولود أيضا، وإذا بنيته للمفعول كان المعنى من كان برا تقيا لا يولد إلا برا تقيا، والمعنى الأول أحسن، على الثاني، فلك أن تجعل القافيتين هكذا:

هنيت بالبر التقي و من يكن بـرا تقيا مثـل ذاك يخلـق (أو) يولد

إن المقدمتيـن مهمـا كانتا صدقا فمثلهما النتيجة تصدق(أو) توجد

و تذكرت بهما قول شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس للحكم، وهو:

كل المقدمات عن ثلاثة صدرت العلـم ينتـج حالا وهو للعمل

---

[1] قريب من هذا قول الشاعر عبد ا بن معاوية :

لسنا وإن كرمت أوئلنا يوما على الأحساب نتكل
نبني كمـا كانت أوئلنا تبني ونفعل مثل ما فعلوا

ومنه أيضا قول شاعر آخر:

مالي عقلي وهمتي حسبي ما أنا مولى ولا أنا عربي
إذا انتمـى منتم إلى أحد فإننـي منتـم إلى أدبي

و الحسن في الأصل حسن في النتائج لا   يأتيك من حسن إلا بنسل علي[1]

ووقفت على قول القائل، و هو مما أحفظه:

أبني إن من الرجال بهيمة   في صورة الرجل السميع المبصر

فطن لكل مصيبة في ماله   وإذا تصبـه بدينـه لم يشعر[2]

سوانح يوم الأربعاء 18 ربيع الأول 1328هـ
30 مارس 1910م

وفي يوم الأربعاء، وقفت على قولي:

منـح الحبيب لمن يحب رضاه   وعليـه ألقى في اللقاء رداه[3]

ولطالما قـد بات يرقب قربه   حتـى لقـد خفنا عليه رداه[4]

والعاذلـون بلومه استقلوا ولم   يعـدل بهـم عـن حبه لسواه

لـولا تعلـل نفسه بلقاء من   يهـوى لأمسى جمعهم ينعاه

ولطالمـا كتم الهوى و بكتمه   قـد كاد أن يفنـى بما ينعاه

ولربمـا التـذ الشجي[5] بلومه   وعذولـه قـد رام مـد شجاه

فغدا الشجي منعما من حيث لا   يـدري الرقيب بذكر من يهواه

يبـدي هـواه إليهـم متلذذا   بهـوه حيـث لهم به أفشاه

إن الهـوى داء عضال[6] طبه   قـرب الحبيـب ووده و رضاه

لـو كـان يبتاع اللقاء لعاشق   لشـراه منـه بمـا حوته يداه

فلديـه وقـت وصاله عيد به   تـم السـرور برغم أنف عداه

ولقد طعمت العشق يوما مكرها   وشربـت كأسـا فيه لا أنساه

فغـدوت أنفـق فيه كل نفيسة   ووهبـت نفسـي للـذي أهواه

وعلى قولي فأثبته هنا خوف الضياع لوقت الحاجة:

لقاء أحبتي أقصى مرامي   وإني عنه في أقصى المرامي

---

[1] قالهـا ضـمن نظمـه المسـمى الواضح المنهاج، في نظم ما التاج، ويشير في هذين البيتين إلى الحكمة السادسة والأربعـين مـن حكم ابن عطاء ا الإسكندري، و نصها: حسن الأعمال نتائج حسن الأحوال، و حسن الأحوال من التحقق في مقامات الإنزال.

[2] البيتان للإمام علي كرم ا وجهه، من بحر البسيط.

[3] رداه: جبته وعباءته.

[4] الردى: الموت و الهلاك.

[5] الشجي: الحزين المشغول البال

[6] داء عضال: شديد مزمن، لا دواء له.

فهل يــا دهر تجمعني قريبا	بهــم علي بهــم يعلو مقامي
فإنــي من هواهم صرت فان	ودمعي من نواهم[1] صار هامي
أعلــل باللقــا نفســي لعلي	أراهــم قبــل أن ألقــى حمامي[2]
ويــزداد اشتياقــي كل وقت	إليهــم في ارتحالــي و المقــام
تراني عذلــي مشغول بال	ولــم يــدروا الذي فيهم غرامي
و كم بحثوا وما قد بحث فيهم	بحــب كي يخوضــوا فــي ملام
ولكنــي تركتهــم حيــاري	ومــا اطلعــوا على ضمن الكتتام

وعلى وقولي:

كيــف يرجــى للعاشقين ثبات[3]	وليــوث الهــوى لها وثبات[4]
كيــف يرجــى تصبري و سلــوي	وضلوعي على الجوى مطويات
لا رعــى ا بيــن أهــل التصابي	عــاذلات عن الهوى عادلات
كــل مــن لامنــي يزيــد فؤادي	شغفــا في الحشا[5] له سطوات
كم كتمت الجوى مــا شفا ه وجد[6]	وأنيـــن وأدمــــع مرسلات
لم أبــح بالهوى ولكن وشت[7] بي	أعيــن طـــول ليلها ساهرات
فإلـــــى ا أشتكــي ما أعاني	مـــن غرام به فنت لي الذات
كـــدت أخفى عــن العدا لنحولي	باشتيــاق لـــه ترى زفرات

وقولي:

أهاج هــواك لوم العاذلينا	فصرت به إمام العاشقينا
إذا ذكــر الغرام فأنت فيه	ترى من أعظم المتواجدينا
يزيدك لوعة عدل الأعادي	وعنه لا ترى في العادلينا

تذكــرت فــي هــذه الساعة، ما نظمه العلامة الفاضل سيدي أحمد شمس[1] مما ينسب لجعفر الصادق رضي ا عنه:

---

(1) النوى: البعد.

(2) الحمام: الموت.

(3) ثبات: استقرار و شجاعة.

(4) وثبات: جمع وثبة يقال وثب يثب وثبا، بمعنى نهض و قام و قفز و طفر.

(5) الحشا: ما انضمت عليه الضلوع، وهي مفرد أحشاء.

(6) الوجد: المحبة.

(7) وشت: كذبت في الكلام و نمت.

(1) العلامة الشيخ أحمد بن محمد فال بن الشمس، فقيه، محدث، أديب، نعته العلامة سكيرج بخليفة الشيخ ماء العينين، وكان أول اجتماع بينهما بتاريخ يوم السبت 15 ربيع النبوي عام 1323هـ، فنمت بعد ذلك بين الطرفين علاقة وطيدة،

لتكرمـوا الظهور بالإسناد ولتكرمـوا الأسنان بالتكداد

ولتكرمـوا العيون بالأثماد عن جعفر الصادق ذي الأيادي

سوانح يوم الخميس 19 ربيع الأول 1328 هـ

31 مارس 1910 م

و في يوم الخميس وقفت على قولي:

وسائلة عن حالتي في هواها وما بالجوى لا قيت بعد نواها

فقالـوا لها إنا رأيناه مدنفا وفي نفسه الشوق المليم تناهى

ووقفت على ورقة بخطي بها أبيات كنت انتقيتها أيام طلبي للعلم بالمجالس العلمية منها:

إذا ما دعتـك النفس يوما لحاجة وكـان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها ما ما استطعت فإنما هواها عدو و الخلاف صديق[2]

ومنها:

انفق ولا تخش إقلالا فقد قسمت على العباد من الرحمان أرزاق

لا ينفع البخـل مـع دنيا مولية ولا يضـر مع الإقبـال إنفاق[3]

ومنها قول بعضهم مخاطبا لبعض الأكابر، و قد أجاد:

لا تهجروا من لا تعود هجركم وهو الذي بلبان وصلكم غذي

ورفعتمـوا مقـداره بالإبتدا حاشاكموا أن تفصلوا صلة الذي

ووقفت على قولي لينسج عليه قصيدة:

وافـت تميـس[1] كأنها سكرانه ووفـت و كانت باللقا ضنانه

خود بمبسمهـا[2] الجواهر نظمت تسبـي العقول بعينهـا الفتانة

و مجالس ومذكرات مفيدة، وقد تلاقيا خلال ليلة في مجلس عاطر، كثرت فيه الفرائد والفوائد، فقال فيه العلامة سكيرج وقتذاك:

هذه ساعة بها زال غمي وبـه قد تنورت كل نفس

لم أقل ليلـة لأني أراها قد تبدي بجمعنا نور شمس

ومدحه العلامة سكيرج بقصائد كثيرة قال في مطلع إحداها:

أنظر إلى شمسنا في أفقنا طلعت أنوارها بين كل الخلق قد لمعت

وقال في مطلع قصيدة أخرى:

أسائل عن أهل العلا والمكارم وأهل التقى و المجد بين العوالم

توفـي رحمـه ا بالمدينة المنورة عند فجر يوم الإثنين 22 جمادى الثانية عام 1342 هـ، أنظر ترجمته في رياض السـلوان للعلامة سكيرج ص 17، وفي قدم الرسوخ لنفس المؤلف رقم الترجمة 12. وفي إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 8:2937.

(2) البيتان للشاعر أبي الفتح البستي وهما من بحر الطويل.

(3) البيتان للشاعر أحمد بن جعفر المعروف بجحظة البرمكي. و هما من بحر البسيط.

(1) تميس: مشت و هي تتمايل وتتبختر.

بجبينها شمس الظهيرة قد سرت   وقوامـها يزري[3] بقد البانه[4]

قـد جمعـت فيها المحاسن كلها   فعقولنـا فـي حسنها حيرانه

واجتمعت مع الأديب السيد علي زنيبر الصوفي[5]، فأنشدته قولي فيمن لا يجيز على الشعر:

تركنا مديـح امرئ فاضل   لأمـر يحـق لنـا شرحه

فمن لا يجيز على الشعر لا   يجـوز بمذهبنـا مدحه

فكتب في الحين قوله:

إذا ما مدحـت كرام النهى   فلا عيب فيما شـدا روحه

ومن رام مدحا بدون اقتضا   فذاك الذي ما انجلى صبحه

ووقفت على قولي:

خليلي إنني لست للغير مائل   ولازال يغريني على العشق عاذل

صبور على ما في الصبابة من جوى   ولكننـي بالشوق دمعـي سائل

ووقفت على قولي :

فؤادي بالصبابة غير صاح   وليس على المتيم مـن جنـاح

وإني في الهوى يزداد عشقي   إذا ما لامني فـي الحـب لاحي

عجبت لمن يروم سلو نفسي   وفي عشقي النفيس يرى صلاحي

وقفت على هذه الأبيات، كنت صدرت بها بعض الرسائل، واختصرت منها هنا هذا:

ألا يا من سما في المجد قدره   وعم جميع أهل الأرض خيره

ويا من فضله فـي الكون باد   ولـم يبلغ رفيع علاه غيره

ويـا من مثلـه فيهم محال   بأن يأتـي به في الخلق دهره

بمـا قد حاز من علم وفضل   وعرفان سرى في الكون سره

إليك أتيت كي نحظى بقصدي   وأن العلم منـك يفيض بحره

---

(2) المبسم: مفرد مباسم و هو الثغر.

(3) تزري به: تعيبه و تضع من حقه.

(4) البانة: مؤنث البان، و هو شجر معتدل القوام لين ورقه كورق الصفصاف، يؤخذ من حبه دهن طيب.

(5) علـي بن أحمد زنيبر السلاوي، فقيه أديب صوفي. من مواليد مدينة سلا حوالي سنة 1290 هـ - 1844م . عاش فتـرة طـويلة من عمره بمصر. اهتم خلالها بشؤون الحجاج المغاربة، العابرين للبلاد المذكور نحو الأراضي المقدسة، فسـمي إذ ذاك بوكـيل المغاربة ، ثم عاد بعد ذلك للمغرب، فأقام بمدينة طنجة مدة لا تزيد على السنتين. ثم انتقل إلى فـاس، فقضـى بها فترة تزيد على عشرة أعوام، قبل أن يعود إلى مسقط رأسه (سلا) سنة 1914م، و هي السنة التي توفي فيها رحمه ا .

و المعـروف عـن مترجمنا أنه كان صوفيا فاضلا، درقاوي الطريقة، مشهورا بتمسكه الشديد بتعاليم الكتاب والسنة ، عاضـا علـيهما بالنواجد ، وقد وقفت له على أربع مؤلفات و هي: تحفة القراء بنتيجة الجزيرة الخضراء . و دور عقد النصيحـة بسلك الإبريز ، بنحـو حور جنة حبور مولاي عبد العزيز . و حفظ الإستقلال و لفظ سيطرة الإحتلال . و منتخبات المشتاق من أرج روح المشتاق. توفي بسلا بتاريخ 29 جمادى الثانية 1332هـ - 25 ماي 1914م . أنظر ترجمته في إتحاف المطالع لابن سودة 1 ص 394. . معلمة المغرب 14: 4727 . مجلة دار النيابة السنة الثانية العدد السادس ربيع 1985م . مظاهر يقظة المغرب الحديث ج 2.

ووقفت على قولي:

إنمـا العذل فـي الهوى إغراء ووصـال الحبيب هـو الدواء
مـن يقل بالملام يرجع صب عـن هواه فالقـول منه هواء
ها أنا في الغرام مضنى و نفسي للـذي قد سبـى فؤادي فداء

ووقفت على قولي:

دع عنك لومي فالصبابة هاذي مـن لام فيهـا فهو عندي هاذ[1]
يا عاذلي فيما ألاقي في الهوى فعـذب نفسـي بالجوى استلذاذ
لو يشتري بالنفس قرب جنابها يلفـى[2] رخيصـا عند كل محاذ
فعلامة الهذيـان منـك تلومني و على العقول العشق في استحواذ[3]

ووقفت بخطي على قول بعضهم:

إن التعـزز فـي الذي تحتاجه كبـر و كبـر المرء أقبح مقصد

ووقفت على قولي، و قصدي بها استعمال قصيدة في مدح سيدنا جابر بن عبد ا رضي عنه:

فؤادي على حمل الجوى غير قادر وليـس على بعـد الحبيب بصابر
وكنت صبورا في النوائب[4] لا أرى جـزوع[5]ا لمـا ألقـاه عند المرائر
إلى أن دهانـي فـي هـواه شدائد بهـا قد غـدا لي عاذلي فيه عاذري
لذلـك ألقيـت السـلاح إليه في أموري التي فيها الجوى صار آمري

ووقفت على قولي:

طريـق أهل التقى أجل منهاج إن شئت تظفـر بالحسنى فمنهاجي
فما لمن في الهدى قد اقتدى بهم أوحل ساحتهـم في الكون من هاج[1]
إن النجـاة بـلا شـك لتابعهم لأن من يقتـدي بالمهتـدي ناجي
فكيف لا وهـم للمصطفى تبعوا و الكل خـص بنـور منه و هاج

و منها:

يا مقصد المرتجي في نيل كل رجا و فتح مرتج بـاب سائر الحاج
و من علـى يده ينـال كل منى لولاه لم تشرق الأنوار في الداج[2]

---

[1] هاذ: من الهذيان، بمعنى أن يتكلم الرجل بكلام غير معقول لمرض أو لغيره.
[2] يلفى:يوجد.
[3] استحوذ على الشيء: غلبه و استولى عليه.
[4] النوائب: جمع نائبة، و هي الكروب و الشدائد.
[5] الجزوع : الحزين الفاقد للصبر.
[1] هاج: من الهجاء يقال هجا خصمه أي عدد معايبه ووقع فيه و شتمه.

ووقفـ ـت على قولي ، و هـ ـو من قصيدة استعملتهـ ـا في مولـ ـد النبي صلى ا عليه و سلم و معراجه الشريف و هو :

و أول الأنبيـ ـاء شاب ذلـ ـك إبراهيـ ـ ـم صلى عليـ ـه ربنا ا	
فقـ ـال يـ ـا رب ما هذا فقال له	هـ ـذا الوقار بـ ـه يجلك ا
فقال يا رب زدني من وقارك كي	أحظى به بيـ ـن من يجله ا [3]

ووقفت على قولي:

وافت رقية في الملاحة[4] ترفل[5]	في روض أنـ ـس دوحه تتمثل
أبدت محيـ ـا البـ ـدر تحت لثامها	من حسنه شمـ ـس الظهيرة تخجل

وقلت مخاطبا الحضرة المحمدية عليها السلام، و هو من أوائل نظمي:

جمعـ ـت مـ ـن الأسرار ما قد تفرقا	و حـ ـزت مـ ـن العرفان حتى تدفقا
فأنت صـ ـراط ا من جاءك اهتدى	و مـ ـن لا يجي منك اعتدى و تزندقا
و أنت الذي في غيهب الدين كوكب	تضـ ـيء و بـ ـرق النـ ـور منك تألقا
بجاهـ ـك أدعـ ـو ا ربـ ـي قائلا:	أ مولاي إني صرت في الذنب مغرقا
أ مولاي منك أسأل العفو و الرضى	وأ شكـ ـو و إليـ ـك مـ ـا فـ ـؤادي قد لقا
لقـ ـى ما لقـ ـى و ا يعلـ ـم أنني	ضعيف و بي جيش النوائب أحدقا [6]
فأنت نصيري يا مجيري من الردى	وحاشـ ـاك ألفـ ـى باب فضلك مغلقا
و يا سيدي فاجعل لعبدك مخرجا	فعجزي عـ ـن دفع الملم[1] تحققا
وحاشـ ـاك يا مولاي تطرد سائلا	بحبل الرسول المصطفى قد تعلقا
أ مـ ـولاي إنـ ـي قـ ـد أتيتك مذنبا	و أنت على الجاني عهدتك مشفقا
عليك سلام ا ما لاح في الدجى	بأوج العلا نجـ ـم به الأفق أشرقا

سوانح يوم الجمعة 20 ربيع النبوي 1328هـ
1 أبريل 1910م

و في يوم الجمعة ورد علي كتاب من حضرة شيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، أمنه ا ، فأجبته بجواب و ضمنه قولي:

---

[2] الداج: الليل المظلم.
[3] جاء في بعض الأحاديث أن أول من رأى الشيب إبراهيم خليل الرحمان، فقال: يا رب ما هذا؟ قال له : هذا الوقار ، يا رب زدني وقارا.
[4] الملاحة: الحسن.
[5] ترفل: تجر ذيلها و تتبختر .
[6] الملم: مفرد الملمات و هي النازلة الشديدة من كل شيء.
[1] الجاني: المذنب.

و ســـلام عليــك يحمله منـــي نسيم يضــوع الكون طيبا

و يعم الأحباب طرا و يشفى كـل عبد صيرتمـوه حبيبا

و قلت في وصف كتابه:

أتى كتابك في مضمونه درر قد نظمـت لا يفـي بقدرها ثمن

و أنت يا سيدي علي منزلة لا عجب إن جاءنا من عندك الحسن

و في مضمن كتابه أبيات خاطبني بها، سنح لي ذكرها و هي :

رفقـا ألامـــع برق	هيجـت لوعة شوق	و أنـت للعيـن نور
خلصـت فيـك ودادي	يا مالكـا لفــؤادي	و البعـد عنك يحور
لمـا غـدوت الفريـدا	نثـرت درا نضيدا	حوتـه منـك سطور
أبديـت سحـرا مبينا	أبرزت منـا الكمينا	فالعيـن منــه تفور
أرت نفائــس علـم	كما حـوت عقد نظم	بـه تحلـى النحـور
تضمنــت عطف عم	لـه اقتــداء بيم	و مجـــده مــأثور
إنعامــه المحتــوم	بـه تولـت هموم	و قـد توالـى السرور
وانظـم شمـل بليلي	و جـر قيسهـا ذيلا	و بـان منـه حبـور[2]
فاشكـر إلاهك و أمن	لما عقدت على من	لهـا العفـاف ستـور
حيـا و ديـن و حسن	و ثــروة ثم أمن	و غيـر ذاك أمــور
مســرة و هنــاء	قرابــة و كفــاء	و الحـور عنها مهور
رزقتمـا السعـد فيما	منحتمـاه عظيمــا	و ا بــر شكـور

إهـــــــ .

ووقفـت علـى تفسير الإمام الثعلبي[1] عند قوله تعالى كمثل صفوان إلخ.. على قول الشاعر فسنح لي ذكره و هو:

مالي أراك كأنني قد زرعت حصى في عام جدب[2] ووجه الأرض صفوان[3]

أما لزرعــي إبــان فأحصـده كمـا يكــون لوقــــت الزرع إبان

---

[2] الحبور: السرور.

[1] هو الكشف و البيان في تفسير القرآن، للعلامة أحمد بن محمد الثعلبي. من أهل نيسابور. توفي سنة427 هـ . أنظر ترجمته في وفيات الأعيان لابن خلكان 22:1. البداية و النهاية لابن كثير 40:12. الأعلام للزركلي 212:1. إنباه الرواة على أنباء النحاة ، للقفطي 119:1 . معجم المطبوعات لسركيس 663.

[2] عام جدب : انقطع فيه المطر وييبست الأرض

[3] الصفوان: الصخر الأملس.

ووقفـت فـي طـبقات الإمام السبكي على أبيات لمولاتنا عائشة رضي ا عنها، سنح لي أن أذكرها، فبالسند عن مكحول عن عروة عن مولاتنا عائشة رضي ا عنها قالت: كان رسول ا صـلى ا عليه و سلم كثيرا ما يقول لي: يا عائشة ما فعلت أبياتك؟ فأقول: و أي أبياتي تريد يا رسول ا فإنها كثيرة، فيقول: في الشكر. فأقول : نعم بأبي و أمي قال الشاعر:

ارفع ضعيفك لا يحر بك ضعفه   يوما فتدركه العواقب قد نما
يجزيك أو يثني عليـك وإن من   أثنى عليك بما فعلت فقد جزا
إن الكريـ ـم إذا أردت وصاله   لم تلف رثا حبله واهي القوى[4]

قـال: فيقول: يا عائشة إذا حشر ا الخلائق يوم القيامة ، قال لعبد من عباده اصطنع إليه عبد من عباده معروفا: هل شكرته؟ فيقول : أي رب علمت أن ذلك منك فشكرتك عليه، فيقول: لم تشكرني إذا لم تشكر من أجريت ذلك على يديه[5] إهـ .

سوانح يوم السبت 21 ربيع النبوي1328 هـ
2 أبريل 1910 م

وفـي يـوم السبت، وقفت في طبقات السبكي على محاورة أربع أدباء، افتخر كل واحد منهم بنسبه نذكرها للطافتها. قال ابن زريق الكاتب : حضرت مجلس القتبي صاحب بيت حكمة المأمـون، و عنده أربعة قد نظروا في الأخبار، ورووا الأشعار، وتأدبوا بفنون الأدب، و كل فتـى منهم ينتمي إلى جنس و يقول بتفضيله، فقال القتبي و قد قام بهم المراء: ليقل كل واحد منكم في مجلسه بيتي شعر في فضل قومه، فقال المنتمي إلى الفرس:

نحـن الملـوك و أبناء الملوك لنا   علم السياسة و التدبير و الكتب
و نحن من نسل إسحاق الدبيح و في   مجد النبيئين ظل المجد والحسب

و قال المنتمي إلى العرب :

فينـا الشجاعة طبعا و السخاء كما   فينا الدهاء و فينا الظرف و الأدب
و نحن من نسـل إسماعيل قاطبة   لا ينكـر الناس قولي حين أنتسب

وقال المنتمي إلى الروم:

الـروم قـوم لهم حلـم و تجربة   و حسن خلق و علم بارع عجب
و هم بنو العيص و الأملاك لا كذب   ولبسهـم شقق الديباج و الذهب

---

[4] الأبيات للشاعر زهير بن جناب الكلبي. و هي من بحر الكامل. و لها بيت رابع و هو:
أرعى أمانته و أحفظ غيبه   جهدي فيأتي بعد ذلك ما أتى

[5] رواه الطبراني في المعجم الأوسط 50:4 (رقم 3580) المعجم الصغير للطبراني أيضا 276:1(رقم 454) مجمع الزوائد 180:8. مسند الشاميين 175:1 (رقم 298.)

وقال المنتمي إلى الترك:

الترك لم يملكوا في دار ملكهم   والفرس قد ملكوا و الروم و العرب

هذا لعمري فضل ليس يجحده   إلا حسـود عنيـد مالـه أدب

قـال علـي بن زريق: فعجبت من افتخار التركي عليهم. قال صاحب الطبقات، قلت: لو أن العربي قال:

فينـا الشجاعة طبعا و السخاء كما   فينا الدهاء و فينا الظرف و الأدب

و أحمد المصطفى الهادي النبي و ذا   هو الفخار الـذي سادت به العرب

أو قال:

ما الفرس ما الروم ما الأتراك نحن بنو   عدنان فينا الحجا والجود والأدب

هـذا وإن لنـا بالمصطفـى حسبا   به على كل ذنب سادت العرب

لكان قد أفحم الكل و افتخر عليهم إهـ .

و فـي الطبقات المذكورة نقلا عن الإمام الجليل أبي الوليد النيسابوري قال: حدثنا إبراهيم بن محمود قال: سأل إنسان يونس بن عبد الأعلى[1] عن معنى قول النبي صلى ا عليه و سلم

(أقـروا الطيـر على مكناتها[1]) فقال: إن ا يحب الحق، إن الشافعي قال: كان الرجل في الجاهلـية إذا أراد الحاجة أتى الطير في وكره فنفره، فإن أخذ ذات اليمين مضى لحاجته، وإن أخـذ ذات الشمال رجع، فنهى النبي صلى ا عليه عن ذاك.[2] قال : و كان الشافعي رحمه ا نسـيج وحـده فـي هـذه المعاني، و قال محمد بن مهاجر : سألت وكيعا عن تفسير هذا الحـديث، فقـال: هو صيد الليل، فذكرت له قول الشافعي فاستحسنه، و قال: ما كنا نظنه إلا صيد الليل.

قال في الطبقات: قلت: المكنات، واحدها مكنة بكسر الكاف، وقد تفتح، و هي في الأصل بيض الضباب، و قيل هي هنا بمعنى الأمكنة، و قيل مكناتها جمع مكن و مكنات كصعدات وجمرات في جمر إهـ .

---

(1) يونس بن عبد الأعلى. المعروف بأبي موسى الصدفي. فقيه متمكن. قال عنه الإمام الشافعي: ما رأيت بمصر أحدا أعقـل مـن يـونس. إهـ.. ولد بمصر سنة 170 هـ. و بها توفي سنة 264 هـ. أنظر ترجمته في طبقات الشافعية للسبكي 279:1. مفتاح السعادة لطاش كبري زاده 169:2. الأعلام للزركلي 261:8. مراءة الجنان لليافعي 176:2.

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى 311:1 . سنن أبي داود 105:3 (رقم 2835) المستدرك على الصحيحين 265:4 (رقـم 1431) مصـنف ابن أبي شيبة 311:5 (رقم 26401)مسند الحميدي 167:1 (رقم 347) ميزان الإعتدال 170:3 (رقم 3079) الآحاد و المثاني 72: 6 (رقم 3284) مسند اسحاق ابن راهويه 158: 1 .

(2) انظر كتاب المحدث الفاصل ج 1 ص 259.

سوانح يوم الأحد 22 ربيع الأول 1328 هـ

3 أبريل 1910 م

و فـي يوم الأحد، وقفت على هذين البيتين للشيخ حمدون ابن الحاج في التلويح لقاعدة نحوية، سنح لي ذكرهما، و هما يخاطب بهما بعض الأحبة:

لقد غاب الرقيب و قد تأتى لنا وصل فجد لي باتصال

و مهمـا الإتصال لنا تأتى فلا أحد يقول بالانفصال[3]

و قد نسج بعضهم على منواله فقال:

أيا من قد سقاني كأس بين ترفق بي وجد لي بالوصال

فإن رقيبنـا قد غاب عنا و أمكن الاتصال بلا محال

متى ما صار يمكننا اتصال فلا تعدل بذاك إلى انفصال

ووقفـت بخط شيخنا العلامة سيدي الحبيب الداودي[4] رضي ا عنـه في كناشه على فائدة، و كـنت حفظـتها عنه و نصها: لا يسن تشميت العاطس إلا إذا حمد ا بعد عطاسه، و بين للحاضرين أن يذكر الحمد بأن يقول: الحمد رب العالمين، قوله العاطس، فيقول له الحاضر رحمك ا ، و لبعض الشيوخ رحمهم ا :

من يستبق عاطسا بالحمد يأمن من شوص و لوص و علوص كما وردا

عنيت بالشوص داء الضرس ثم بمن يليه بطنا فأذنا فاستمع رشدا

و هذا النظم جاء بمضمنه الحديث اهـ . و يعجبني هذان البيتان:

إنني نظرت فما وجدت هدية تهدى إليك سوى الدعاء الناجح

فجعلته لك بعد كل فريضة و قرنتـه لـك بالثناء الصالح

ووقفت على قولي، فسنح لي تقييده هنا:

من من قيـود الهوى يفك مأسورا قد صار من شدة الأشواق مذعورا[1]

صبـا كئيبا يقاسي من جواه أسى كأنه في الورى قد ظـل مسحورا

حتى رثى[2] في تصابيه العذول له ولم يكن في الهوى من قبل معذورا

---

[3] البيتان للعلامة الأديب حمدون بن الحاج السلمي. و هما من بحر الوافر.

[4] سبق التعريف به في ص.

[1] مذعور: خائف و مفزوع .

ووقفت على قولي:

أنـا لفضـل سيـدي محتاج   و لو يكـون فـوق رأسي التاج

لأننـي بالإفتقـار موصوف   و في الورى بالعجز حقا معروف

فليـس لـي حول ولا احتيال   و ليـس لـي فعـ ـل ولا مقال

لأننـي بين الـورى محجور   ينفـ ـذ في مـا قاضى المقدور

وأنشـدني البـركة الأمجـد الأمين الأسعد عم الحاج محمد الزكاري قول بعضهم و هو من محفوظاتي أيضا في الدنيا و فعلها بأهلها :

ومـن يحمد الدنيـا لشيء يسره   فسوف لعمري عن قريب يلومها

إذا أقبلت كانت على المرء حسرة   و إن أدبرت كانت كثيرا همومها [3]

و ذكـر لـي قـول بعضهم في وصفها، و فيه جناس وهو : الدنيا الدواهي نها عنها المناهي هي المنى هي، لا شيء لنا بلا هي البلا هي. و أنشدته قول بعضهم فيها:

هـي الدينا تقـول بملء فيهـا   حذار حذار من بطشي و فتكي

فـلا يغرركـ ـم منـي ابتسام   فقولي مضحك و الفعل مبكي[4]

سوانح يوم الإثنين 23 ربيع الأول 1328 هـ

4 أبريل 1910 م

و فـي يـوم الإثنين أنشدني البركة الأمجد شيبة الحمد عم الحاج محمد الزكاري أمنه ا قول بعضهم:

عجبـت منـك و منـ ـي   أشغلتنـ ـي بـك عنـي

أدنيتنـ ـي منـك حتـ ـى   ظننـ ـت أنـ ـك أنـي[1]

---

(2) رثى له : رق له و رحمه .

(3) البيتـان للإمام علي كـرم ا وجهه. و هما من بحر الطويل. وقد خمسهما الشاعـر السوري ميخائيـل خير ا و يردي المتوفي سنة 1365هـ - 1945م :

رأيت الفتى يسعى ليذكر بره   فإن غيبته الأرض أحياه ذكره

و من يسعى للفاني يداهمه شره   و من يحمد الدنيا لشيء يسره

فسوف تراه بعد حين يلومها

تطوحنا الدنيا يمينا و يسرة   و تسلب ما أعطت و لو كان ذرة

فيا لخؤون ليس تؤمن مرة   إذا أدبرت كانت على المرء حسرة

و إن أقبلت كانت كثيرا همومها

(4) البيتان للشاعر عبد الواحد بن نصر المخزومي المعروف بالبغاء. و هما من بحر الوافر.

(1) البيتان من مطلع قصيدة للعارف بربه الحسين بن منصور الحلاج. و تقع في 7 أبيات. و تتمتها:

فقلت له: هذا كقول الآخر:

أنــا مــن أهــوى و مــن أهــوى أنــا[2]

فذكــر لي أن ابن العربي الحاتمي قد اعترض على قائل هذا البيت، ونظر ذلك عند الشعراني في يواقيته، فانظره إن شئته.

و أنشدني من نظم العارفة با السيدة ربيعة العدوية رضي ا عنها قولها:

و لقد جعلتك في الفؤاد محدثي   و أبحث جسمي من أراد جلوسي

فالجسم منــي للجليس مؤنس   و جليــس قلبي في الفؤاد أنيسي[3]

و أنشدني من قول الإمام العارف با سلطان العاشقين ابن الفارض قوله:

من ذا يبشرنــي بيــوم لقائي   أعطيه من فرط السرور ردائي

لو لم أكن عبدا و كنت وهبته   روحــي و تلــك هدية الفقراء

و ترك الجواب لعدم حفظه، و سألحقه إن شاء ا بعد هذا، و لعلي ألحق القصيدة بتمامها.

وأنشدني ما هو محفوظ عن ابن الفارض، لما كشف له عن المقام الذي أعطيه، فقال:

إن كان منزلتي في الحب عندكم   ما قد رأيت فقد ضيعت أيامي

أمنية ظفرت روحي بها زمنا   و اليوم أحسبها أضغاث أحلامي[1]

وغبــت في الوجد حتى   أفنيتنــي بــك عني

يا نعمتــي فــي حياتي   وراحتــي بعــد دفني

مــا لي بغيــرك أنــس   إذ كنت خوفي و أمني

يا مــن رياض معانيــــــــــــه قــد حــوت كــل فن

و إن تمنيــت شيئــا   فأنــت كــل التمني

(2) البيت من خمسة أبيات للعارف بربه الحسين بن منصور الحلاج، و هي من بحر الرمل و نصها:

أنا من أهــوى و من أهوى أنا   نحن روحــان حللنــا بدنا

نحن مذ كنــا على عهد الهوى   تضرب الأمثال للنــاس بنا

فــإذا أبصرتنــي أبصرته   و إذا أبصرتــه أبصرتنــا

أيهــا السائــل عــن قصتنا   لو ترانــا لم نفــرق بيننا

روحه روحي و روحي روحه   من رأى روحين حلت بدنا

(3) البيتان للعارف با رابعة العدوية، و هما من بحر الكامل.

(1) البيتان للعارف بربه عمر ابن الفارض. من قصيدة ميمية تقع في 25 بيتا. قال في مطلعها:

يا سائقا عيس أحبابي عسى مهلا   و سر رويدا فقلبي بين أنعام

سلكت كل مقام في محبتكم   و ما تركت مقاما قط قدامي

سوانح يوم الثلاثاء 24 ربيع الأول 1328 هـ
5 أبريل 1910 م

و في يوم الثلاثاء وقفت في طبقات الإمام ابن السبكي، أن عبد ا بن رواحه الأنصاري رضي ا عـنه، كانت له جارية، فاتهمته زوجته أن يكون أصابها، فقالت إنك الآن جنب منها، فأنكر ذلك، فقالت: فإن كنت صادقا فاقرأ القرآن، وقد عهدته لا يقرأ القرءان و هو جنب، فقال:

شهـدت بـأن وعد ا حق — وأن النار مثـوى الكافرينا
وأن العرش فوق الماء طاف — وفوق العرش رب العالمينا
و أن العـرش تحمله شداد — ملائكـة الإلـه مسومينـا[2]

ثم قال ابن السبكي: ما أحسن قول الإمام الرافعي[3] في كتاب الأمالي: و قد أورد هذه الأبيات: هـذه الفوقية فوقية العظمة والإستغناء في مقابلة صفة الموسومين بصفة العجز والفناء. قلت: و لـم يخرج هذا الأمر في شيء من الكتب الستة إهـ. ثم قال بعض قضية أخرى: واعلم أن الأثر عن عبد ا ابن رواحة روي عن وجه آخر، و بشعر آخر، فرواه الدارقطني من حديث زمعـة بـن صالح عن سلمة بن وهرام عن عكرمة قال: كان عبد بن رواحة مظجعا إلى جـنب امرأته، فقام إلى جارية له في ناحية الحجرة، فوقع عليها و فزعت امرأته فلم تجده في مضـجعه، فقامت فخرجت، فرأته على جاريته، فخرجت إلى البيت فأخذت الشفرة ثم خرجت، و فرغ، فلقيها تحمل الشفرة فقال: مهيم: قلت: لو أدركتك حيث رأيتك لوجأت بين كتفيك بهذه الشفرة، قال و أين رأيتني؟ قالت: رأيتك على الجارية. قال: ما رأيتني، و قد نهانا رسول ا صلى ا عليه و سلم أن يقرأ أحدنا القرءان و هو جنب، قالت فاقرأ، فقال:

أتانا رسـول ا يتلو كتابه — كما لاح مشهود من الفجر ساطع
أتى بالهدى بعد العمى فقلوبنا — به موقنـات أن مـا قال واقع
يبيت يجافي جنبه عن فراشه — إذا استثقلت بالمشركين المضاجع

---

[2] الأبيات للصحابي الجليل عبد ا بن رواحة. و هي من بحر الوافر. أنظر في كتاب سير أعلام النبلاء، للذهبي238:1.

[3] عـبد الكـريم بـن محمـد الرافعي القزويني. فقيه مؤرخ. من أعلام الشافعية بقزوين. يتصل نسبه إلى رافع بن خديج الصـحابي الجلـيل. لـه مؤلفات كثيرة منها: التدوين في أخبار قزوين. و فتح العزيز، في شرح الوجيز للإمام الغزالي. و المحـرر (في الفقه) و الإيجاز، في أخطار الحجاز. و شرح مسند الشافعي. و سواد العينين. و الأمالي الشارحة لمفردات الفاتحة. إلى غير ذلك من مؤلفات أخرى.
توفـي بموطـنه قزوين سنة 623 هـ. أنظر ترجمته في مفتاح السعادة 443:1. طبقات الشافعية119:5. الأعلام للزركلي 55:4. كشف الظنون 205. فوات الوفيات 3:2.

فقالـت: آمـنت بـا و كذبت البصر، ثم غدا على رسول ا صلى ا عليه و سلم فأخبره، فضـحك حتـى بدت نواجذه. كذا رواه الدارقطني مرسلا[1] و رواه من وجه عن زمعة عن عكرمة عن ابن عباس متصلا، و زمعة و شيخه سلمة بن وهرام متكلم فيهما إهـ.

و في هذا اليوم اجتمعت بالبركة الأمجد عم الحاج محمد الزكاري فأنشدني لبعضهم :

على نفسه فليبك من كان باكيا فيذهب وقت و هو باللهو ضائع

على نفسه فليبك من كان طالبا و مـا لمعت فيما يحب لوامع[2]

سوانح يوم الأربعاء 25 ربيع الأول 1328 هـ

6 أبريل 1910 م

و فـي يوم الأربعاء تذاكرت مع البركة الأمجد عم الحاج محمد الزكاري في قوله تعالى:(إن الشـيطان لكـم عـدو فاتخـذوه عدوا)[3] قال: كان بعض أهل الإشارات يقول في هذه الآية الشريفة، إن الشيطـان لكم عدو فالجؤوا إلـي و تعلقوا بي، و كونوا لي عباد أكفيكم عدوكم، و لـذلك قال تعالى في كتابه المكنون يخاطب اللعين: (إن عبادي ليس لك عليهم سلطان[4]) . فقلـت لـه: إن ا تبارك و تعالى لما أمر الملائكة بالسجود لسيدنا آدم عليه السلام، و امتنع اللعـين من السجود له، فطرد، تحقق عنده بعد ذلك محبوبية آدم عند ا ، فحسد لعنه ا آدم و أولاده، و اتخـدهم أعداء، حيث طرد من الرحمة بسببه، فهو عدو لهم يتسبب لهم في الأمور التي تباعدهم عن ا ، لأنهم ماداموا في التقرب إلى ا ، إلا و دفع ا عنهم عدوهم، و كفاهم همه، و بإتيان ما أمروا به يدوم لهم التقرب رغما على أنفه، فأمر ا باتخاذه عدوا، باجتناب المنهـيات، وامتثال المأمورات، لأن بذلك يزداد العدو عذابا على عذابه، حيث يرى عدوه في بسـاط التقرب و التداني، بعدما بالغ في التشيطن له ليقع في البعد مثل ما وقع في التعاني، و ا أعلم.

---

(1) أنظر تفسير القرطبي 209:5، فقد ساق نص هذا الحديث بأتمه .

(2) من هذا القبيل قول العارف بربه عمر ابن الفارض:

على نفسه فليبك من ضاع عمره و ليس له فيها نصيب و لا سهم

(3) سورة فاطر الآية 6 .

(4) سورة الحجر الآية 42 .

و فـي هـذا اليوم وقفت على شرح الإمام ابن مرزوق[1] لبردة الإمام البوصيري و هو شرح حفيل أجاد فيه المؤلف غاية الإجادة، و لم يقصر في الإفادة، لغة و إعرابا و بيانا بفنونه الثلاثة و تفسيرا، مطنبا في ذلك إطنابا، ووقفت فيه على بيتين كنت أحفظهما و هما:

إذا ما دعتك النفس يوما لشهوة   و كان عليها للخلاف طريق

فخالف هواها مااستطعت فإنما   هواك عدو و الخلاف صديق[2]

ووقفت على هذين البيتين أيضا، و هما في معناهما:

إذا حار[3] وهمك في معنيين   و أعياك حيث الهوى و الصواب

فخالف هـواك فإن الهوى   يقـود النفـوس إلى ما يعاب

ووقفـت في غير هذا الشرح، على بيتين لجميل في محبوبته بثينة[4]، و قد نسبهما له غيـر واحـد، و الذي يظهر لي أنهما منسوبان له، لأن عليهما علامة الحضارة، و إن كان لا يبعد أن يكونا من شعره، غير أن جناسهما العجيب، يفصح أنهما من مولد أديب، وهما :

خليلـي إن قالـت بثينة ماله   أتانـا بلا وعد فقولا لها لها

لهـا مقلة كحـلا وقد مورد   كأن أباها الظبي أو أمها مها[5]

سوانح يوم الخميس 26 ربيع الأول 1328 هـ

7 أبريل 1910 م

و فـي يـوم الخمـيس وقفـت في الحكم العطائية على ما كتبه مؤلفها رضي ا عنه لبعض إخـوانه، و هـو مما يناسب ما نقلناه من طبقات الإمام السبكي، و ألحقناه بآخر ما قيدناه من سـوانح يوم العشرين تاريخه و نصها: إن كانت عين القلب تنظر إلى أن ا واحد في منته، فالشريعة تقتضي أن لابد من شكـر خليقته، و أن الناس في ذلك ثلاثة أقسام: غافل منهمك

[1] محمـد بـن أحمد ابن مرزوق العجيسي التلمساني. المعروف بالحفيد. من مؤلفاته : المفاتيح المرزوقية لحل الأقفال و استخراج خبايا الخزرجية. و نور اليقين في شرح أولياء ا المتقين. و أنواع الذراري في مكررات البخاري. إلى غير ذلك مـن كتب كثيرة أخرى . و له ثلاثة شروح على متن البردة للإمام البوصيري. توفي بمسقط رأسه تلمسان سنة 842 هـ . أنظر ترجمته في نيل الإبتهاج للتنبكتي 226:2 (رقم الترجمة 663) فهرس الفهارس للكتاني.1:523-525 الأعلام للزكلي 331:5 . الضوء اللامع للسخاوي 50:7 .

[2] البيتان للشاعر أبي الفتح البستي . و هما من بحر الطويل.

[3] حار: بمعنى احتار.

[4] بثيـنة بـنت حـبا بـن ثعلبة العذرية. شاعرة من بني عذرة ، من قضاعة ، قال عنها خير الدين الزركلي في الأعلام : اشتهرت بأخبارها مع جميل بن معمر العذري، و هو من قومها، و كانت منازلهم بوادي القرى (بين المدينة و مكة) و في شـعرها رقـة و مـتانة. مات جميل قبلها، فرثته، و لم تعش بعده طويلا. إهـ .. توفيت سنة 82 هـ ، أنظر ترجمتها في الأعـلام للزركلي43:2 . جمهرة أنساب العرب، لابن حزم 420. تزيين الأسواق، بتفصيل أشواق العشاق ، لداود الأنطاكي 38:1 ـ 47 . الدر المنثور، في طبقات ربات الخدور، لزينب فواز79 .

[5] البيتان للشاعر جميل بثينة. قالهما في مطلع مقطوعة تقع في خمسة أبيات . ختمها بقوله:

دهتني بود قاتل و هو متلفي   و كم قتلت بالود من ودها دها

فـي غفلـته، قويت دائرة حسه، وانطمست حضرة قدسه، فنظر الإحسان من المخلوقين، و لم يشهده من رب العالمين، أما اعتقادا فشركه جلي، و أما استنادا فشركه خفي. و صاحب حقيقة غـاب عـن الخلق، بشهود الملك الحق، و فنى عن الأسباب بشهود مسبب الأسباب، فهذا عبد مـواجه بالحقـيقة، ظاهر عليه سناها، سالك للطريقة، قد استولى على مداها، غير أنه غريق الأنـوار، مطمـوس اللآثـار، قد غاب سكره على صحوه، و جمعه على فرقه، و فناؤه على بقاءه، و غيبته على حضوره، و أكمل منه عبد شرب فازداد صحوا، و غاب فازداد حضورا، فـلا جمعـه يحجبه عن فرقه، و لا فرقه يحجبه عن جمعه، و لافناؤه يصرفه عن بقائه، و لا بقـاؤه يصرفه عن فنائه، يعطي كل ذي قسط قسطه، و يوفي كل ذي حق حقه، و قد قال أبو بكـر الصديق رضي ا عنه لعائشة رضي ا عنها، لما نزلت براءتها عن الإفك على لسان رسول ا صلى ا عليه و سلم: يا عائشة، اشكري رسول ا صلى ا عليه و سلم: فقالت: و ا لا أشـكر إلا ا ، دلها أبو بكر رضي ا عنه على المقام الأكمل، مقام البقاء المقتضي لإثـبات الآثـار، و قد قال ا تعالى (أن اشكر لي و لوالديك [1]) و قال صلوات ا عليه و سلامه: لا يشكر ا من لا يشكر الناس. و كانت هي رضي ا عنها في ذلك الوقت مصطلمة عن شاهدها، غائبة عن الآثار، فلم تشهد إلا الواحد القهار إهـ .

سوانح يوم الجمعة 27 ربيع الأول 1328 هـ
8 أبريل 1910 م

و في يوم الجمعة وقفت على كتاب الشعر و الشعراء[2] على قول لبيد، فسنح لي نقله وهو:

بلينـا وما تبلـى النجوم الطوالع ... و تبقى الديار بعدنا و المصانع

و قد كنت في أكناف [3]جار مضنة ... ففارقنـي جـار بأربـد نافع

فلا جـزع إن فـ ـرق الدهر بيننا ... فكل امرىء يوما به الدهر فاجع

و ما النـ ـاس إلا كالديار و أهلها ... بها يوم حلوها وغـدوا بلاقع[4]

---

[1] سورة لقمان، الآية 14.

[2] الشـعر و الشـعراء. مـن أهم كتب الأدب و التراجم، جمعه العلامة الأديب عبد ا بن مسلم بن قتيبة الدينوري. المتوفي ببغداد سنة 276 هـ . و قد ترجم فيه لعـدد كبير من شعراء العهد الجاهلي، بالإضافة إلى شعراء القرن الأول و الثاني و طرف من القرن الثالث الهجري. يقع في جزءين. طبع مرات عديدة. كانت أولها في مدينة ليدن سنة 1875 م. بيد أنه لم يطبع حينئذ سوى القسم الأول منه. ثم طبعا الجزءيـن معا بنفس المدينة سنة 1902 م . بعناية المستشرق (دي جـويه) ثـم طبع بمصر سنة 1350 هـ 1932 م. ثم طبع من جديد بمصر سنة 1365 هـ ـ 1945 م، و عليه شرح للأستاذ أحمد محمد شاكر.

[3] الأكناف: جمع كنف و هو الجانب والظل.

[4] بلاقع: جمع بلقع و هو الأرض القفر.

و ما المـرء إلا كالشهاب و ضوءه ... يحور[1] رمـادا بعدما هو ساطع

و ما المـال و الأهلـون إلا ودائع ... و لابد يومـا أن تـرد الودائع

و مـا النـاس إلاعامـلان فعامل ... يتبـر ما يبنـي و آخـر رافع

فمنهـم سعيـد آخـذ بنصيبـه ... و منهـم شقـي بالمعيشـة قانع

أليـس ورائـي إن تراخـت منيتي ... لزوم العصا تحنى عليها الأصابع

أخبـر أخبـار القرون التي مضت ... أدب[2] كأنـي كلمـا قمت راكع

فأصبحـت مثل السيف أخلق[3] جفنه ... تقادم عهد القين[4] والسيف قاطع

فـلا تبعـدن إن المنيـة موعـد ... علينـا فـدان[5] للطلوع و طالع

أعـاذل مـا يدريـك إلا تظنيـا ... إذا ارتحل الفتيان من هو راجع

أألجـزع ممـا أحـدث الدهر بالفتى ... و أي كريـم لم تصبه القوارع[6]

قـوله: جـار مضنة ـ أي جار يضن به، ويحرص عليه، وجار بأربد أربد هو نفس الجار، يقـال: أقبل به الأسد، كأنه لما أقبل أقبل معه. و هذه الأبيات قالها لبيد في أخيه لأمه أربد بن قيس الذي أتى رسول ا صلى ا عليه وسلم مع عامر بن الطفيل[7] ، فدعا ا عليه فأصابته صاعقـة فأحرقتـه .

و يقال فيه نزلت (و يرسل الصواعق فيصيب بها من يشاء [8]) إهـ .

---

[1] يحور: يعود.

[2] أدب: بمعنى يمشي على اليدين و الرجلين كالطفل.

[3] أخلق: بلي و تقادم.

[4] القين: مفرد أقيان و هو الصانع الحداد

[5] دان: قريب.

[6] هذه القصيدة للشاعر لبيد بن ربيعة العامري تقع في عشرين بيتا .اكتفى العلامة سكيرج بذكر أربعة عشر بيتا منها.

[7] عامـر بن الطفيل بن مالك، أحد سادات العرب في الجاهلية، أدرك الإسلام شيخا. قال عنه صاحب الأعلام : وفد علـى رسول ا صلى ا عليه و سلم و هو في المدينة ، بعد فتح مكة ، يريد الغدر به ، فلم يجرؤ عليه ، فدعاه إلى الإسـلام ، فاشـترط أن يجعل له نصف ثمار المدينة ، و أن يجعله ولي الأمر من بعده ، فرده ، فعاد حنقا ، وسمعه أحـدهم يقول : لأملأنها خيلا جردا ، و رجالا مردا ، ولأربطن بكل نخلة فرسا ، فمات في طريقه قبل أن يبلغ قومه. إهـ ... توفـي سـنة 11 هـ. أنظر ترجمته في الشعر و الشعراء لابن قتيبة 118 . خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب للبغدادي 471:1 ـ ـ474 . الأعلام للزركلي .

[8] سورة الرعد، الآية 13.

سوانح يوم السبت 28 ربيع الأول 1328 هـ
9 أبريل 1910 م

و فـي يوم السبت وقفت على قول الصلتان قثم بن خبيئة[1] من عبد القيس، في كتاب الشعر و الشعراء:

أشـاب الصغيـر و أفنى الكبيـر كـر الغـ ـداة و مر العشي
إذا هرمـت ليلـة يومها أتـى بعـد ذلـك يوم فتي
نـروح و نغـدو لحاجتنا و حاجة من عاش لا تنقضي
تمـوت مع المرء حاجاته و تبقـى لـه حاجة ما بقي
إذا قلت يوما لمن قد ترى أرونـي السري أروك الغني
و سرك ما كان عند امرئ و سـر الثلاثة غير الخفي[2]

ووقفت على قول الأفوه الأودي[3]، و هو صلاءة بن عمرو من مدحج ، و يكنى أبا ربيعة :

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم و لا سـ ـراة إذا جهالهـم سادوا
تلفى الأمور بأهل الرأي ما صلحت فـإن تولـت فبالأشـ ـرار تنقاد[4]

و من جيد شعره، كما بالكتاب المذكور:

إنمـ ـا نعمـ ـ ـة قـ ـ ـوم متعة و حيـ ـاة المـرء ثوب مستعـار

---

[1] قـثم بـن خبيئة العبدي المعروف بالصلتان العبدي. شاعر مشهور . توفي حوالي سنة 80 هـ . أنظر ترجمته في الأعـلام للزركلي5:190 . سمط اللآلي ، لأبي عبيد البكري 531و766 . المؤتلف و المختلف ، للآمدي 145 . الشعر والشعراء لابن قتيبة 196.

[2] أنظر ديوان الحماسة ج2 ص 56 ، مع زيادات ، منها قوله بعد البيت الثالث:

و يسلبه الموت أثوابه و يمنعه الموت ما يشتهي

و من ذلك قوله بعد البيت الخامس :

ألم تر لقمـان أوصى ابنه و أوصيت عمرا فنعم الوصي
بني بدا خبيء نجوى الرجا ل فكن عند سرك خبىء النجي

[3] صـلاءة بـن عمرو بن مالك، المعروف بالأفوه الأودي، شاعر جاهلي، من أهل اليمن، لقب بالأفوه لأنه كان غليظ الشـفتين ظاهر الأسنان. قال عنه صاحب الأعلام: كان سيد قومه و قائدهم في حروبهم، و هو أحد الحكماء و الشعراء فـي عصـره. إهـ .. توفي سنة 50 قبل الهجرة. أنظر ترجمته في معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، للعباسي 4:107. الأعـلام للزركلي 3:206 - 207. الشعر و الشعراء، لابن قتيبة 59 . شعراء النصرانية، للويس شيخو 70. جمهرة الأنساب، لابن حزم 386.

[4] البيتان للشاعر الجاهلي صلاءة بن عمرو المعروف بالأفوه الأودي. من قصيدة له تقع في 17 بيتا. قال في مطلعها :

فينـا معاشـر لـم يبنوا لقومهم وإن بنى قومهم ما أفسدوا عادوا
لا يرشدون و لن يرعوا لمرشدهم فالغي منهم معا و الجهل ميعاد

و للشاعر أبي الأسود الدؤلي أبيات على هذا النمط و نصها:

لا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم و لاسـراة إذا جهالهم سادوا
و البيـت لا يبتنـ ـى إلا له عمد و لا عماد إذا لم ترس أوتاد
فـإن تجمـع أوتـ ـاد و أعمـدة لمعشر بلغوا الأمر الذي كادوا

حتـم الدهـر علينـا أنه طلـف مـا نال منـا و جبـار[1]

طلف: باطل. و جبار هدر. إهـ.

سوانح يوم الأحد 29 ربيع الأول 1328 هـ

10 أبريل 1910 م

وفي يوم الأحد وقفت على طبقات الإمام السبكي على هذين البيتين وهما مشهوران:

يريد المـرء أن يعطى منـاه ويأبى الله إلا مـا أرادا

يقـول المـرء فائدتي و مالي و تقوى الله أكرم ما استفادا[2]

وذكرهما في ترجمة أحمد بن عبد الله بن سيف، و هو أبو بكر السجستاني، حكي عنه أنه سمع المزني يقول وقد سئل عمن تزوج امرأة على بيت شعر: يجوز على معنى قول الشافعي : إذا كان مثل قول القائل وذكرهما إهـ.

سوانح يوم الإثنين 30 ربيع الأول 1328 هـ

11 أبريل 1910 م

وفي يوم الإثنين سنح لي أن أقيد هذين البيتين، رأيتهما مكتوبين، و هما:

إن ملـت يـا ريـح الصبا يومـاً إلى بيـت الحرم

بلـغ سلامـي روضـة فيهـا النبـي المحترم

و تذكرت قول القائل:

لـن يبلـغ العلم جميعـا أحد لا ولـو مارسـه ألف سنه

إنمـا العلـم عميـق بحـره فخـذوا مـن كـل فن أحسنه[3]

سوانح يوم الثلاثاء فاتح ربيع الثاني 1328 هـ

12 أبريل 1910 م

و في يوم الثلاثاء فاتح ربيع الثاني اجتمعت مع البركة عم الحاج محمد الزكاري، و تفاوضت معه في السماع إلى أن قال لي: قد قال الجنيد فيه: السماع وارد حق، يزعج القلوب إلى الحق، فمن أصغى له بحق تحقق، ومن أصغى له بباطل تزندق.

---

[1] البيتان للشاعر الجاهلي صلاءة بن عمرو المعروف بالأفوه الأودي. من قصيدة رائية تقع في 30 بيتا، من بحر الرمل. قال في مطلعها:

إن تـرى رأسـي فيه قزع و شواتـي خلة فيهـا دوار

أصبحـت من بعد لون واحد وهي لونـان و في ذاك اعتبار

[2] البيتان للإمام الشافعي رحمه الله. و هما من بحر الوافر.

[3] إشارة لقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: العلم أكثر من أن يحصى ، فخذوا من كل شيء أحسنه.

سوانح يوم الأربعاء 2 ربيع الثاني 1328 هـ

12 أبريل 1910 م

و في يوم الأربعاء سنح لي أن أقيد في هذا المحل قصيدة أبي مدين رضي ا عنه المشهورة، ونصها:

فقـل للـذي ينهـى عن الوجد أهله	إذا لـم تذق معنا شـراب الهـوى دعنا
إذا اهتـز ـزت الأرواح شوقا إلى اللقا	ترقصـت الأشبـاح يا جاهـل المعنى
أمـا تنظـر الطير المقفـص يا فتى	إذا ذكر الأوطــان حـن إلـى المغنى
ففــرج بالتغريــد مــا بفؤاده	فتضطرب الأعضاء في الحس و المعنى
و يرقص في الأقفاص شوقا إلى اللقا	فيهتـز أربـاب القلـوب إذا عنـــى
كذلــك أرواح المحبيــن يا فتى	تهـز لهـا الأشـواق للعالـم الأسنى
أ نلزمهـا بالصبـر و هي مشوقة	و هل يستطيـع الصبر من شاهد المعنى
فيـا حـادي العشـاق قم واحد قائما	ودنـدن لنـا بإسـم الحبيـب و روحنا
و صن سرنا في سكرنا عن حسودنا	و إن أنكـرت عينـاك شيئـا فسامحنا
فإنـا إذا طبنـا و طابـت عقولنـا	و خـامرنـا خمـر الغــرام تهتكنا
فـلا تلـم السكـران في حـل سكره	فقـد رفـع التكليـف فـي سكرنا عنا[1]

سوانح يوم الخميس 3 ربيع الثاني 1328 هـ

14 أبريل 1910 م

وفـي يوم الخميس كتبت فتوى على نازلة في دعوى رجل اشترى دارا من امرأة أبيه، ودفع لها بعض الثمن معاينة، و البعض اعترفت به، وبقيت عنده إلى أن توفيت، فادعى عليه بعض ورثتها أنها كانت تحبه فولجت له ذلك، وجعلت له ذلك في صورة بيع، وأثبت ذلك بموجب، و أفتـى بالتولـيج علـى مقتضـى المـوجب المشار له جماعة من الفقهاء، فأطلعني على ذلك المشتري، و طلب مني الكتب على ذلك، فقلت مستعينا با :

الحمـد ، و الصـلاة و السلام على مولانا رسـول ا ، و بعد، فإن الموجب الذي أفتـى عليه المفتون حوله لا يعتد بـه، ولا يلتفت إليـه بحال، لما بيـد المشتري من الحجج القاطعـة التي لا يبقـى معها احتمال في صحة بيع هذه البائعة، فإنه قد اشترى منها النصف

[1] من قصيدة للعارف بربه الشيخ أبي المدين الغوث . تقع في 22 بيتا من بحر الطويل . و مطلعها:

تضيق بنا الدنيا إذا غبتموا عنا	و تذهـب بالأشواق أرواحنا منا
فبعدكـم مـوت و قربكم حيا	فإن غبتموا عنا و لو لحظة متنا
نموت ببعدكـم و نحيا بقربكم	و إن جاءنا عنكم بشير اللقا عشنا

الأول مـن الدار المتنازع فيها، و دفع لها ثمنه، و بعضه اعترفت بقبضه، و أقرت بأنه دفعه لهـا، و الـبعض الآخر اقتطعه لها المشتري المذكور حسبما بذمتها بنص رسم الشراء ورسم الـدين المنتسـخ أعلاه، و أما النصف الثاني، فإنه اشتراه منها، ودفع لها جميع ثمنه بمعاينة الشـهود الـذين باشروا عقد البيع الثابت بالأداء صدره، ولا ريب و إن عقد الشراء للنصف الأول، و عقـد الشراء للنصف الثاني صحيـح لمعاينة القبض لثمنه في نـص شـراء الثاني و إقرارها بالدين الذي في ذمتها المقتطع في البيع الأول، مع رسم الدين المشار له، و إقرارها بذلك كاف للمشتري في صحة مشتراه، فقد نص العلماء رحمهم ا ، على أن الرشيد الذي أقر بشـيء فإنـه يلـزمه ذلك الإقرار، و القريب و البعيد و الحبيب و البغيض في ذلك على حد السـواء، حتـى الإنسـان إذا أقر لوارثه بشيء فإنه يلزمه ما أقر به على المشهور، قال في التحفة:

و مالـك لأمـره أقـر في صحتـه لأجنبـي اقتفـي
و مـا لوارث ففيه اختلفـا إلخ

قـال الشـيخ التاودي هنا نقلا عن الكافي ما نصه: و كل من أقر لوارث، أو لغير وارث في صـحته بشيء من المال أو الدين أو البراءة، أو قبض أثمان المبيعات، فإقراره عليه جائز لا تلحقه فيه تهمة، و لا يظهر فيه توليج، و الأجنبي و الوارث في ذلك على حد السواء إهـ .
و عليه عول المحققون اهـ. و قال الشيخ التسولي[1] هنا: ثم إن ما درج عليه الناظم من نفوذ إقرار الصحيح لوارثه هو المشهور. قال المتيطي[2] : وعليه العمل، و اقتصر عليه ابن حارث وكذا صاحب الكافي. إهـ ... فإذا كان الإنسان الذي يقر لوارثه يواخذ بإقراره على المشهور المعمـول به، فمن باب أولى إذا لم يكن وارثه، و قد سئل العلامة المير رحمه ا عمن أشهد لزوجته قيد صحته و جواز أمره، أنه أنفذ البيع الصحيح و أمضاه في جميع الجنان الفلاني، و اعترف بقبضه منها جميع الثمن، هل يمضي لها ذلك؟ فأجاب بما نصه:

---

[1] علـي بـن عبد السلام التسولي، فقيه مشهور، من أكابر أعلام المالكية بالمغرب، يعرف مديدش، نشأ بفاس، وولي القضـاء بهـا مدة غير قصيرة، كما ولي بعد ذلك قضاء مدينة تطوان، من مؤلفاته: البهجة (شرح لتحفة الحكام لابن عاصـم في مجلدين) و شرح مختصر الشيخ بهـرام، و حاشيتـه على شـرح الشيـخ التـاودي على لامية الزقاق، وغيرها.
توفـي بفـاس سنة 1258 هـ، أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف 567:1 (رقم 1593) إتحاف المطالع 172:1. الأعلام للزركلي 299:4. معجم المؤلفين لرضا كحالة 122:1. هدية العارفين للبغدادي 775:1.

[2] علـي بـن عـبد ا بن إبراهيم المالكي المعروف بالمتيطي، فقيه قاض، من أعلام المالكية بالأندلس، ولي قضاء شريش، و توفي بها سنة 570 هـ، من مؤلفاته: النهاية والتمام، في معرفة الوثائق و الأحكام. أنظر ترجمته في إيضاح المكنون للبغدادي 693:2. هدية العارفين لنفس المؤلف 700:1 معجم المؤلفين لرضا كحالة 129:7.

الذي حققه الشيخ مصطفـى في حواشيه و ارتضاه، أن من أشهـد في صحته ببيع شيء وقبض ثمنـه، لا تلحقـه فيـه تهمـة، و لا يظـن بـه توليج، و لا يحتاج فيه إلى معاينة القبض، و الوارث و الأجنبي و القريب و البعيد في ذلك سواء إ هـ .

و بهـذا وبما سيأتي قريبا، تعلم أن هذا البيع صحيح، و لا يلتفت إلى قول شهود الموجب الذي تشـبث بظاهـر ألفاظه المفتون،من أن البائعة المذكورة كبيرة السن جدا، سنها من السبعين سنة فأزيـد، و بقيت ساكنة بالدار المذكورة إلى أن توفيت فيها، و خرجت جنازتها منها ، و لا يعلم لربيبها، أي المشتري المذكور مالا، فإنه لا أثر في الطعن بهذا كله في صحة البيع المذكور، فقد نقـل علامـة المغرب الشيخ الرهوني في حواشيه من آخر كتاب الصدقة، من أجوبة الإمام ابن رشـد مـا نصه: الجواب رضي ا عنك، في رجل أصابه الكبر، و له مال و بنون، و لم تكن عـنده امرأة، فآوى إلى كبير بنيه، فكان يمونه هو بنفسه ومن عنده يلاطفون به، فباع بعض ماله وتصدق على بعض بنيه منه ببعض وأشهد على نفسه قبل موته بأعوام، و هو بتلك الأحوال أن لإبـنه الذي يأويه عليه دينا من نفقة، ذكر أنه أنفقها عليه، و من ديون ذكر أنه أداهما عنه إلى غـرماء، ذكر أنه عاملهم قديما، و كتب بذلك عقدا و أشهد الإبن أن الذي أدى به دين أبيه كان مـن مالـه و مال زوجته في ذلك مالا، و عقد بذلك لهما، و بقي الإبن يعتمر الأملاك، و الأب مـتماد على الشهادة بما أشهد به أولا، ثم مات الأب و قام ورثته لينزلوا معه في الميراث فيها، فاسـتظهر بعقد أبيه المذكور، و ثبت له ذلك، فقال الورثة: إن أبانا كان يميل إليك عنا، و كنت تتملكه بضعفه و حاجته إلى الكون معك، مع تفضيله لك قديما فخدعته، و إنما كان يقول و يفعل مـا تأمر به، و أدخلت بيننا و بينه العداوة حتى ولج إليك ماله، و حلت بيننا و بينه، و لو مكنا لكنا أبر منك، مع أن أبانا كان له مال يقوم به، و يفضل له منه، بل كنت أنت تتصرف في ماله، و تـتحكم فيه و تصرفه في منافعك، و لا يقدر معك على شيء، و أثبتوا جميع ذلك، و لم يجد الإبن المصير إليه البينة، على أن أباه أدان دينا فأداه عنه، و لم يعرف ذلك إلا بإقرار الأب، بل شهد أنه كان غنيا عن أخذ الديون، بين لنا هل ينتقض التصيير بذلك أولا؟ مأجورا إن شاء ا ،

الجواب:

إذا كان الأب صحيحا يوم أشهد لابنه بما أشهد لا مرض به إلا الضعف من الكبر، فيصح للإبن جميع ما أشهد له به، لا سيما إن كان قد حاز الأملاك التي صيرها إليه في الدين الذي أشهد له به، و عمرها في حياة أبيه. و با التوفيق إ هـ . و قال قبله نقلا عن نوازل المعيار ما نصه:

و سـئـل أبـو عمـر بن المكوي عمن شهـد على نفسه في مرضه أنه باع جميع أملاكه من زوج ابنته، و أنه قبض منه الثمن، و هو كـذا، و ليس له غير ذلك البنت، و زوجته أمها، ثم

مـات، فأجـاب: إن كان مرض البائع مخوفا لم ينعقد إقراره بقبض الثمن إلا بمعاينة الشهود لدفعه. قلت: مفهومه لو كان في الصحة، أو في المرض غير المخوف لمضي الإقرار.

و يـؤيده مـا في طرر ابن عات[1] عن سعيد ابن مالك، فمن ابتاع من إبنه أيضا و أشهد أنه قبض الثمن، و لم يحضر المال، و لا أراه الشهود، ثم قام فيه ورثته بعد موته و ادعوا التوليج أنه ماض إذا أقر بالقبض، و كان الإبن كبيرا، و إن كانت الأرض بيده إلى أن مات.

و لـبعض القضاة فيمن ابتاع من نفسه نصف ماله لابنه الصغير، و لا يعلم للإبن مال، فمات الأب، و قام الورثة و قالوا: إنه توليج، فلا قيام لهم، وذلك للإبن نافذ. ثم قال عن المشاور: إن ابـتاع رجـل أملاكـا وكتبها باسم إبنه، و لايعلم لإبن مال، فإن مالكا يلزمه إقراره و يجعلها للإبـن. و إن اعتمرها الأب أو سكنها حتى مات، و هو الصحيح وبه العمل، لأنه قد يكون له مـال بحيث لا يعلم، و أصبغ[2] يجعله تأليجا و ليس بشيء اهـ. منه بلفظه، و نحوه في الدر النثير أثناء جواب لأبي الفضل السابق، و بين فيه أن قول مالك المشار إليه هو في العتيبية إلخ ما نقله الشيخ الرهوني رحمه ا ، و به يعلم أن الموجب المشار له باطل لا يعتمد عليه بحال، و أنه لا توليج في هذه النازلة قطعا، و إذا بطل ذلك الموجب بما نقلناه انهدمت الفتاوي المبنية عليه، و ثبت المبيع للمشتري. و ا يقول الحق و هو يهدي السبيل.

سوانح يوم الجمعة 4 ربيع الثاني 1328 هـ

15 أبريل 1910 م

و فـي يـوم الجمعة رابع ربيع الثاني، سنح لي أن أقيد في هذا المحل لطائفا وقفت عليها في لطائـف المـنن[3] لابن عطاء ا رضي ا عنه، لما تعرض لبعض كلام الشيخ أبي العباس المرسي رضي ا عنه، منها قال رضي ا عنه في قوله تعالى:

---

[1] أحمد بن هارون بن عات الشاطبي، فقيه محدث، من أهل شاطبة بالأندلس، من مؤلفاته: النزهة في التعريف بشيوخ الوجهة، و ريحانة النفس، و راحة الأنفس، في ذكر شيوخ الأندلس، فقد في وقعة العقاب سنة 609 هـ، فلم يوجد بعدها لا مع الأحياء و لا الأموات. أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف 247:1 (رقم الترجمة 584) و في الفكر السـامي للحجوجـي 268:2. و في الأعلام للزركلي 265:1. و في شذرات الذهب، لابن العماد الحنبلي 36:5. وفي الذيـباج المذهب، لابن فرحون 202:1 (رقم الترجمة 121) وفي سير أعلام النبلاء، للذهبي 13:22. و في التكملة لكتاب الصلة، لابن الأبار 101:1. و في العبر في خبر من غبر، للذهبي31:5.

[2] إشارة للفقيه المالكي الشهير أصبغ بن الفرج بن سعيد المصري.

[3] لطائـف المنن في مناقب الشيخ أبي العباس وشيخه أبي الحسن، من تأليف العارف با الشيخ تاج الدين ابن عطاء ا الإسـكندري، قـال عنه صاحب كتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب و الفنون: ذكر فيه جملا من فضائل الشيخ شـهاب الدين أبي العباس أحمد بن علي الأنصاري المرسي و شيخه أبي الحسن الشاذلي، التي نقل عنه أو سمع منه، و رتبه على مقدمة وعشرة أبواب و خاتمة، المقدمة في تفضيل النبي صلى ا عليه وسلم على جميع بني آدم وذكر أقسام الولاية، الباب الأول في التعريف بشيخه، الثاني في شهادته له، الثالث في مجرباته، الرابع في علمه، الخامس في الآيات التـي تكلـم في معناها، السادس فيما فسره من الأحاديث، السابع في تفسير ما أشكل من كلام أهل الحقائق ، **الثامن في** كلامه في الحقائق ، التاسع فيما قاله من الشعر، العاشر في ذكره و دعائه، و الخاتمة في اتصال نسبة المؤلف إليه.

(و اتخـذ ا إبـراهيم خلـيلا[1]) قال: سمي خليلا لأنه خالل سره محبة ا تعالى و قال الشاعر:

قد تخللت مسلك الروح مني و بذا سمـي الخليـل خليلا
وإذا مـا نطقت كنت كلامي و إذا صمت كنت أنت الغليلا[2]

و مـن طـبقات السبكي: قدم أبو جعفر البحات على الصاحب بن عباد، فارتضى تصرفه في العلـم و تفنـنه فـي أنـواع الفضل، و عرض عليه القضاء على شرط انتحال مذهبه، يعني الإعتزال، فامتنع وقال: لا أبيع الدين بالدنيا، فتمثل له الصاحب بقول القائل:

فـلا تجعلني للقضاء فريسة فإن قضـاة العالميـن لصوص
مجالسهـم فينا مجالس شرطة و أيديهم دون النصوص نصوص[3]

فأجابه البحات بديهة بقوله:

سوى عصبة منهم تخص بعفة و في حكم العموم خصوص
خصوصهم زان البلاد و إنما يزين خواتيم الملوك فصوص[4]

سوانح يوم السبت 5 ربيع الثاني 1328 هـ
16 أبريل 1910 م

و في يوم السبت وقفت على طبقات الإمام السبكي على قول الإمام البخاري، و هو مما أحفظه:

اغتنم في الفراغ فضل ركوع فعسى أن يكون موتك بغتة
كم صحيح رأيت من غير سقم ذهبت نفسه الصحيحة فلته

و على قول أبي الحسن منصور بن اسماعيل التميمي[5] الفقيه الشاعر:

عاب التفقه قـوم لا عقول لهم و ما عليه إذا عابوه من ضرر

---

[1] سورة الآية
[2] البيتان للشاعر بشار بن برد، من بحر الخفيف.
[3] البيتان للشاعر هارون بن علي، المعروف بابن المنجم، ذكرهما أيضا صاحب كتاب قرى الضيف 4:511 .
[4] أنظرهما أيضا في كتاب قرى الضيف، لعبد ا بن محمد بن عبيد 4:511 .
[5] منصور بن إسماعيل بن عمر التميمي، فقيه شافعي، ينحدر أصله من رأس العين بالجزيرة العربية، عاش فترة من عمره ببغداد، ومدح بها الخليفة العباسي المعتز، ثم سكن مصر بعد ذلك. وبها توفي سنة 306 هـ و هو صاحب البيتين المشهورين:

لـي حيلـة فيمـن ينـم و ليـس في الكذاب حيلة
من كـان يخلـق مـا يقو ل فحيلتـي فيـه قليلـة

و لـه مؤلفـات منها: الهداية (في الفقه) و زاد المسافر . و الواجب. و المستعمل. أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي 7:297 ـ 298 شـذرات الـذهب لابن عماد 2: 249، وفيات الأعيان لابن خلكان 2: 125 إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب لياقوت الحمري7: 185- 189. نكت الهميان في نكت العميان، لصلاح الدين الصفدي 297 .

ما ضر شمس الضحى و هي طالعة   أن لا يرى ضوءها من ليس ذا بصر[1]

سوانح يوم الأحد 6 ربيع الثاني 1328 هـ
17 أبريل 1910 م

و في يوم الأحد وقفت على قولي:

رأيت جماعة ولعوا بفخر   على أهلـي بآبـاء عظـام
فقلـت لهم أراكم بافتخار   عظام النفس من أجل العظام
فهاتوا مـا لديكم من علوم   فقالـوا كلنـا في الربع ظام

و على قولي:

بليت بذا الزمان بفخر قوم   بآبـاء لهـم كانـوا عظامـ ـا
فقلت: لهم دعوا فخرا بقوم   مضوا و جميعهم صاروا عظاما[2]

و يعجبني قول بعضهم في الخمر ملغزا فيه:

و مـ ـا شـ ـيء إذا فسـدا   تحـ ـول غيـ ـه رشدا
زكـ ـي العـ ـرق والـ ـ ـ ـده   ولكـ ـن بئـ ـس ما ولدا

و مما ينسب للإمام المكودي:

خذوني رخيصا باضطراري إليكم   و يرخص عند الإضطرار المبيع
فما أنا إلا المسك عند ذوي النهى   يضـ ـوع وعند الجاهليـ ـن يضيع

و تذكرت في هذا اليوم قول ابن مظفر لما سمع قول القائل، و هو مما يناسب آخر سانحة يوم الجمعة قبله، و هو:

أكثر وطىء الناس من شبهة   أو من زنى و الحل فيهم قليل
فابـ ـن حـ ـلال نـ ـادر نادر   و النـ ـادر النادر كالمستحيل[3]

فقال ابن مظفر و أجاد:

ألا قـ ـل لسيدنـ ـا الشاعـ ـر   و لا تخشى من طبعه النافر
أمن شبهة أنت أم من زنى   فمـ ـا أنـ ـت بالنادر النادر[4]

---

[1] البيتان للفقيه الشاعر أبي الحسن منصور بن اسماعيل التميمي، و هما من بحر البسيط .

[2] فـ ـي هذين البيتين إشارة لقوله صلى ا عليه و سلم: من أسرع به عمله لم يبطىء به حسبه، و من أبطىء به عمله لـ ـم يسرع به نسبه. إهـ .. غير أن هذا لا ينطبق على أهل بيته صلى ا عليه وسلم، فشرفهم عال، و حسبهم رفيع، و أي فضل كفضل الإنتساب لجنابه المنيف، فلا ينكر ذلك إلا جاهل أو ممقوت .

[3] البيتان للشاعر عمر بن مظفر، المعروف بابن الوردي ، و هما من بحر السريع.

[4] البيتان للشاعر عمر بن مظفر، المعروف بابن الوردي، و هما من بحر المتقارب.

سوانح يوم الإثنين 7 ربيع الثاني 1328 هـ

18 أبريل 1910 م

و فـي يوم الإثنين اجتمعت مع البركة الأمجد عم الحاج محمد الزكاري، فوجدته قد كتب هذه الحكمـة من كلام سيدي علي الخواص رضي ا عنه، فأتحفني بها، ونصها: علامة الراسخ فـي العلـم أن يزداد تمكينا عند السلب، لأنه مع الحق تعالى بما يحب، لا مع نفسه بما تحب، فمـن وجـد اللذة في حال معرفته وفقدها عند السلب، فهو مع نفسه غيبا و حضورا إهـ... فأخذت القلم بيدي و كتبت مضمنا ذلك:

من زاده السلب تمكينا بطاعته　　فإنه فـي العلوم راسخ القدم

لأن محبوبـه محبوب خالقه　　و أي شيء يرى مخالف القدم

فأنشدني في معنى ذلك للعارف سيدي محمد الحراق[1] قدس سره:

لازم هواك و لا تجزع من التيه　　فالوصل و الهجر كل من معانيه

فسيمة الصدق منك أن ترى فرحا　　بكـل حال الك المحبوب يبديه[2]

ثم تذاكرت معه في هذا البحر الواسع الفضاء، و خضنا في بحر قال فيه بعض الأكابر: خضنا بحرا وقفت الأنبياء بساحله، و أولته له بتأويلين، الأول: وقف الأنبياء بساحله لإنقاذ الغارقين، وهذا التأويل أحسن ما قيل في هذا الشطح.

و الثانـي: أن الأولـياء المحمديـين، لهـم بحسب الوراثة الإطلاع على جميع ما اطلع عليه الأنبياء، و نالوا شيئا آخر بحسب الوراثة، و هذا يحتاج إلى تأمل، و إلا لعد شطحا في شطح.

و أنشدني أمنه ا ما كان ينشده له بعض خاصة أحبابه:

البحر بحر على ما كان في قدم　　إن الحـوادث أمواج و أنهار

فـلا تشكلـك أشكـال تشكلها　　عمن تشكـل فيها فهي أستار[3]

---

[1] محمـد بـن محمد الحراق الحسني العلمي، صوفي مشهور. مغربي. أخذ عن الشيخ العربي الدرقاوي و انتفع به. توفـي بـتاريخ 21 شـعبان عام 1261 هـ. و دفن بمقر زاويته بمدينة تطوان. أنظر ترجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف 540:1 (رقم 1518) وفي الأعلام للزركلي 73:7 . دليل مؤرخ المغرب الأقصى 234:1 و 391:2 .

[2] البيتان للشيخ محمد الحراق من مقطوعة تقع في أربعة أبيات و نصها:

لازم هـواك و لا تجـزع من التيه　　فالوصل والهجر كل من معانيه

واصبر إذا أظهـر المحبوب عزته　　فالحـب للحب حقـا من يوايته

و كن شكورا إذا أرضاه ما صنعت　　بك المشيئـة مـن شيء تقاسيه

فسيمـة الصدق منك أن ترى فرحا　　بكل حال لـك المحبوب يبديه

[3] البيتان للعارف بربه الشيخ عبد الغني النابلسي. من قصيدة رائية تقع في 35 بيتا. قال في مطلعها:

تبـارك ا مـا في الدار ديار　　و إنمـا هي نيـران و أنوار

و قد أماطت سليمى عن براقعها　　فوجهها مشرق و الطرف سحار

سوانح يوم الثلاثاء 8 ربيع الثاني 1328 هـ

19 أبريل 1910 م

و في يوم الثلاثاء سنح لي أن أقيد هذين البيتين:

و قائلـة خـل الهوى لرجاله فإن الهوى بعد المشيب جنون

فقلت لها دعني أغالي بمهجتي ألذ الكرى عند الصباح يكون(1)

وهذين البيتين، و هما من سحر الخطاب:

و مهفهف عني يميل لم يمل يومـا إلي فقلـت من ألم الجوى

لـم لا تميل إلي يا غصن النقا فأجاب كيف و أنت من جهة الهوى(2)

سوانح يوم الأربعاء 9 ربيع الثاني 1328 هـ

20 أبريل 1910 م

و فـي يوم الأربعاء سنح لي أن أقيد قول العارف الشيخ الحراق مخمسا للثلاثة الأبيات الأولى من فائية العارف با ابن الفارض، و هو:

شرب بوصلك أو بوصفك شنفي ودراك ذلي في الهوى و تلهفي

ففنائـي فيـك ليس عني يختفي قلبـي يحدثنـي بأنـك متلفي

روحـي فـداك عرفـت أم لم تعرف

هيهات لست من الصبابة أفتدي من بعد مـا قد صح فيها مأخذي

فافعل بصبك ما تشا و استحوذ لم أقض حق هواك إن كنت الذي

لـم أقـض فيـه أسى و مثلي من يفي

قسمـا بحاجبك الذي من قوسه قد غاب حبك في الورى عن حسه

و ببـدر ذياك الجبين و حسنه مالي سـوى روحي و باذل نفسه

فـي حب من يهـواه ليـس بمسرف(3)

---

(1) ذكـرهما فـي معجـم السفر، لأبي طاهر أحمد بن محمد السلفي 365:1، و قال أنهما من إنشاد أبي بكر محمد بن إبراهيم الحنيفي الرازي، و لم يذكر قائلهما.

(2) البيتان للشاعر الأندلسي محمد ابن السراج المالقي. و هما من بحر الكامل.

(3) تخميس الشيخ محمد الحراق للأبيات الثلاثة الأولى من قصيدة العارف با الشيخ عمر ابن الفارض. التي يبلغ عدد أبياتها 51 بيتا. ويقول في ختامها :

فسمعت ما لا تسمعي و نظرت ما لم تنظري و عرفت ما لا تعرفي

إن زار يومـا يا حشـاي تقطعي كلفا بـه أو سار يا عين اذرفي

مـا للنوى ذنب و من أهوى معي إن غاب عن إنسان عيني فهو في

سوانح يوم الخميس 10 ربيع الثاني 1328 هـ
21 أبريل 1910 م

و في يوم الخميس وقفت على قول القائل و قد تقدم البيتان الأخيران، و هو:

ولا أقـول بتكرار الوجود و لا — عود التجلي فما في الأمر تكرار
البحر بحر على ما كان من قدم — إن الحـوادث أمـواج و أنهار
لا تحجبنـك أشكـال مشكلـة — عمن تشكـل فيهـا فهي أستار[1]

و على قوله:

تعدد هذا الكون و الكثرة التي — تلوح خيال كالسراب فخلها
و مـا ثم إلا واحد جل ذكره — لنا يتجلى في المظاهر كلها

و على قوله:

إن الوجـود و إن تعـدد ظاهرا — و حياتكـم ما فيـه إلا أنتم
أنتـم حقيقـة كـل موجود بدا — ووجود هذي الكائنات توهم
في باطني من وصفكم ما لو بدا — أفتى بسفك دمي الذي لا يفهم[2]

سوانح يوم الجمعة 11 ربيع الثاني 1328 هـ
22 أبريل 1910 م

و في يوم الجمعة استعمل أخونا الأعز سيدي محمد[3] أمنه ا أبياتا يعاتب بها بعض أحبته لما استقر بتطوان و لم يجتمع به ونصها و قد أجاد مضمنا:

ركبـت جـودا ليس عنا تعاليا — و آثرت هجـرا كان ودا مواليا
شغفت بفجـر منه و البين هين — و كان إلى غيـر المكارم داعيا
نسيت جموعـا كان ظهر جمالها — بأفضل عصـر أنسنـا المتواليا
و أغربت في هذا النوى و جعلته — عشاءك عند القرب قسطا مكافيا
و لم نرض ذاك البعد عند انبساطنا — و كـان عديمـا ركنه متلاشيا

---

(1) الأبيات للعارف بربه الشيخ عبد الغني النابلسي، من قصيدة رائية تقع في 35 بيتا. قال في مطلعهما :

تبـارك ا مـا في الدار ديار — و إنمـا هي نيـران و أنوار
و قد أماطت سليمى عن براقعها — فوجهها مشرق و الطرف سحار

(2) اعتـبار لقـيمة هـذه الأبيات و شهرتها فقد تم تشطيرها و تخميسها من طرف جماعة كبار العلماء . كمحمد زيني الـبغدادي . و محمـد علي بن محمد الأسدي المعروف بابن كمونة. و عبد الباقي بن سليمان العمري. وعدنان بن شبر الغريفي. و قاسم بن محمد الكستي، و لهذا الأخير يقول في تشطيرها:

إن الوجود و إن تعدد ظاهرا — هو واحد من حيث فيه وجدتم
و لـذا يقـول العارفون بأنه — و حياتكـم ما فيـه إلا أنتم
أنتم حقيقـة كل موجـود به — و بجدكـم هذي السريرة تفهم
و يرى خيار القوم أنكم الورى — و جميع مـا في الكائنات توهم

(3) سبق التعريف به في ص

و طاش بنـا سهم الزمان و لم يكن ليأتينـا خصم المـودة شاكيا
تعشقتـ ـه و العيـن أكبـر شاهد و آثرتـه حتـى تمثلـت قاليا
كأنـي تنويـن و أنـ ـت إضافـة فأيـن ترانـي لا تحل مكانيا

سوانح يوم السبت 12 ربيع الثاني 1328 هـ
23 أبريل 1910 م

و في يوم السبت، رأيت هذين البيتين فأردت إثباتهما هنا، لطافتهما، و هما:

برهـن إقليـدس فـي فنـه و قـال في النقطة لا تنقسم
و لـي حبيـب فمـه نقطـة موهومـة تقسـم إذ يبتسـم

و كتـبت إلى الباشا الأسعد، سيدي محمد الجباص[1] ، و كان نفذ لي عنده والده النائب أمنهما ا مؤونة شهرية، و تأخر دفعها لي في هذا الشهر فقلت:

يا من سما بين أهل الفضل منزله و من إذا قـال خيرا فهو يفعله
قـد مر شهر و لم نحرز به طرفا ممـا تنفـ ـذه و حـاش تهمله
و الشهـر هذا يكـاد أن يمر ولم نقبـض به ما لغيري أنت تبذله
فـلا تدعني إلى سـواك نطلبه سـوى الثواب الذي إليك نسأله
فـدم وقـدرك في العلياء مرتفع و ا بالحفظ طول الدهر يشمله

---

[1] محمـد بن محمد الجباص الغرباوي السفياني الفاسي، الصدر الأعظم، ولد بفاس سنة 1264 هـ ـ ـ 1847 م و هو كبير الوفد المغربي الذي عينه السلطان مولانا الحسن الأول للذهاب إلى أنجلترا قصد تلقي العلوم العصرية. كما أخذ بالمغـرب أيضا عن جماعة من العلماء منهم الشيخ ماء العينين، الذي لقنه أسرارا و أذكارا خاصة، و كان لديه اهتمام كبيـر بمصـنفه المسمى: مذهب المخوف على دعوات الحروف، و قد ساعده العلامة سكيرج كثيرا في حل رموز هذا الكـتاب، ومـا يحتوي عليه من الفرائد و الفوائد، كما كشف له عن الأسماء الباطنية التي أخفاها المؤلف بين طياته، و نظـرا للعلاقـة الحميمة التي كانت تجمع بين الطرفين، قام العلامة سكيرج بمدح صاحبه المذكور بقصائد نفيسة، منها قصيدة قال في مطلعها:

الحب في وجه المحب يلوح كيف اكتتامه و النحول يبوح

و منها قصيدة أخرى قال في مطلعها:

إن كان قلبك لا يزال حديدا فالقلـب منـي لا أراه حديـدا
مـاذا يلينـه لتشفق لي ولا تصغى لمن في العذل صار مريدا

سكن المترجم مدينة الجديدة بعد إعفاءه من منصب الوزير الصدر، فاستوطنها مدة 17 سنة. من سنة 1917 م إلى سنة 1934 م. و هـي السنة التي توفي فيها، و كان ذلك عند أوبته من فريضة الحج. و دفن برابغ. أنظر ترجمته في كتابنا رسـائل العلامـة القاضي أحمد سكيرج 36:1. مختصر العروة الوثقى لمحمد الحجوي 17. معلمة المغرب 2915:9. موسوعة أعلام المغرب لحجي 3026:8. و في قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ للعلامة سكيرج ت 36.

سوانح يوم الأحد 13 ربيع الثاني 1328 هـ

24 أبريل 1910 م

و في يوم الأحد سنح لي أن أكتب هنا قول القائل:

إذا ما رأيت الله في الكون فاعلا شهدت جميع الكائنات ملاحا

و إن لم تر إلا مظاهر صنعه حجبت فصيرت الحسان قباحا

و ممـا يناسـب ذلك ما حدثني به البركة الأمجد عم الحاج محمد الزكاري أمنه الله - في هذا الـيوم مـن رسـالة للعارف الحراق رحمه الله قال: لما علم الله سبحانه عجز خلقه عن الثناء علـيه، فأثنـى على نفسه بنفسه، و من جملة ثناءه على نفسه، وجوده لهذه الموجودات، فعلى الناظر فيها أن لا يحتقر شيئا من ثناء الله على نفسه إهـ.

سوانح يوم الإثنين 14 ربيع الثاني 1328 هـ

25 أبريل 1910 م

و في يوم الإثنين وقفت على تقييدة بقصد إلحاقها في هذه السوانح، و هي حكمة حراقية يقول فـيها: مـن أراد إحصاء الطرق عليه فليحص أطوار خلقه عليه، و أنشدني عم الحاج محمد الزكاري أمنه الله، لبعض أصحاب الشيخ الحراق:

اكتفاء بعلم الله فيه صيانة و قسمته الأرزاق طاب بها العيش

و من هذا المقام قول الشريشي :

يشاهد وعد الحق عين يقينه فلا أمن في وفر و لا خوف في فقر[1]

و سـنح لـي أن أقيد ما وقفت عليه في كتاب الإشراف[2] لسيدي الطالب ابن الحاج قال: من الغـريب أنه - أي مولانا سليمان - كان بمجلس البخاري فعطس، فقرأ القارىء يرحمك الله، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و سلم: (إذا عطس أحدكم فليقـل: الحمد لله على كل حـال، و ليقل له أخوه أو صاحبه يرحمك الله [3]) الحديث. و في ذلك يقول الوالد[4] من أبيات:

---

[1] البيت للعارف بربه الشيخ الشريشي. من قصيدة رائية له تقع في 141 بيتا ، قال في مطلعها :

إذا ما بدى من باطن حالة الزجر فما هو إلا البر من منح البر

[2] الإشـراف، علـى بعض من بفاس من مشاهير الأشراف . محمد الطالب ابن الحاج السلمي المرادسي الفاسي. طبع أخيـرا بـتطوان خلال سنة 1425 هـ ـــ 2004 م . بتحقيق الأستاذ جعفر ابن الحاج السلمي. يقع في جزأين من الحجم المتوسط .

[3] رواه الحافظ البخاري 2298:5 (رقم 5870) .

[4] يعني به والده العلامة الأديب الشهير سيدي حمدون بن الحاج السلمي .

عطست و راوي الحديث يقول يرحمك ا قول الرسول

فكان الرسول المشمت إذ عطست وذلك أعظم سول[1]

إهـ

سوانح يوم الثلاثاء 15 ربيع الثاني 1328 هـ

26 أبريل 1910 م

و فـي يـوم الـثلاثاء وقفت على قصيدتي التي هجوت بها بعض أهل الضلال، ممن تعرض للطعن في أولياء المغرب خصوصا الحضرة الإدريسية، وقد طلب مني إنشاءها الفقيه العلامة مفتـي حضـرة فاس الشريف سيدي المهدي الوزاني[2] وقد ألحق طرفا منها ببعض تآليفه، و أمرني بها شيخنا العلامة سيدي أحمد بن الخياط،[3] و نصها:

العلم نـور منقـذ الحيران من دولة الطغيان و الكفران

---

[1] أنظر ديوان النوافح الغالية في الأمداح السليمانية، للعلامة حمدون بن الحاج ص157 .

[2] محمد بن المهدي بن خضر بن قاسم العمراني الوزاني الفاسي، ولد بوزان سنة 1266 هـ أما وفاته فكانت بفاس في 30 محرم الحرام عام 1342 هـ 1923 م، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدتين قال في مطلع الأولى:

مـاذا دهـاك فصرت كالوهان مشغـول بال فاقـد الوجـدان

و قال في مطلع المرثية الثانية:

بماذا أسلي النفس و الحزن زائد و قلبي الصبور اليوم للصبر فاقد

ولـه رحمـه ا عدة تصانيف علمية منها: المعيار الجديد، و حاشية على شرح ميارة للدر الثمين، و المنح السامية في الـنوازل الفقيه، و الكواكب النيارة، و رسالة في الرد على محمد عبده في مسألة التوسل، و حاشية على شرح المكودي للألفية، و حاشية على شرح التاودي للامية الزقاق، و غيرها.

أنظـر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 43 و في الأعلام للزركلي ج 7 ص 114 و في معجم الشـيوخ لعـبد الحفـيظ الفاسي ج 2 ص 48 . و في الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 379 رقم الترجمة 824، و في فهـرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 1113 رقم الترجمة 626، و في شجـرة النـور الزكية لمخـلوف 618:1 رقـم التـرجمة 1717 ، و فـي معجم المطبوعات لسركيس 1915 ـ 1917، و في فهرسة سيدي المهدي بن محمد الوزاني، طبعت على الحجر بفاس في شوال عام 1314 هـ .

[3] أحمـد بن محمد بن عمر بن عبد الهادي الزكاري، عرف بإبن الخياط، فقيه، محدث، صوفي، من مواليد مدينة فاس في 16 شعبان عام 1252 هـ، تلقى العلم عن جماعة من أكابر فقهاء القرويين منهم: محمد بن عبد الرحمان الحجرتي، و القاضـي محمـد الصادق بن الهاشمي السجلماسي المدغري، و الحاج الداودي التلمساني، و الحاج محمد بن المدني كنون، و عبد الواحد بوغالب، و أحمد المرنيسي، و أحمد بناني كلا، و أحمد بن الحاج، و عبد المالك الضرير العلوي، و غيرهم.

وتفـوق تصـانيفه 90 مؤلفا في مختلف الفنون، من فقه و حديث و تفسير و تاريخ و بيان و منطق و نحو وتصوف و غيـر ذلـك، و كانت وفاته رحمه ا فجأة بعدما أدى فريضة الظهر من يوم الأثنين 12 رمضان المعظم عام 1343 هـ، و صـلي عليه بعد صلاة العصر بجامع القرويين، و دفن في زاوية بالرميلة، عدوة فاس الأندلس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدتين قال في مطلع الأولى:

مـاذا أثـار أساك بعد خمود فضجـرت بعد تصبر محمود

و قال في مطلع المرثية الثانية:

لتبك دما إن دمع عينك قد جمد فقد فقد القلـب التصبر والجلد

أنظـر تـرجمته في شجرة النور الزكية لمخلوف 619:1 رقم الترجمة 1718، و في الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 381 رقـم التـرجمة 826، و فـي نيل المراد للفقيه الحجوجي ج 1 ص 17، و في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم التـرجمة 23، و في فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 387 رقم الترجمة 191، و في الأعلام للزركلي ج 1 ص 250.

و الجهـل إن حققته بين الورى   تلفيـه أقبـح خلـة الإنسان
و العقـ ـل أكمل ما به ذات الفتى اتصفـ ـت و أحسـ ـن حيلـ ـة الأقـران
و الصـدق أجمل ما تحلى عاقل   بسنـاه فـي سر و في إعلان
و الديـن أحسـن حلة يزهو الفتى   بدلالـه في سائـر الأكـ ـوان
و المـال أفضلـه الـذي يلقى به   عن عرضهم أولو الحجا النوراني
و مصيبـة الأبـدان أهون للفتى   مـن أن يصـاب مصيبة الأديان
فـإذا امـ ـرؤ لم يتصف بجمالها   فممـاته خيـ ـر مـن الحيـوان
و الدهـ ـر فيه عجائب لا تنتهي   و تلونـت بتلـ ـون الأزمـ ـان
و الشر في بعـض البرية كامن[1]   يبديـه حمقهـ ـم بكـ ـل مكـان
و الأرض لا شـرف لها في نفسها   بـ ـل فضلهـا إن صـح للسكان
و أجـل ما فيها مكان المصطفى   أو مـا حـوى التفضيـل بالفرقان
دع عنـ ـك ويحـك مكة أم القرى   و مدينـة شرفـت علـى الأوطان
وانظر إلى الغرب الذي بين الورى   لازال فيـه الديـن فـي رجحان
لازال أهـل الغـرب حقا ظاهريـ ـ ـ ـ ـن علـى الهـدى و الحـق طول زمان
ما ضرهم شخـص يخالف رأيهم   كابـن المهـان الناعـ ـ ـق الفتان
شخـص تخلق بالنصـارى طبعه   و لـه يـد قبضـت علـى الكفران
و لقـد تنصر و هو يظهر للورى   إسلامـه و هـو العـ ـ ـدو الشاني
و دليـل ذاـك بغضـه للمصطفى   و لآلـه فـي السـ ـ ـر و الإعلان
و غـدا يسـب الأوليـ ـاء مبارزا   لهـم بسيـف البعـض و النكران
لمـ ـا تيقـ ـن أنـه ذو مهنـ ـة   و سـ ـواه يوسمـه بكـ ـل هوان
و تمـازج الخبـث الذي في نفسه   مـع فحشـه المحشـ ـو بالهذيان[2]
و النـاس لـم تحفل به في مشرق   ممـ ـا بـ ـه عرفوه من نقصان
وغـدا علـى النفس الخبيثة راضيا   بمبيـ ـع دينـه في رضا الشيطان
قامـت قيامتـه بشتـ ـم معـارب   فيهـا يبـارك محكـم القـرءان[3]
و الديـن فيهـا لم تـ ـزل أركانه   فـي غايـة الإحكـ ـام والإتقان

---

[1] كامن : متوار.

[2] الهذيان: هذى يهذي هذيا و هذيانا، بمعنى تكلم بغير معقول لمرض أو غيره.

[3] إشـارة لقـوله تعالى: و أورثنا القوم الذين كانوا يستضعفون مشارق الأرض و مغاربها التي باركنا فيها (سورة الأعراف الآية 137)

و ا عاصـم [1]أهلها من بدعة ... تفضـي لحـل عقيدة الإيمان

أو مـا درى هـذا الغبـي بأنه ... فـي خبط عشوا في شديد تعان

و الفضل في أهل المغارب ظاهر ... و لـو أنـه يخفيـه ذو تبيان

و الغرب مخصوص بمذهب مالك ... علـم الشريعـة منبـع العرفان

و لقـد أقر بفضلـه أهـل النهى ... و بفضلـه لـم يختلـف إثنـان

و بفعـل أهل الغرب كم من عالم ... يأتـي بـه مستشهـدا لمعـان

فكأنـه هـو المدينـة نفسهـا ... و الحـق لا يخفـى على الأعيان

وابـن المهـان يريد يطفئ نوره ... حسـدا وبغضـا منـه بالعـدوان

و لـه يـد شلـى تخـط فجوره ... بسـواد مـا يلقيـه من بهتان

تبـت يـداه لقـد تعـرض للردى ... و أقـام يعـرض نفسـه لهـوان

تبـا لمهنـى و ابنـه الكلب الذي ... يعـوي و يلهـث سائـر الأحيان

مهنـى و ما مهنى سوى ابن مهانة ... أو نجـل هيـان سلـي بيان

مهنـى المهـان ونجله الخب الذي ... فـي النـاس يعرف أنه ابن الزاني

تعسـا[2] له مـن فاجـر متجاهر ... بفجـوره يبغـي رضـى الشيطان

متفننـا بفنـون سـوء شب في ... حجـر الخنـى[3] برضـاع شر لبان

و لقـد نشـا بيـن الكنائس طاويا ... كشـح الفسـاد و لـو بفتـل دخـان

لـم يلـف يوما طول عمره صاحيا[4] ... بل لا يـزال ملازمـا للحـان[5]

متسربـلا بـرداء فحـش نازعا ... ثـوب الحيـا عن وجهه السرحاني[6]

و إذا رآه فتـى يقـول بأنـه ... مـن قبـل أن يدريـه ذا ابـن لعان

بغـل يلاحظـه بصـورة آدمي ... لـولا شـواه لقـال ذا ابـن أتـان[7]

و لقـد تحـدث كـل ذي خبـر بما ... فيـه انطـوى بيـن الورى ببيان

فبـذاك أنبأنـا أنـاس أبصـروا ... أفعالـه و رأوه بـالإيقـان

قـد قيل مـا قد قيل و هو محقق ... مـن غير شـك فيه بالبرهان

سل عنه مصر ترى لها من فحشه ... شكـوى بقلـة دينـه بعيان

---

[1] عاصم: حافظ.

[2] تعسا له: أشقاه ا و ألزمه هلاكا.

[3] الخنى : الفحش.

[4] صاح: مستيقظ و المعنى أنه كان متماديا في السكر مدمنا عليه .

[5] الحان: مفرد الحنة و هو موضع بيع الخمر.

[6] السرحاني: من أسماء الكلب.

[7] الأتان: الحمارة.

سـل عنـه بلدتـه تريك خصاله … حتى لقـد منحـوه بـالهجران
قـد قام فيهـم يدعـي في زعمه … نيل الصلاح لكـي يرى متداني
و لقـد تفطـن فتيـة لدهائـه … فتجنبـوه فصـار كاللهفـان
قـد قـام يهتـك سترهـم و يذمهم … و يسب أهل الفضل في الأوطان
سيـان[1] مغربنـا لديـه و مشرق … فيمـا يـذم بخاطـر شيطانـي
و لفحشـه قـد صـار يهجو نفسه … و مديحـه وهجـاؤه مثـلان[2]
و لقـد هجـا آبـاءه و جـدوده … أهـل الخنـى و بعيـده و الداني
قـل للذيـن رضوا بـه في أرضهم … و غـدا بهـا مستوطنـا بأمـان
فلقـد تمسكـن كـي يـرى متمكنا … فـإذا تمكـن نـال كـل أمانـي
فيصيـر مدعيـا لمالـك خارجـا … عـن طاعـة أن يرض بالطغيان
بـل يدعـي فيكـم بـأن لـه يـدا … يسبـي بهـا البابـا[3] مع الرهبان
بـل يدعـي فيكـم ألوهية له … و يصيـر فرعونـا على الأعوان
هـا قـد نصحتكـم بمـا حققته … مـن حالـه ففعالـه كالجـان
كونـوا علـى بـال بما أخبرتكم … فستسمعـون بـه بعيـد زمان
قولـوا لهـذا الخب[4] ويلك حزت ما … قـد رمـت مـن خزي ومن خذلان
فلقـد دعتـك النفـس ويلك للردى … و وقفـت فـي بحبوحـة الخسران
و لبـاس تقـوى ا عنـك نزعتها … و لبسـت ثـوب الـذل و البهتـان
أيقظـت ويلـك فتنـة بيـن الورى … فغـدوت ملعونـا بكـل لسـان
قـد نـال مـن إبليـس شـر خلافة … فـي لعنـة النسـوان و الصبيـان
قـد كنـت مجهـولا فصـرت لديهم … معـروف فسـق سـيء الأديـان
بشـراك بالخـزي الـذي تهـوي به … طـول المـدى فـي حافـة النيران
بشـراك قـد ظفـرت شمالـك بالذي … مـا لـم يـمر بقلبـك الظلماني
و لقـد بـرزت علـى منصـة محنة … تسمـو بهـا في الطـرد و الشنآن
حاربـت ربـك في إذايـة سادة … تسمـو مراتبهـم علـى الكيوان
و دعـاك ويلـك للـردى فأجبته … متأبطـا شـرا مـن الكفران
و جنيـت مـن أفنـان كل ملمة … ترديـك مختلفـا علـى الألوان

---

[1] سيان: لا فرق.
[2] مثلان: بمعنى مثيلان و حذفت الياء للضرورة الشعرية .
[3] البابا: الحبر الأعظم عند المسيحيين.
[4] الخب: الساقط .

كـم سادة في الغرب حقا قد عنا[1]   لعلاهـم النائـي[2] لهـم و الداني

بهـم تبينـت الشريعـة للورى   و بهـم صـلاح الخلق و الأزمان

و هـم النجـاة لمن يؤم رحابهم   و سبيلهـم يفضـي لخالـد جنان

يـا ويـل من آذاهم لا شك في   دنيـاه يسلـب نعمـــة الإيمـان

و يصـاب قبـل مماته بمصيبة   هانـت بفقـد المـال و الأبـدان

تبـا[3] لمهنـى وابنه فلقد سعى   في حتفـه[4] وعذابـه المتدانـي

سيسـوؤه عمـا قريـب فعلـه   لمـا تصيـــح بويلـه الملكـان

وينـال أخـذ كتابـه بشمالـه   و تصيـر تلعنـه بـــذا الثقـلان[5]

و أقـل مـا يلقاه في أخره من   خـزي يسـاق بـه إلـى النيران

يـا ويلـه مـن شتمه لأفاضل   شهـــدت بفضلهـم ذوو العـداون

لازالـت الأخيـار حقـا تبتلى   في الخلـق بالأشـرار في الأوطان

لا زالـت الأحـرار ممتحنيـن في الــــــدنيا بأولاد الزنى الأوهان[6]

سحقـا لـه مـن فاجر متعصب   فمماتـــه و حياتـــه سيـــان

لـو كـان مشتغلا بما يعنيه ما   ظهـرت فضيحتـــه بكـل مكان

لكـن شيطـان الهـوى متحكم   سلطانـه فـــي قلبـــه بـالران[7]

قد صار يلمزهم[8] ويحسب صنعه   مستحسنـا مـــن شـــدة الكفران

لـم يرض فعلتـه سـوى شيطانه   و الكفـر أهون في رضى الشيطان

و لقـد تبـرأ كـل مستمـع لمـا   منــــه تقولـــه مـــن الهذيان

و عرفـت مـا قد رامـه سفها بما   أبـــداه مـــن كـذب و من بهتان

قـد نـال من أهل المغارب هجوه   فيصيـر مـــذكورا بكـــل لسان

و عساه أن يسري الهجاء لمشرق   و هجـاؤه من أعظـم الحدثان

حاشـا وكـلا أن نذم ذوي العلا   مـن أجـل هذا الناعق الفتان

حاشـا بأن يعزى[1] الهجاء لواحد   منـا لهـم يومـا و لـو لفلان

---

[1] عنا: خضع.

[2] النائي : البعيد .

[3] تبا له: بمعنى ألزمه ا خسرانا و هلاكا .

[4] الحتف: الموت .

[5] الثقلان: الإنس و الجن .

[6] الأوهان : جمع وهن، و هو الضعيف في العمل أو الأمر أو البدن .

[7] الران: رانت نفسه أي خبثت وغثت .

[8] يلمزهم: يعيبهم .

[1] يعزى: ينسب.

و لقـد أتتـه قصيدتي بصواعق | قطعـا تدمـره بغير توان
مـا قلتهـا إلا ارتجـالا معرضا | عمـا يسفهـه مـن النقصـان
و قـد ادخـرت لـه لقطع لسانه | سيفـا إذا مـا عـاد للميـدان
و يـرى لهانـي شهدة يشفى بها | و يـرى على من صب كالتعبان
و متـى يعـد لفجـوره في ساعة | فيهـا لـه تأتـي السما بدخان[2]
و النعل[3] حاضـرة لتلاطـم وجهه | كالعقـرب الصمـاء من عجلان
و لقـد علمـت بـأن تترك هجائه | لهـو الصـواب لدفـع كل مهان
فالكلـب إن تطـرده يغـدو نابحا | و إذا سكـت تسيـر في اطمئنان
لككنـي أيقظتـه مـن سكره | و نصحتـه ليعـود للإيمـان
و أردت أنقـد مـن بـه يغتر في | مـا قـد تقولـه مـن البهتان
و لقـد علمـت بأنـه متمرد | لا يقبلـن النصـح مـن إنسان
لكننـي خلـدت حقـا ذكره | ليـدوم يلعنـه ذوو الأزمـان

سوانح يوم الأربعاء 16 ربيع الثاني 1328 هـ

27 أبريل 1910 م

و في يوم الأربعاء بعثت إلى سيدنا الوالد صورتين من صورتي مع صورة الإبن عبد الكريم أنبته ا نباتا حسنا، فكتبت على أولهما قولي و هو من بنات الأفكار اليومية:

أتتكم صورتي تبغي رضاكـم | و تسـأل منكم حسن القبول
و وافتكـم و في يدها كتـاب | ليشفـع لي فنحظى بالوصال
و بيـن يـدي من و لدي إليكم | تملقـه لنـدرك كل سولي
فإنـا بعـد بعدكـم غدونا | نرى صـورا لديكم بالنحول
فنسأل مـن قضى بشتات شملي | بكم جمعـا على رغم العذول

و كتبت على الأخرى:

يـا أناسـي شوقي إليكم عظيم | بعضه فيه فوق بعض تراكم
قـد أقامت روحـي لديكم لهذا | قد أتت صورتي إليكم تراكم

---

[2] إشارة لقوله تعالى فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين (سورة الخان الآية 10) .
[3] النعل: ما وقيت به القدم من الأضر، و المراد به هنا البلغة .

سوانح يوم الخيمس 17 ربيع الثاني 1328 هـ
28 أبريل 1910 م

و فـي يـوم الخمـيس سنح لي أن أقيد هنا قصيدة كنت أنشدتها في الفقيه النائب سيدي محمد الجباص[1]، نصها:

جـ ـاء فتـح مـن الإله مبين	يتسلـى بـه الفـؤاد الحزين
و أتـى و السعـ ـادة اكتنفتـه [2]	بسـرور بـه تقـر العيون
قاصـد مقصد الـورى السيـد الجبـ ـاص من	في العلا علاه مكين[3]
مـن غدا في الوجود منبع جود	يرتجيـه الغنـي و المسكيـن
كـل شخـص له يد منه بيضا	و بقيـد الإحسـان منه رهين
فاق أولى الزمان فضلا فأضحى	مالـه فـي ذوي الكمال قرين[4]
علـم ا أنـه فـ ـرد دهـ ـر	و بـه منصـب الجمـال يزين
فأقـ ـر[5] العـ ـدا بـأن له في	خدمـة الديـن حلـة لا تشين
نسجـ ـت بالتقـى بمنـوال عز	فلهـ ـذا بـ ـه يعـ ـز الديـن
فـإذا مـا أراد إجـ ـ ـلال قوم	قـ ـال كونـوا أفاضلا فيكونوا
و إذا مـا أراد تسهيـل صعـب	قـ ـال كـن ذا ليونـة فيلين
و إذا مـا أراد إيهـ ـان خطـب[6]	عـن أنـاس بالأمر منه يهون[7]
خـاض في أبحـر السياسـة في النـ ـ ـ ـاس و بالعلم فلكه مشحون	
وغـدا يلقـط الجواهـر حتـى	صـار منها يرى لديه المصون
و لقـد أظهـر النصيحـة حتى	أبصرت صدق ما يقـول العيون
كـان يـدري عواقب الأمر مما	كاد في نصحـه تسـيء الظنون
فبـدا الآن نصحـه وفـق ما قا	ل و فـي ذاك مـ ـا لديه معين
و إذا مـا الإلـه نـ ـور عقلا	لرشيـد يريـ ـه مـ ـا سيكون
أيهـا السيـد الـذي فـي المعالي	هـو بـدر و طالـ ـع ميمـون
دم بحفـ ـ ـظ الإلـه بـدر كمال	و لـ ـك ا فـي الأمـور معين

---

[1] سبق التعريف به في ص
[2] اكتنفته: أحاطته و ضمته إليها .
[3] مكين: ذو منزلة و مكانة .
[4] القرين : الصاحب و المراد به هنا الكفؤ.
[5] أقر: اعترف.
[6] الخطب: مفرد خطوب وهي المكاره و الشدائد .
[7] يهون: يلين و يسهل.

و بعيد الأضحى لك السعد أضحى مقبـلا بالهنـاء أيـن تكون
و لـك الدهر خـادم و بك الديـــــن محوط و أنت حصن حصين

سوانح يوم الجمعة 18 ربيع الثاني 1328 هـ
29 أبريل 1910 م

و في يوم الجمعة سنح لي أن أقيد قول ابن مكانس[1] في الإكتفاء، و هو:

لم أنس بدرا زارني في ليلة مستوفـزا ممتطيـا للخطـر
فلـم يقـم إلا بمقـدار أن قلت له أهلا وسهلا و مر(حبا)[2]

و قول البدر الدماميني[3] فيه:

الدمـع قاض بافتضاحي هوى رشا يغار الغصن منه إن مشى
و غدا بوجدي شاهد ووشى بما أخفى فيا من قاض وشا[4](هد)

سوانح يوم السبت 19 ربيع الثاني 1328 هـ
30 أبريل 1910 م

و في يوم السبت نظمت في الإكتفاء قولي و فيه المكالمة:

و متهـم في هـواي لـه فقلـت له فيك حبي جلي (ل)
فـلا تتهمنـي فقال صـــــدقت أنـت الخليل و إني خلي (ل)

و مما وقفت عليه بالريحانة[5] للشهاب الخفاجي، من نظم الأديب السيد عمر العزي:

رب ثقيـل أمـام قـوم يـؤم بالنـاس ثـم يجحف
خالـف فـي الفعل قول طه مـن أم بالنـاس فليخفـف

---

[1] عـبد الـرحمان بـن عبد الرزاق المعروف بابن المكانس وزير شاعر . ولد بالقاهرة سنة 745 هـ . من مؤلفاته: ديوان إنشاء، وديوان شعر، و اللطائم و الأشناف. توفي سنة 794 هـ 1392 م . أنظر ترجمته في الدرر الكامنة لابن حجر العسقلاني 330:3 الأعلام للزركلي 3: 310. آداب اللغة، لجرجي زيدان 124:3.

[2] أنظر خزانة الأدب للبغدادي 289:1. و قد ذكرهما بصيغة قريبة لهذه و نصها:

ظبي زارني في الدجى مستوطنـا ممتطيـا بـالخفر
فلـم يقـم إلا بمقـدر أن قلـت له أهـلا و سهلا و مر

[3] محمـد بن أبي بكـر بن عمر المخزومي القرشـي المعروف ببـدر الدين الدماميني. من مؤلفاته: تحفة الغريب. و نزول الغيث. و الفتح الرباني (في الحديث) و العيون الغامزة (شرح للخزرجية في علم العروض) و شمس المغرب في المرقص و المطرب. و عين الحياة (اختصر به حياة الحيوان للدميري) إلى غير ذلك من كتب أخرى توفي بالهند سنة 827 هـ 1424 م أنظر ترجمته في الضوء اللامع للسخاوي184:7. بغية الوعاة للسيوطي 27.آداب اللغة لجرجي زيدان 143:3.شذرات الذهب لابن عماد 181:7 الأعلام للزركلي 57:6.

[4] أنظر خزانة الأدب للبغدادي289:1.

[5] ريحانة الألبا و زهرة الحياة الدنيا. من عيون كتب الأدب و التراجم. جمعه العلامة الأديب أحمد بن محمد بن عمر، المعروف بشهاب الدين الخفاجي المصري، المتوفي سنة 1069 هـ 1659 م. ترجم فيه لعدد كبير من شعراء عصره. سماه أولا: خبايا الزوايا، فيما في الرجال من بقايا. ثم ارتأى أن يهذبه و يعيد ترتيبه. فلما فرغ منه وضع له عنوانا آخر و هو: ريحانة الألبا و زهرة الحياة الدنيا. طبع بمصر سنة 1273 هـ 1856 م.

و وقفت على قول ابن حجر العسقلاني:

يا رب أعضـاء السجود عتقتها ... مـن فضلك الوافي و أنت الواقي[1]
و العتق يسري بالغنى يا ذا الغنى ... فامنـن علـى الفاني بعتق الباقي

و لغيره في معناهما:

إن الكـرام إذا شابـت عبيدهم ... فـي رقهـم أعتقوهم عتق أحرار
و أنت يا خالقي أولـى بذا كرما ... قـد شبت في الرق أعتقني من النار

سوانح يوم الأحد 20 ربيع الثاني 1328 هـ

1 ماي 1910 م

و فـي يوم الأحد أنشدني أخونا الأعز سيدي محمد أمنه ا بعض قصيدة ينشئها في الشطرنج يقول منها و قد أجاد:

و بعـد فالعلـم أبـواب مفتحـة ... لكـل من يبتغي العليا و يهواها
و الجهـل أقبح شيء أنت مالكه ... و كـل منقصـة فالجهل أدناها
فاجـن الثمار ولا تعبأ[2] بغارسها ... و احذر جهالة أغمار[3] و ما واها
فبـالعلوم يعيش المرء ذا شرف ... و بالجهالـة ميـت لم ينل جاها

سوانح يوم الإثنين 21 ربيع الثاني 1328 هـ

2 ماي 1910 م

و فـي يـوم الإثنين اجتمعت بالبركة الأمجد عم الحاج محمد الزكاري أمنه ا ، فأنشدني هذا المفرد:

فحقق و كن حقا فأنت حقيقة ... بحقك و المخلوق للذات راجع

ثـم تـذاركت معـه في العبودية فقال: قد جلت في الحكاية التي قد حدثني بها البارحة من إن بعض المشايخ قال لبعض مريديه و قـد أساء الأدب عليه: ويحك أما تخشى أن اسلبك؟ فقال لـه مجيـبـا: لا تقدر على سلب عبوديتي، لأن العبودية وصـف ذاتي للمخلـوق، فأغمي على الشيخ، قال: فلما جلت فيها تذكرت قوله تعالى (إن كل من في السماء و الأرض إلا أتي

---

(1) الواقي: الحافظ.
(2) لا يعبأ: لا يبالي.
(3) أغمار: جمع غمر، و هو من لم يجرب الأمور.

الـرحمن عـبدا) [1] ففـتح علي في فهم العبودية من أن منبعها الرحمان، فمن أراد العبودية فليطلـبها من هذا الإسم الشريف، و ليتخلق به، فقلت له: نعم إن اسم الرحمن هو الذي بسره وجـدت الخلائـق علـى مقتضى رحمتي سبقت غضبي، و هو منبع العبودية، و لذلك أمروا بالسجود له، و لم يتحققوا المقصود من سـره، فسألـوا عنه لخفاء سره عنهم في قوله تعالى (و إذا قـيل لهم اسجدوا للرحمن[2] .. إلخ) الآية الشريفة، و لذلك من تحقق بها استوى على عرش الكون بالتصرف فيه على مقتضى الرحمن على العرش استوى إهـ .

و فـي هذا اليوم وقعت المسامرة بيني و بين الشريف العفيف، ذي العقل و النور، المحب في الجـناب المحمدي، الأطهر الشريف سيدي الفاطمي الإدريسي الحمودي[3] و سرد علينا بعضا من كتابه في الصلاة على النبي صلى ا عليه وسلم، و هو كتاب لطيف يكاد يعشقه القرطاس و القلـم، سماه (لوامع الياقوت و الدرر، في الصلاة على درة العالم و شرف البشر) و أنشد فيه لجده من أمه المرابط السيد محمد بنيس[4] من أصحاب العارف الشيخ الحراق :

أنصف حبيبك في ما قد طلبت به ... مـن صـون بيت به محل سكناه

و لا تـدع غيـره يرى به سكنا ... وامح السوى منه و اشهد فيه مجلاه

و أعجبني ما أنشده فيه من قول القائل:

إذا نحـن أهدينا إليك فإنما ... بفضلك نهدي بل بجودك نهتدي

و ما عندنا إلا عطاياك فالذي ... يوافيك منها بعض مالك من يدي

و هـذا الشـريف لـه يد في علم القوم، و ذوق سالم من الوهم، وله فهم و إدراك وولوع تام بمطالعة الجيلي و الفتوحات و ما ضاهى ذلك، وله تأليف آخر في الصلاة على النبي صلى ا عليه و سلم سماه حقائق الصوفية اهـ .

---

[1] سورة مريم الآية 93.

[2] سورة الفرقان الآية 60.

[3] الفاطمـي بن الحبيب الحمودي الحسني الفاسي من مواليد حومة المخفية بفاس سنة 1285 م هـ حفظ القرآن الكريم فـي صـباه على يد الفقيه أحمد المكناسي، ثم ختمه وجوده عن المدرس الفقيه أحمد الخمسي، ثم تفرغ بعد ذلك لطلب العلـم، فتـتلمذ لجماعة من علية فقهاء فاس، كمحمد بن التهامي الوزاني، ومحمد بن العربي الصقلي، و محمد التهامي كنون، و محمد بن جعفر الكتاني و آخرين.

و مـن تآليفه لوامع الدرر في فضل الصلاة على خير البرية و رشفة من بحر حقائق العرفان، في الكلام على ليس في الإمكان أبدع مما كان، ودرر الكلم و الحكم في بهج طريق أهل الهمم. أنظر ترجمته في رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان، للعلامة سكيرج ص 121.

[4] محمـد بن محمد بنيس. المعروف بالمرابط. صوفي مشهور. من تلامذة الشيخ محمد الحراق. توفي بفاس في شهر صـفر الخير سنة 1301 هـ و دفن بالقباب خارج باب الفتوح . أنظر ترجمته في كتاب رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان للعلامة سكيرج ص121.

سوانح يوم الثلاثاء 22 ربيع الثاني 1328 هـ
3 ماي 1910 م

و فـي يوم الثلاثاء سنح لي أن أقيد من فوائد عم الحاج محمد الزكاري بعض ما وعيته عنه، وذلـك لإزالـة الدسم الذي يتلبد على الثياب، و خصوصا الأدم من زيت و نحوها، أن يؤخذ الفحـم ويدق ناعما. ويحك به مـع الماء الثوب الـذي يريد غسله. و كذلك إذا طلي بالعسل، و غسل مع الحك و الدلك، فإنه يزول منه.

سوانح يوم الأربعاء 23 ربيع الثاني 1328 هـ
4 ماي 1910 م

و في يوم الأربعاء أنشدني الأخ الأعز سيدي محمد حفظه ا قول كثير عزة:

و ما كنت أدري بعد عزة ما البكا ولا موجعات القلب حتى تولت[1]

و كانت زوجته إبنة سيدنا العم سافرت إلى تطوان، فقال في معارضته:

و ما كنت أدري بعد فاطمة العنى و لا نائبات الدهـر حتى تناءت

و مـن سوانح هذا اليوم هذه الحكمة (فلس واحد للأحباب من خير، خير من ألف في الغير)

و قلت مضمنا رسالة كتبتها لمجادة الفقيه العلامة سيدي الفاطمي الشرادي[2] جوابا عن بعض مكاتبه، و ذلك قولي:

---

[1] هو لبيت الخامس من قصيدة تائية للشاعر الشهير كثير عزة، تقع في 43 بيتا قال في مطلعها:
خليلي هذا ربع عزة فاعقلا فلوصيكما ثم ابكيا حيث حلت

[2] الفقـيه العلامة سيدي محمد الفاطمي بن الشرادي، ولد بمدينة فاس عام 1285 هـ، و بها أخذ العلم عن جملة من علمائها. من بيـنهم قاسم الرايس.، و محمد بن العربي الصقلي، و محمد بن التهامي الوزاني، ومحمد بن محمد بن عبد السلام كنون، و أحمد بن الخـياط، ومحمـد بن قاسم القادري، ومحمد بن جعفر الكتاني، و غيرهم، و كانت له بالعلامة سكيرج محبة عميقة، وروابط أخوية عريقة، وقد وقفت على عدة قصائد للعلامة سكيرج في مدح صاحبه المذكور، منها قصيدة نونية قال في مطلعها:
هلا مررت على أبي غزوان فهناك تلفي مرتع الغزلان
و مدحه كذلك بنونية أخرى قال في مطلعها:
ماذا ترى في عاشق ولهان حكم القضاء عليه بالهجران
و مدحه كذلك بقصيدة فائية جميلة قال في مطلعها:
رعى ا دهرا كان بالوصل مسعفي وأسعدني بالقرب دون تكاف
ومدحه كذلك بدالية من بحر البسيط قال في مطلعها :
إني لراض بما أحبتي فعلوا ولا أبالي بمن في حبهم عذلوا
ومدحه كذلك بقافية من بحر الطويل قال في مطلعها:
خليلي حبلي في هواك وثيق وعقلي ببحر الفكر فيك غريق
و من تآليفه: النسيم الصيفي و الروح اليوسفي، وهو حول رحلته للأعتاب الشريفة بمراكش. حيث عين قاضيا بمدينة تارودانت، ذكر فيه ما رآه وشاهده. و من اجتمع به أيام خطته ذهابا و إيابا، و منها حاشية على الشيخ التاودي على التحفة، و منها شرح لألفية ابن مالك، وتأليف في الذكاة، وغيرها. و هو رحمه ا من المقدمين لتلقين أوراد الطريقة التجانية، و سنده فيها عن العلامة سيدي الحاج محمـد فتحا كنون، وكذلك البركة سيدي محمد بن العربي العلوي الزرهوني، و له سند آخر عن العلامة القاضي سيدي حميد بناني. توفـي رحمـه ا يـوم الأربعـاء 19 صفر الخير عام 1344 هـ و دفن مع شيخه سيدي أحمد بن الخياط في زاوية سيدي يحيى بالرميلة بفاس، ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها:
أفي كل يوم تعتريك نوائب و أنت بها عما بك غائب
أنظـر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 32 و في رياض السلوان لنفس المؤلف ص 122. و في كتابنا رسائل العلامة القاضي سيدي الحاج أحمد سكيرج 35:1. و في إتحاف المطالع لابن سودة 440:2. و في معلمة المغرب 5324:16

مالـــي اصطبـــار عنكـــم لالا ولا عنكـــــم سلـــــو
يـا مـن تسامـــوا فـي العلى بتواضـع فـــــوق العلـــــو

سوانح يوم الخميس 24 ربيع الثاني 1328 هـ
5 ماي 1910 م

و فـي يـوم الخميس سنح لي أن أقيد ما سمعته من البركة عم الحاج محمد الزكاري، وذلك قـوله: من مد يده للتقبيل، و هي يده ، استحقت القطع،و من منعها و ليست يده استحق القطع. و في التقبيل تذكرت بعد جولان الفكر في تقبيل اليد قولي:

وكـم من يد ظلت ألثمها و نفسي تتوق إلى قطعها

وتذكرت قول القائل:

الماء يغسل ما بالثوب من درن و ليس يغسل قلب المذنب الماء[1]

وقـد استعملت مع الأخ الأعز سيد محمد حفظه ا قصيدة في مدح سيدنا العارف با سيدي أحمد التجاني رضي ا عنه، و ذلك بيني و بينه مساجلة فقال بيتا، وقلت بيتا إلى تمامها:

خليلـــي إن عرجـــت يومـا بحيهم فبا بلغهـم سلامـي و حيهم
و قل لهـــم إني بهـم صـرت مغرما و ما أخطؤا قلبي بأسهم رميهم
و عرفهـــم إنـــي مشـــوق إليهم وقلبي بنار الشوق يكوى بكيهم
فقـدت اصطبـاري بالجوى بعد بعدهم فيا هل ترى يسخون لي بلقيهم
يقولـون لي دعواك في الحب و الهوى ادعاء وهل ما أنت غير دعيهم
فقلـــت لهـم و ا إنـــي عاشـق لختـم جميـع الأوليا و صفيهم
سليل الرسول المصطفى خير من مضى ويعسوب أرواح النهى و عليهم
و ملجـأ كل النـاس عنـد اضطرارهم ضعيفهـم في ذاك مثـل قويهم
لـه خضعـت أهـل الولايـة عندمـا تـراءت لـه إرثا أيادي نبيهم
فعـــم الورى مـن جـــوده بوجـوده فقيرهـم مـن ذاك مثل غنيهم
وأوراده جنـــات عـــدن لأهلهـــــا ويـا فـوز من حلاهم بحليهم
وأصحابـــه قد عظـــم ا قدرهـــم وتوجهـم تـاج التجانـي وليهم
فصاروا بـدور الكـون و الكون عندهم خديـم و كل القوم تسقـى بريهم
و فيهم لسـان الشـــوق ينشـد قائلا لكـل محـب فيهـم يا ولي هم
فحـط بـــه الآمـــــال تحظ بنيلها و ترفـــع قـدرا من مراقي رقيهم

[1] أنظر هذا البيت الشعري في كتاب المستطرف في كل فن مستظرف للأبشيهي1:312.. في ترجمته للشيخ الصوفي الشهير معروف الكرخي، و ذكر أنه من جملة إنشاداته.

سوانح يوم الجمعة 25 ربيع الثاني 1328 هـ

6 أبريل 1910 م

و في يوم الجمعة اجتمعت صباحا بالأديب سيدي أحمد بن المواز[1] فقلت فيه:

جاد الحبيب بوده لمحبه ... و حباه رغما للرقيب بقربه

وفد السرور عليه عند لقائه ... وفدته منه النفس ذات بجنبه

وصفا له وقت السرور فلم يطق ... وصفا بنطق ما استكن بقلبه

عظم السرور لديه حتى كاد أن ... يضحى لديه مغيبا عن لبه

و يكاد تشبه حاله حالي لدى ... جمعي بمن نال الهدى من ربه

من صار بدر سعادة و سفيرها ... و جميع كل فضيلة من كسبه

من ذا يوازي أحمد الخلق الذي ... في المجد لم يبلغ سواه لكعبه

ما لابن مواز مواز في العلى ... لم لا و مرتبة العلى افتخرت به

نال امتيازا بالتقى عن غيره ... وتملأت كل القلوب بحبه

إني أهنيه بنيل سلامة ... حتى يحل مع السرور برحبه

وينال ما يهوى و يبقى سالما ... لمحبه و لأهله و لحزبه

يا من له الخلق الجميل ومن له ... خلق جليل و التقى من دأبه

قلبي انثنى لثناك حين سبيته ... ومن الذي منك السنا لم يسبه

لكن عجزت عن الوفاء به و هل ... مثلي يفي يوما به في كتبه

و ا أرجو أن يزيدك رفعة ... ويعد سرك من خزائن وهبه

وبه وقع ختم هذه السوانح، سائلا من المولى أن يعاملنا بفضله في الدارين. وصلى ا على سيدنا و مولانا محمد سيد الأولين و الآخرين و الحمد رب العالمين.

---

[1] أحمد بن عبد الواحد ابن المواز، فقيه أديب، من أعلام مدينة فاس: قال عنه صاحب إتحاف المطالع: العلامة المشارك، المطلع الشاعر، المبدع المقتدر، خاتمة الأدباء بالمغرب، ينظم كيف شاء و ينثر كذلك. إهـ.. أخذ عن جماعة من خيرة علماء القرويين، كالشيخ محمد بن المدني كنون، و عبد المالك العلوي الضرير، و أحمد بن الطالب ابن سودة ، وصالح بن المعطي التدلاوي، فضلا على والده الشيخ عبد الواحد ابن المواز، وهو عمدته، من مؤلفاته: رسائل النفائس الإبريزية، في هدية الفيل الوافدة من فخامة الحضرة الإنجليزية. وشرح قصيدة الوأواء الدمشقي، و المراحل السنية للأصعاق السوسية. و اللؤلؤ السني في مدح الجناب الحسني. و ديوان شعر، توفي بالرباط يوم الخميس 13 صفر الخير 1341 هـ 5 أكتوبر 1922 م. و نقل إلى مسقط رأسه فاس. وبها دفن رحمه ا .

أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب لحجي8: 2929. الأعلام للزركلي 1: 165. معجم المؤلفين لرضا كحالة 363:13. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط و سلا، للجراري2:28 - 31.

النتائج اليومية في السوانح الفكرية

للفقيه العلامة القاضي سيدي
الحاج أحمد بن العياشي سكيرج
الخزرجي الأنصاري
رحمه ا ورضي عنه

تحقيق
ذ. محمد الراضي كنون
الحسني الإدريسي

بسم ا الرحمن الرحيم وصلى ا على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما

النتائج اليومية في السوانح الفكرية

نحمدك اللهم حمد عبد قال ربي ا ثم استقام. ونشكرك شكر من اعترف بأنه لا يوفي شكر مولاه على الدوام. فنال المزيد من نعمه بمحض فضله وكرمه:

متى يوافي الفتى بشكر مولاه والشكر منه له من نفس نعماه

أعطاه توفيقه فقام يشكره على الذي منه أولاه وأعطاه

و نصلي ونسلم على الواسطة في جميع النعم التي قدرت للخلق ولم تبلغ لهم إلا على يده في الظاهر والباطن من حضرة الحق :

محمد منبع الجود الذي غمر[1] الوجود بالجود في سر و في علن

لولاه ما برزت إلى الورى نعم[2] من جود مولاهم على مدى الزمن

صلاة وسلام يشملان جميع آله وأصحابه. وكل من لاذ بجنابه. فكان من محبيه وأحبابه.

ما أقام الصلاة من عبد الله وقامت بربها الأشياء[3]

وبعد، فيقول العبد الذي لا يزال على أبواب فضله يعرج. أحمد بن الحاج العياشي سكيرج. عامله ا بلطفه الخفي. ومنحه بعوائد بره الحفي. مع أحبابه وأهل وده. وكل ذي قلب سليم من قبله ومن بعده: إن مما يغتنمه الشخص في أيام حياته. اغتنام لطائف العلم في جلواته وخلواته. وينفق في اقتنائه نفيس عمره. الذي كل نفس منه لا يفي ثمن و لا قيمة بقدره.

إنما الأنفاس من نفس الفتى أنفس الأشياء من كل نفيس

ليحافظ كل ذي عقل على نفسه فهي له نعم الأنيس

وأخسر الساعات ساعة مضت على الشخص ولم يستفد فيها فائدة تكون عليه منافعها عائدة. حتى قال بعض الأكابر: كل يوم لا أزداد فيه علما لا بورك لي فيه. وقد كنت كتبت بعض السوانح من فاتح عام 1328 هـ.

---

[1] غمر : عم وشمل

[2] نعم : جمع نعمة

[3] هو آخر أبيات قصيدة الهمزية للعارف بربه سيدي محمد بن سعيد البوصيري

كل يوم وما سنح فيه إلى اليوم 26 من ربيع الثاني من العام المذكور.فعاقتني عن تتبع السوانح اليومـية بعض العوائق. فتركتها وإن كانت كلها من الرقائق. ولم أسلك فيها مسلكا واحدا. بل سلكت مسالكا متعددة. قد جمعت منها فوائدا وفرائدا. وكنت أتمنى تتبع تلك الأيام.
ولو إلى إتمام ذاك العام. ولكن :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه تجري الرياح بما لا تشتهي السفن[1]

وقـد اتفـق لي في يوم الثلاثاء خامس عشر ربيع النبوي الأنور أن خرجت لباب الفتوح مع جماعـة من الجلة من عام ثلاثين وثلاثمائة وألف الذين لهم القدم الراسخ في العلم والمعارف والفـتوح. فكانـت من أشرف الجماعات. وساعة جمعنا من أبرك الساعات. وقد ائتلفت من شـيخنا العلامـة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس[2]. والعلامة الفاضل مقصد الحاضر والـبادي. سـيدي الفاطمـي الشرادي[3]. والشريف المنيف، العارف العفيف، سيدي الفاطمي الحمـودي[4]. والفقـيه الأمجـد، خفـيف الروح الأرشد. الأديب سيدي محمد بن عبد الواحد التونسي ابن شقرون[5]. أمنهم ا في الدارين وجمعني وإياهم في دار السلام.
فسـردت عليهم من تلك السوانح ما استحسنوه. فكان استحسانهم باعثا على جمع ما يسنح من هـذا اليوم إلى ما شاء ا من السوانح العارضة في كل يوم. بعد ما حثوا علي في ذلك بدعاء الفتح. ونيل النجح والربح. فسارعت إلى ابتدائها بهذا اليوم الذي هو من أيام هذا العيد النبوي، ليعود نفع ذلك على الجميع. فإن الآمر بالشيء كعامله. والدال على الخير كفاعله. وقد سماها الشـريف المذكـور بالنـتائج اليومـية في السوانح الفكرية، ومن ا أسأل التوفيق إلى سواء الطريق.

---

(1) هو البيت الثاني عشر من قصيدة نونية لأبي الطيب المتنبي قال في مطلعها:

بم التعلل لا أهل ولا وطن ولا نديم ولا كأس ولا سكن

(2) سبق التعريف به في ص 81

(3) سبق التعريف به في ص 148

(4) سبق التعريف به في ص 147

(5) محمـد بـن عـبد الواحد ابن شقرون التونسي، فقيه أديب، من أهل فاس، له مشاركة مذكورة في مجال القريض، خصوصا ما كان منه ذا صلة منه بالتصوف وحقائقه.

سوانح يوم الثلاثاء 15 ربيع النبوي عام 1330 هـ

4 مارس 1912 م

فمـن سوانح اليوم ما وقع السؤال عنه عن معنى السوانح. فهي جمع سانحة بمعنى عارضة. فمـا يعرض من الأمور يقال فيه سانحة. فهي كالوارد على الشخص. ويقال : في كل سانحة رابحة.

وقـد سأل العلامة سيدي الفاطمي الشرادي شيخنا بنيس عن معنى (بنيس) فقال : لعله يكون من بنس [1] إذا تأخر. وأما الأصل فهو من بلنسية. ثم أنشد قائلا : وعلى كل حال :

أبي الإسلام لا أبا لي سواه   إذا افتخـروا بقيـس أو تميم[2]

ومن فوائد السوانح أن ينظر العاقل إلى بعض ما يرد له البال في اليوم من الأمور التي تسنح لـه فـيملأ بها صحائف كثيرة. فيحصل له الإتعاظ بما لم يقيده من جميع سوانحه الخيرية أو الشرية. فيكون من معنى محاسبة النفس. وربما يجره الوارد النوراني إلى محاسبتها على كل مـا يصـدر مـنها في ذلك اليوم حتى يتمكن في مقام المحاسبة. ومن فوائدها حصول ولوع للشخص أن يتطلب في كل يوم فائدة جديدة يغتنمها في ذلك اليوم بين القوم. فلا يفوته يوم إلا وحصـل فـيه لطيفة أو لطائف. فيكون في كل يوم في زمرة طلبة العلم محسوبا. فتارة طالبا وتارة مطلوبا. ولا يخفى ما ورد في طلب العلم و الحث على تعلمه وتعليمه.

ومـن سـوانح اليوم ما أنشدته في كأس ممتلئة ماء صافيا رفعها في يده الفقيه العلامة سيدي الفاطمي الشرادي ليشربه. فظهر شعاع الشمس منه على بسيط الأرض. وذلك قولي :

انظر إلى فضة في الكأس صافية   وقـد أرتك وراها خالص الذهب

ولتشربنها هنيئا غيـر مكترث   بمن لحـاك[3] ففيها منتهى الأرب

---

[1] اختلاف أهل اللغة في لفظ بنس، فقال بعضهم بنس بمعنى تأخر، محتجين بقول ابن الأحمر:

كأنها من نقا العزاف طاوية   لما انطوى بطنها واخروط السفر

ماوية لؤلؤان اللون أودها   طـل وبنس عنهـا فرقد خضر

وقال آخرون بنس إذا قعد، محتجين بقول الشاعر : إن كنت غير صائد فبنس، بمعنى اقعد.

[2] البيت الشعري للصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنظر المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي 290:1

[3] لحاك : من الملاحاة وهي الملاومة والمباغضة

وقـد أطلعتهم على هذه القصيدة التي هي من إنشاء أديب سلا سيدي الطيب عواد[1] جوابا عن قصيدة كنت وجهتها له من فاس. وقد أنشدها شيخنا بنيس بصوت زادها به حسنا على حسن. وكان إنشادها من فيه أحسن شيء عند من قيلت فيه ونصها :

وافتكـم تمشـي على استحياء ... عذراء ترفـل في مروط[2] حياء
هيفاء لميـا لا تريـد سواكـم ... جـرت عليهـا مـن رداء بهاء
وافت لحيكـم لإحيـا ودكم ... فكأنهـا وفـد من الشفعاء
إن كـان يجدي في السفارة مرسل ... فألوكتـي[3] تغنـي عن السفراء
وافـت[4] تـؤدي ما عليهـا منكم ... من بعض حقكـم بحسن أداء
وافـت وما وفت[5] بمـا أنتـم له ... أهـل ولكن خفيـة الرقباء
مـاذا عسـاها أن تقـول وقدركم ... فوق الثناء المحـض والإطراء
با غضـوا الطرف عن تقصيرها ... بالفضـل منكم يا أخـا الإغضاء
فلأنتـم أهل لـذاك وغيـره ... والغض أضحى شيمـة الفضلاء
ولقـد دعتهـا بنـت فكركم التي ... تفـدي لطافتهـا بخير فداء
جـاءت تذكـرنا زمانا قد مضى ... في عفـة ونزاهـة وهناء
مـا أحلى مناطقهـا التي ... تستبـدل الضـراء بالسراء
أتـت الديار تجر ذيـل وصالها ... من حـي فاس البلـدة الغراء
ملكـت محبتها الجـوارح كلهـا ... واستحكمت في داخـل الأحشاء
دم يـا أبا العبـاس حلـف أخوة ... وفتـوة وسماحـة وصفاء
يـا ابـن الكرام المقتدى بسناهم ... والسالكيـن مسالـك البلغاء
لازال خدنكـم[6] على العهد الذي ... لا ينتهـي إلا ليـوم لقاء
فلـك البلاغـة والإجـادة تنتمي ... أو لسـت حامـل راية الأدباء
مـن لـي بأن أحصـي مزاياك التي ... أربت على التقديـر والإحصاء
وأنا الجديـر بقولهـم إطـرق كرا ... إن النعام لفـي قـرى الشعراء

---

(1) أنظر التعريف به في ص 169
(2) مروط : جمع مرط، وهو كساء من صوف أو خز، أو كتان يؤتزر به.
(3) ألوكتي : من الألوك والألوكة وهي الرسالة.
(4) وافت : بمعنى أتت
(5) وفت : بمعنى الوفاء بالعهد
(6) الخدن : الحبيب والصاحب

بيـن الغبـ ـ ـاوة والذكاء مراحل لا كالتـي بيـن السهى[1] وذكاء [2]
لكنـ ـه ما ليـ ـس يمكـ ـن كله فببعضه يقضـى على الغرماء
وإليكهـ ـا فكريـ ـة متياهـ ـ ـة وأراك عنهـ ـا في كمـ ـال غناء
ختمـت بمـ ـا فتحت به ثم انثنت وأتتكـم تمشـي على استحياء

وكتب معها هذه الأبيات الثلاثة في وزن القصيدة التي وجهتها له:

أتتني تجـر الذيل من ذلك المغنى[3] مرونقـة الألفاظ رائقة المعنى
فتـاة من الحي الذي افتخرت به أكابر أهل الذوق في الحس والمعنى
بديعة حسـن بالبها سبت النهى وناهيك من غيدا [4] تزيح العنا [5]عنا

ونص القصيدة التي وجهتها له وقد سنح لي ذكرها في سوانح اليوم:

سلا[6] في سلا[7]عمن سلا[8] قلبهم عنا وبوحا بما شاهدتما فـي الجوى منا
فإنكمـ ـا أبصرتـما حالنـا التـي ترق لهـا الأعـدا ومـا عنهم حلنا
أقمنا على صدق المحبـة عندهم وبعـد نواهـم[9] بالوفـاء به قمنا
فـإن أنتمـا خبرتمـا عنهـم سلوا فلا تسـلا إلا عن الطيب الأسنى
فـلا زال عـ ـوادا بخيراتـه لنـا ونحـن بـه عمـن سواه لنا استغنا
إذا مـا صفـا منـه الـوداد لنا فلا علينا إذن فـي غيره أن يحـل عنا
فقط طاب نفسا وهو في الأصل طيب وقد طاب منه الرع في الحس والمعنى
تحلـ ـى بآداب و حسـن تواضع وقد جمـع الإحسان والفضل والحسنا
فـإحسانـه عم القريـ ـب و غيـره بذاك له ترجـى الزيادة والحسنى[10]
وفـي فضله قد فـ ـاق أهـل زمانه إلى أن غـدا فوق العلا والسوى أدنى
وفي حسنه قد صار شمسـا منيرة بأنـواره للخلـق قد أشـرق الكونا
شهدنا له بالفضـل حقـا ولم تكن شهادتنـا إلا بمـا فيـه شاهدنـا
فلله ساعـات تقضـ ـت بقربـه إذا مـ ـا ذكرناهـا بلذتنـا غبنـا

---

[1] السهى : كوكب خفي من بنات نعش الصغرى
[2] ذكاء : إسم علم للشمس غير منصرف
[3] المغنى : مفرد مغان وهي الدور والمنازل
[4] غيداء : اسم بمعنى النعومة
[5] العناء : التعب
[6] سلا : بمعنى اسألا من السؤال وخففت للضرورة الشعرية
[7] سلا : مدينة مغربية مشهورة تقع على الضفة الشمالية لوادي أبي رقراق
[8] سلا : من السلو والنسيان
[9] نواهم : من النوى وهو البعد والفراق
[10] إشارة لقوله تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة

نغيب بها سكـرا لتذكار أنسنا بها بســرور ليس ننساه ما عشنا

فلم ننس أنسـا كان فيها لنا به غفـا[1] دهرنا عنهـا ونحن تيقظنا

ولم تك إلا برهــة غيـر أنها تسـاوي بها أثمان أعمارنا الثمنا [2]

وإن نحـن أنصفنـا فلا قيمة لها تقاومهـا والدهــر في مثلها ضنا[3]

أبـا أحمد هـل أنت راع عهودنا فنفـرح أو أعرضت بعد النوى عنا

فإن تـك وفق الظن فيك مراعيا لذلـك فالبشرى تحـق لنا منا

وإن تكن الأخرى ولا كان ذاك في زمان فنحـن لا نـزال كمـا كنا

فبـاللـه لا تقطـع حبال مودة بهـا بكمـال الـود منـك تعلقنا

و دم في كمال الحفظ للود حافظا محوطـا بإجـلال يديم لك الأمنا

سوانح يوم الأربعاء 16 ربيع النبوي عام 1330 هـ

5 مارس 1912 م

وفي يوم الأربعاء استعملت هذين البيتين لحدوث وارد واعظ :

المـوت أقـرب شـيء يـرى إلى كــل مرء

والعمـر فـيء [4] وعمـا قـرب يرى غيـر مرئي

وتذكرت بهما قولي من معناهما :

قـال لـي خلـي [5] عظنـي واختصـر في الوعـظ غايـه

قلـت فاسمــع يا حبيبي إن فـي المـــوت لآيــه

وقـد سنح لي أن أقيد هنا سؤالا منطقيا أورده بعض أدباء الوقت من أهل شنجيط وهو الفقيه محمد العاقب بن عبدان :

إلى منـارات علم الشرع من جعلا رب الأنـام بهم لهديـه سبلا

المذهبيـن بداء المشكـلات إذا ما كربـه بضعاف الناس قد نزلا

---

[1] غفا : نام نومة خفيفة

[2] الثمنا : من الثمن وهو نصف الربع

[3] ضن : بخل

[4] الفيء : الظل

[5] خلي : من الخل وهو الصديق والصاحب

أحبـار [1] فاس فلا زلتم تشد لكم ... رحـال من يبتغي هديا ونيل علا

من اكتسوا من حلى الإمام سيدنا ... مولاي عبـد الحفيظ الفاطمي حلى

منـي السلام ومن بعد السلام فعن ... قول الرسول الذي نمت له الفضلا

أبغي جوابا وكائن من سقيم حجى ... يخفـى عليه الـذي للعارفين جلا

إذ جاء من يشتكي داء ببطن أخ ... دامـت شكايتـه وقد سقي عسلا[2]

مضمونـه كـذب الذي به ألم ... بعيـد تصديقـه سبحانـه وعـلا

فيه شفـاء لـه كانت إشارته [3] ... ومـن إفادتـه كـل الشفـاء حلا

فالصدق في الموضعين ليس ممتنعا ... والنقص بينهما قطعـا قد انخزلا[4]

إذ آيـة المعجز التنزيـل مهملـة ... تفيـد جزءية في مهيـع النبلا

فنقضهـا بسـوى كليـة سلبت ... لدى معاشر أهل المنطق أنحظلا

و حـال ذي الداء قد أفاد شخصية ... وبين تيك[5] وتي بون [6] لدا العقلا

هـذا سـؤالي وربـي من تكرمه ... يجـزي بخيراتـه مجيب من سألا

والعلـم حتـم على ذويـه بذلهم ... بعـد السـؤال لمن للعلم قد جهلا

صـلاة ربـي وتسليـم يقارنها ... على الذي ختـم الباري به الرسلا

وقد أجابه شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس[7] نظما ونثرا، و نص النظم :

الحمـد حمـدا دام واتصلا ... والحمـد منـه على علياه جل علا

ثم الصـلاة مع السلام يانعها ... علـى نبـي الهـدى وآله الفضلا

وبعد هذا جواب عن سؤال أتى ... إشكـال منشئـه عـن فهمه حصلا

يقـول في محكم الكتاب مهملة ... يريـد فيـه شفـاء تمدح العسلا

وتيـك جزئية حكما فكيف إذن ... قد نوقضت في حديث من سقى الرجلا

وتلك شخصية ليست نقيضتها ... واستطـاع الفهم فـي فاس من النبلا

---

(1) أحبار : جمع حبر وهو العالم الصالح

(2) إشارة للحديث الصحيح الذي رواه الحافظ البخاري عن أبي سعيد الخدري، أن رجلا أتى النبي صلى ا عليه وسلم فقال : أخي يشتكي بطنه، فقال : اسقه عسلا. ثم أتاه الثانية، فقال : اسقه عسلا، ثم أتاه الثالثة، فقال اسقه عسلا، ثم أتاه فقال : قد فعلت . فقال : صدق ا وكذب بطن أخيك، اسقه عسلا، فسقاه فبرأ، رواه البخاري 2152:5 (رقم 5360) 2161:5 (رقم 5386) صحيح مسلم 1736:4 (رقم 2217)

(3) إشارة لقوله تعالى (يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس)

(4) انخزل : انقطع وحذف.

(5) تيك : اسم إشارة لمتوسط المؤنث

(6) البون : البعد

(7) سبق التعريف به في ص

أعلـم هديـت أخي للصواب ولا	زالـت سجاياك[1] تنشـي للهداة حلى
إن القضيـــة ذي ليست بمهملة	بل تلـك جزعية ما السور منها خلا
إذا تنكـر موضـــوع بموجبه	فذاك سـور لها نصا ومـا انخزلا [2]
وبعد ذا استعملوها في العموم على	نهـج المجـاز كثيرا خـذ لهـا مثلا
كتمـرة لفظهـا التنكير أفضل من	جـــرادة وكفـى مـدح لمن عقلا
وذاك وجـه وجيـه في مناقضة	لمـا بلفـظ الـذي اشتكـى بما فعلا
فـزال إشكال ما أبديت واتضحت	بـــه مقابلـة فاتـرك بـــه جدلا
ودمـت في طلـب العلوم ذا قدم	ثبت وقيـت بـه التحريـف والزللا
أهـدي لعلياكـم أزكـى التحية ما	نلتـــم سوانـا لـــدى سلطاننا حللا
وقصد عبد الكريـم باب مالكه	أولـى بـــه تـرك السـؤال أو سألا
وا يمنـح كـلا حسن خاتمة	عنـد الممـاة إذا مـا العمر قد كملا

سوانح يوم الخميس 17 ربيع النبوي عام 1330 هـ

6 مارس 1912 م

وفـي يوم الخميس، سنح لي أن أقيد هنا فائدة جليلة من فوائد إحدى صيغ الصلوات المشهورة بـين الناس في الصلاة على النبي صلى ا عليه وسلم. كان أخبرني بها سيدنا الوالد قدس ا روحـه في الجنان. وذلك أنه بلغه أن من صلى على النبي صلى ا عليه وسلم سبعمائة 700 مـرة فإنـه يراه في ليلته. وقد استعملها، وبينما هو في أثناء تلاوتها إذ غلبته عينه فرآه عليه السلام وهي هذه :

اللهم صل على سيدنا محمد صلاة تنجينا بها من جميع الأهوال والآفات. وتقضي لنا بها جميع الحاجـات. وتطهـرنا بها من جميع السيئات. وترفعنا بها أعلى الدرجات. وتبلغنا بها أقصى الغايات. من جميع الخيرات في الحياة وبعد المماة.

ولسـيدنا الوالد رضي ا عنه مرائي عديدة. وقد رءاه عليه السلام مرة مع أبي بكر الصديق رضـي ا عنه. وقال له : أنت ممن رأوا محمدا حقا. فهنيئا له بذلك. وكان مولده سنة اثنين وخمسين ومائتين وألف. وحج بالأربعاء سنة تسـع وسبعين ومائتين وألف. وجاهد في سبيل ا فـي وقعة تطوان.

[1] سجايا : جمع سجية وهي الطبيعة والخلق

[2] انخزل : انقطع وحذف

وأصيب بها بالرصاص في فخذه[1]. ومما حدثني به رضي ا عنه لما حج طلب عند المقام الشريف أن يجري ا مصالح الخلق على يده. وأن يرزقه أولاد صالحين ويكون فيهم ولي من أولياء ا المخصوصين بخصيصة النظرة ممن ينفع ا به خلقه. وكان يصرح بذلك لبعض أحبابه إذا صفا له الوقت. ويشير إلى العبد الضعيف بأن يكون هو المقصود من دعائه. كما تلمحت منه ذلك مرارا وأسمعه منه ومن بعض خاصته. حقق ا الرجاء بمغفرة الذنوب وستر العيوب آمين.

وقد كان رضي ا عنه يدعوا لنا بالرضى والهداية في سائر أحيانه. وأدى به الحال إلى كتب رسم تحبيس الرضى على أولاده بخط يمينه. وأشهد على ذلك بعدلين موديا عليها قاضي وقته. وكان كلما لقي أحدا من الصالحين ونحن معه يشهده على رضاه عنا. فجزاه ا عنا خيرا. وكان يوصينا بالرضى على أولادنا ويقول: أولاد الرضى لا يكون أولادهم إلا مرضيين. و لا يصدر عن أولاد الرضى إلا الخير. والدعاء للأولاد بالهداية أولى من الدعاء عليهم بسوء عند ضيق الصدر عليهم بما يصدر منهم أيام الصبا. والصبا جنون. ويقول : أولاد الشخص غرسه. ولا ينبغي له أن يهمل غرسه أو يقلعه من جذوره.

وكان يقول: ما يعمله الأولاد لوالديهم لا بد أن يعمله أولادهم لهم. وكان يقول: الوالدون أجفار كل ما يخبرون أولادهم به لابد أن يقع لهم ذلك. وكان يقول: في الحديث إن عبادا لو أقسموا على ا لأبرهم هم الوالدون. ويقول في التحريض على فعل الخير: من غرس شيئا يجده. وله رضي ا عنه سجية باهضة في نظم الأزجال والأوزان الملحونة المعروفة بين العامة بالعلم الموهوب. وله قصائد من ذلك ذكرت بعضها في غير هذا الموضوع. ومما كان ينشدني ما كان ينشده الإمام مالك:

خذ القناعة من دنياك وارض بها — واجعل نصيبك فيها راحة البدن
وانظر لمن ملك الدنيا بأجمعها — ما فاز منها سوى باللحد والكفن [2]

وينشدني في معنى ذلك:

كانت الدنيا لناس قبلنا — رحلوا منها وخلوها لنا
هكذا نحن نكون بعدهم — نرحل منها وياتي غيرنا [3]

---

[1] أنظر المزيد حول الموضوع في كتاب مورد الصفا في محاذاة الشفا للعلامة سكيرج بتحقيقنا عليه ص 8- 9. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1:7.

[2] سبقت الإشارة لهذين البيتين في ص

[3] البيتان للشاعر العربي المعروف باسم ذي الكفايتين، أنظرهما في كتاب قرى الضيف، لعبد ا بن محمد بن عبيد 3:222 مع تغيير خفيف في الألفاظ حيث قال :

دخل الدنيا أناس قبلنا — رحلوا عنها وخلوها لنا
فنزلناها كما قد نزلوا — ونخليها لقوم بعدنا

وقد تذكرت بها قول القائل:

يريد المرء في الدنيا خلودا　　　خلود المرء في الدنيا محال

نزلنـاهـا هنا ثم ارتحلنا　　　كـذا الدنيا نزول وارتحال[1]

توفـي سيدنا الوالد رحمه ا قرب عصر يوم الأحد رابع جمادى الثانية عام ثمانية و عشرين وثلاثمائـة وألـف. وكـان أيام مرضه يخرج ويدخل ويجتهد في الأذكار والصلاة في وقتها. خصوصـا صلاة الصبح في الجماعة في المسجد. وفي يوم موته صلى صلاة ظهره وأخبرهم بسـاعة موته وأوصاهم أن يسرعوا به للمبيت بقبره رحمه ا رحمة واسعة. ولما بلغني نعيه من فاس وكنت حينئذ بطنجة قلت :

مـاذا أراه في الاستقبال في فاس　　　وقـد فقدت بها محـل إيناسي

جزعت لما نعى الكتاب موت أبي　　　ولم أطق عنه صبرا بين جلاسي

لكـن رجعت إلى نفسي وقلت لها　　　لتصبـري ولتطيبي فيك أنفاسي

فإنـــه للنعيم قد دعـــــاه له　　　مولى كريم له فضل على الناس

وقـد كان كتب لنا قبل يوم موته بنحو يومين بخط يده المباركة مستودعا لنا وموصيا لنا قدس ا روحه[2].

ومن سوانح اليوم ما كتبته لوهران لمحل الأخ الصادق سيدي أحمد بن سيدي الحاج محمد ابن المدني القباج[3] في ضمن رسالة وذلك هذه القصيدة :

يا روح روح إلى سكان وهران　　　وبلغيهـم سلامي طول أحياني

ولتذكـري لهم شوقي لرؤيتهم　　　وما اعتراني بعدهم من أحزاني

قولـي لهم عبدكم سكيرج بكم　　　طول الدوام يبـاهي بين إخوان

---

[1] من هذا القبيل قول الشاعرة اللبنانية وردة بنت ناصيف اليازجي، حيث قالت ضمن قصيدة لامية لها :

ليـس هذي الدنيا بدار قرار　　　إنهـا دار وقفـة وارتحال

والذي عاش في الزمان فلا بد　　　لـه مـن تقلـب الأحوال

وحيـاة الدنيـا طريق يؤدي　　　نحو دار البقـاء ذات الجلال

[2] أنظـر حول هذا الموضوع في كتاب مورد الصفا في محاذاة الشفا للعلامة سكيرج، بتحقيقنا عليه ص 9-10 . وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج ج 1 ص 7.

[3] محمـد بـن المدنـي القـباج الفاسي. تاجر. استوطن مدينة وهران منذ مطلع القرن الرابع عشر الهجري. وهو من مريـدي الطريقة التجانية. وقد أثنى عليه العلامة سكيرج كثيرا في كتابه الرحلة الحبيبية الوهرانية. فقال فيه بعد كلام : ويكفـيك فيه أنه من أبناء خدام الحضرة التجانية من السادة أولاد القباج. ودارهم دار الشيخ رضي ا عنه في الحضرة الفاسـية. ينسبون إلى الشيخ رضي ا عنه بجميع ما لهم من أولاد وأهل وفرع وأصل. قد لحظتهم عين العناية فكانوا مـن خاصـة المنتسبين لهذه الحضرة التجانية. قد استغرقوا أعمارهم في حب الشيخ رضي ا عنه وحب من انتسب إليه. وهو مع إخوته وأبناء عمه وأبناء الجميع ممن يسارعون للخيرات في جلب السرور للإخوان بقدر الإمكان. وبذلك عرفناهم منذ فتحنا أعيننا في الطريق بفاس. إهـ ... الرحلة الوهرانية ص 19 .

وإن وصلـت لسـادة قبابجـة[1] فقبلي الأرض كي يرضوا عن العاني

يثنـي عليكم بمـا بين الأنام به خصصتـم من علـو القدر والشان

فقتـم سـواكم بأخـلاق مهذبـة وسدتـم غيركـم بكـل إحسـان

فأنتـم من ذوي العليـا بفاسكـم[2] وأنتم بهجـة الدنيـا بوهـران

قابلتم النـاس بالمعـروف بينكم فقابلوكـم بشكر طـول أزمـان

دركـم مـن سـادة لبسـوا ردا التقى و الحيـا في نيل رضوان

أنتم ذوو الفضـل يا إبنا الرضى المدنـي القباج فـي النـاس في سر وإعلان

إنـي وحقكم حقـا أحبكـم والحب فيكـم بـه يـزداد إيماني

أنتـم تحبون أهـل البيت قاطبة وحبكـم صح فـي كمـال إتقـان

وفـي التجاني لكـم محبة كملت ومنـه توجتـم أتـم تيجان

لا زلتـم في المعالي مرتقين على كمـال حفـظ إلـى كمـال عرفان

مسلمـا دائما عليكـم وعلى حبيـب قلبـي الحبيب من بكم عان

ذاك الحبيـب ابـن عبـد المالك[3] السنـد العالـي بأفق العلا من بين الأعيان

لـه كمـال وداد في محبتكـم حقـا وصدقـا على ممـر الأزمان

لا زال ملحوظ قدر في الورى وله كمال منقبـة في قطـر وهران

---

[1] إشارة لأسرة أولاد القباج

[2] إشارة لمدينة فاس

[3] الحبـيب بن عبد المالك، فقيه فاضل، من خيرة علماء وهران، وهو مفتيها ومقدم الطريقة التجانية بها، كانت تربطه بالعلامـة سكيرج صداقة وأخوة متينة، كما أنه أستدعاء لزيارته بمدينة وهران سنة 1329 هـ - 1911م، فلبى العلامة سكيرج الدعوة وألف حول هذه الزيارة رحلة شيقة سماها: الرحلة الحبيبة الوهرانية الجامعة للطائف العرفانية.
توفي بموطنه بوهران على الساعة التاسعة من صباح يوم السبت 11 رمضان المعظم 1359 هـ - 13 أكتوبر 1940 م. ودفن بروضة بودومة بالمدينة ذاتها. أنظر ترجمته في كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 16.

سوانح يوم الجمعة 18 ربيع النبوي عام 1330 هـ

7 مارس 1912 م

وفي يوم الجمعة سنح لي أن أقيد هنا طرفا مما يتعلق بترجمة شيخنا الولي الصالح. النور الواضح. الشريف الجليل النقيب. مولاي عبد ا بن خاتمة الحفاظ الأساتذة. سيدي ادريس بن عبد ا الودغيري الشهير بالبدراوي الحسني[1]. كان رضي ا عنه من أهل الفتح والصلاح. مشهورا بين أهل ا بالولاية والكشف الصريح. قرأنا عليه النحو والفقه والحديث. وهو أخذ الفقه عن العلامة سيدي بدر الدين الحمومي. عن الشيخ التاودي بن سودة المري القرشي. عن أبي عبد ا سيدي محمد (فتحا) جسوس. عن الشيخ المسناوي. والشيخ بناني. والشيخ بن جلون. وكلهم عن ابن الحاج. عن الشيخ سيدي محمد (فتحا) ابن عبد القادر الفاسي الفهري. والشيخ أبي العباس الأبار. وأبي عبد ا محمد بن أحمد ميارة. والقاضي أبي عبد ا سيدي محمد (فتحا) بن قاسم بن سودة المري. وكلهم عن أصحاب الشيخين المنجور والقصار. كالعارف با أبي زيد عبد الرحمن الفاسي. وأبي محمد عبد الواحد بن عاشر. وأبي عبد ا الجنان. والقاضي أبي القاسم بن نعيم. وأبي العباس أحمد المقري. بعضهم عن القصار. وبعضهم عن المنجور. أما القصار فعن سيدي رضوان الجنوي. عن سقين. عن ابن غازي. وأما المنجور فعن سقين وغيره من أصحاب ابن غازي. عن الإمام ابن غازي. عن عبد ا القوري. عن أبي موسى عمران الجناتي. عن أبي عمران العبدوسي.عن عبد العزيز القوري.عن شيخه أبي الحسن الصغير. عن أبي الفضل راشد.عن أبي محمد صالح الهسكوري. عن أبي موسى البناني. عن أبي القاسم بن بوشكوال. وأبي محمد بن عتاب. كلاهما عن أبي محمد بن أبي طالب القيرواني. عن أبي محمد بن أبي زيد القيرواني صاحب الرسالة. عن أبي بكر اللباد والإبياني ودراس بن إسماعيل والأبهري. كلهم عن يحيى ابن عمر. عن سحنون. عن ابن القاسم. عن مالك. عن نافع. عن ابن عمر. عن النبي صلى ا عليه وسلم.

---

[1] عبد ا بن إدريس البدراوي، من أعلام مدينة فاس، أخذ العلم عن جماعة من علية فقهاء القرويين، كمحمد بن عبد الرحمن الحجرتي، والوليد العراقي، وعبد السلام بوغالب وغيرهم.توفي يوم الأربعاء 29 ذي الحجة الحرام عام 1316 هـ . ودفن بزاوية الشيخ أبي يعزى بالبليدة من فاس، ونقشا على قبره بيتان للعلامة سكيرج ونصهما:

هذا ضريح العارف الأواه ... كهف الهدى مولاي عبد ا

بدر الدجى من أشرقت أنواره ... سبل الديانة عادم الأشباه

وهو من ضمن أعلام الطريقة التجانية، أخذها عن المقدم البركة سيدي عبد الوهاب بن الأحمر الفاسي، أنظر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 17. وفي كشف الحجاب، لنفس المؤلف ص 236. وفي فتح الملك العلام بتراجم بعض علماء الطريقة التجانية الأعلام، لسيدي محمد الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 68. وفي فهرسة العلامة محمد (فتحا) بن قاسم القادري ص 37. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج ج 1 ص 30 ، وفي إتحاف المطالع لابن سودة 1: 341

وعـن شيخنا المذكور قدس الله روحه روينا صحيح الإمام البخاري مرارا من أوله إلى آخره درسـا وسردا. وهو عن العلامة سيدي الوليد العراقي الحسيني. عن الشيخ سيدي حمدون ابن الحاج. عن الشيخ الطيب ابن كيران. عن الشيخ سيدي عبد القادر بن شقرون. عن أبي حفص عمـر الفاسي. عن سيدي علي الخرشي. عن سيدي عبد القادر الفاسي. عن عم والده العارف بـالله سـيدي عـبد الـرحمن بن محمد – (فتحا)- الفاسي. عن الشيخ القصار. عن سيدي رضـوان الجـنوي. عن الشيخ سقين الغرباوي. عن ابن غازي. عن الإمام السراج. عن أبيه سـيدي يحيى. عن جده سيدي أحمد. عن أبي عبد الله ابن الحاج. عن أبي جعفر أحمد الثقفي. عـن أبـي الخطاب بن خليل. عن أبي الخطاب. عن واجب. عن محمد بن يوسف بن سعادة. عن الصدفي. عن القاضي أبي الوليد الباجي. عن أبي ذر عبد بن أحمد الهروي. عن الأشياخ الـثلاثة وهـم : السرخسي. والمستملي والكشميهني. عن الفربري. عن الامام البخاري. وقد ذكـرت بعـض أسـانيده في غير هذه السانحة، توفي رحمه الله في زوال يوم الأربعاء تاسع وعشـرين ذي حجـة الحرام متم عام 1316 هـ . ودفن في يومه في زاوية أسلافه بضريح سـيدي أبي يعزي بالبليدة من فاس. وقبره متصل بقبر سيدي أبي يعزي عن يمينه. ولما دفن أراد بعـض أقاربه أن يكتب على ضريحه تاريخ وفاته واسمه ليبقى محفوظا معلوما في تلك المقبرة. فقلت في اسمه:

هذا ضريـــح العابـــد الأواه شيـخ الهـدى مـولاي عبـد الله
بـدر الدجى من أشرقت أنواره سبـــل الديانـــة عـــادم الأشباه

وقـد رثـاه جماعة من أدباء الوقت بقصائد، فمن ذلك ما قاله شيخنا العلامة الشريف مولاي ابراهيم العلوي [1] رحمه الله على لسان أخينا الفقيه سيدي محمد سكيرج [2] أمنه الله :

---

[1] أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن عمر بن اليزيد العلوي، فقيه، أصولي، أديب، من مدرسي جامع القرويين، أخذ العلم عن جماعة من فقهاء فاس، وعمدته فيهم العلامة سيدي الحاج محمد بن المدني كنون.
وهو أول من أجاز العلامة سكيرج من الفقهاء، وله تقاريض على بعض كتب العلامة سكيرج، منها تقريضه على كتاب منهل الورود الصافي بقصيدة قال في مطلعها :

شرح الصدر شرح شاف يوافي من بديع العروض صنع القوافي

وللعلامة سكيرج في مدح شيخه المذكور عدة قصائد قال في مطلع إحداها :

أما و الهوى مالي إلى غيرك الميل ولازال يغريني علـى عشقك العذل
أتزعـم أن أسلـو وأنـت جفوتني و أي فتـى بعـد التفرق قد يسلوا
سلبت الكـرى عن مقلتي وكسوتني رداء نحول ما الجفا في الهوى سهل

ولهـذا العـالم الجليل شرح نفيس على صلاة جوهرة الكمال في مدح سيد الرجال، كما له فهرسة في التعريف بشيوخه سـماها : تحلـية الأحفـاد بيواقيت الإسناد. أوحلية المفاخر بإسناد المفاخر. أو مصالح الإسعاد بما في السند من توالي الإمداد. توفي عام 1326 هـ . ودفن بروضة العلويين بالقباب خارج باب الفتوح بفاس.وهو من أهل الطريقة الأحمدية التجانـية، أنظـر ترجمته في قدم الرسوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 13. وفي اتحاف المطالع لابن سودة 1: 394

[2] سبق التعريف به في ص 20

دها[1] خطب[2] الحوادث كل نفس ... وكدر فجع هوله صفو أنسي
وأثر وقعه في القلب حزنا ... وأجرى أدمعا بعيون أنسي
وفتت أكبدا وحشى حشاها ... لظى ترمي بموج زفير نفسي
وزلزلت القلوب لشمس علم ... تكور في ترائب روض رمس
فوا أسفا لحال البدر كسف ... تناثرت النجوم نجيع بأسي
فواعجبا لدهر قد دهاني ... وأيتمني بعبد ا أمس
لقد هال المصاب وعم فجعا ... إلى الرحمن أشكو دهر نحسي
فدونك دهر إذ ما جرت فينا ... معالي لا تساومها بيأسي
وحابي من تقدمه إليها ... وبعها بيع ربح أو ببخس
فقد فقد الذي قد كان أهلا ... سليل أبي العلاء شريف أس[3]
إمام هدى لذي الأنساب يحمي ... لساحتها الكريمة شين[4] وكس[5]
سراج يا له بدر منير ... بأفق الدين مطلع عين شمس
همام في العلوم لا يضاهى ... وجامع فنها فصل وجنس
ولا سيما الحديث و علم فقه ... وتاريخ يقرره بطرس
فيا كم أغنى وأقنى ... وأحيى سنة ورسوم درس
ففي علم النحاة نحا خليل[6] ... بنحو لا تقدره بقيس
وفي علم البيان صار سعدا [7] ... وفاق فصاحة سحبان[8] قس[9]
و كان للبدور سنا بهاها ... وحلية ذي الصدور بكل جاس
رئيس جهابذ الإسلام طرا ... كريم الخلق فيهم غير شكس[10]
فخار عصابة الأشراف حقا ... وتاج جلال عزهم وحرسي
وأحرز بالنقابة خير فخر ... وأيده الإله بروح قدس
فكان إلى المعال مشيد ركن ... يقدم للعلى كإمام خمس

---

[1] دها : من الداهية وهي المصيبة
[2] خطب : مفرد خطوب وهي المكاره
[3] أس : مفرد أسس
[4] شين : مفرد مشاين وهي المعايب
[5] الوكس : النقص
[6] إشارة للعلامة اللغوي الشهير الخليل بن أحمد الفراهيدي
[7] إشارة للعلامة مسعود بن عمر التفتازاني، أحد أئمة العربية والبيان والمنطق
[8] إشارة إلى سحبان بن زافر بن إياس الوائلي، وهو خطيب عربي يضرب به المثل في البيان توفي سنة 54 هـ .
[9] إشارة إلى قس بن ساعدة، من أكابر خطباء العرب في العصر الجاهلي، توفي سنة 23 قبل الهجرة.
[10] شكس : بمعنى صعب الخلق أو بخيلا

فحـق لها تشـق عليه جيبـا ... وتنعـاه المكـارم دون لبـس

تعطلـت المناصـب إذ رزئنا ... بـه فبكسفـه آلـت لطمس

توالـى زفرنـا [1] واشتد لما ... تجلـى رفعـة من فوق رأس

مسجـى ثـوب إقبـال بجمع ... لإجـلال لـه معنى كحس

بختـم رشيـق دب يا رفيقي ... فأبدلنـي بليـن صلـب يبـس

فهل يا دهـر تقضي لي بوصل ... مع البدراوي في عرصات أنس

وتمسـح دمعتي وترينـي مثلا ... عسى به رب يجبر صدع هرس

فهيهـا أن تجـيء لـه بكفء ... جميـل شمائـل يفـدى بنفسي

فحسبـي بعـده صبـر جميل ... أجـازى عنه يـوم حلول رمسي

سقى المولى تراه سجال[2] رحمى ... وأسكنـه بفضـل حضر[3] قدس

بجـاه جـده خيـر البـرايا ... عليـه صـلاة رب عـد طيس

وآله مـا رثى الأحبـاب منشي ... دهـا خطب الحوادث كل نفس

وقال الأديب السيد محمد (فتحا) بن سيدي محمد الليراري رحمه ا :

عـلام جفون العيـن بالدم سائله ... ولم حادثـات الدهر للكل شامله

ولم زفرات النفس يربوا اشتعالها ... وما لسهام الحزن فـي القلب عامله

ولم ألسـن الأيـام تشكو نوائبا ... وتفرقـة للجمـع بعـد المواصله

ولم أوجه الأفراح أضحت عبوسة ... ومـا لأحاديـث المسـرة خاملـه

ولم انتجـت أيامنا عكس مطلب ... وكانت إلى نتـج المطالـب مائلـه

فمـاذا أرى إلا لفرقـة عالـم ... مزون[4] المعانـي من سمائه هاطله

لقـد أفزعتنـا النائبات بفقده ... وسلـت علينا سهمها وهـي صائله[5]

وقـد سلبتنا الصبـر عند حدوثها ... فمـن أجل ذا الأفكار تبصر ذاهله

وصيـرت الأحشاء من ألم النوى ... تقطـع والأجفـان بـالدم سائله

وقـد تركـت أيامنا مدلهمة ... عبوسـة وجـه للظلام مماثلـه

---

[1] الزفر : من الزفير، وهو إدخال النفس مع مده إياه

[2] سجال : جمع سجل، وهو الدلو الكبير الممتلئ بالماء

[3] حضر : بمعنى حضرة، وخففت للضرورة الشعرية

[4] مزون : جمع مزن، وهو السحاب ذو الماء

[5] صائلة : بمعنى قاهرة

فأبدت لنا عكس المؤمل والمنى | وعهـدي بها عما نؤمـل سائله
فيالـه من رزء عظيم أصابنا | فقـد زلزلت منه الحشا كل هائله
وأضحـى يواخينـا بكل ملمة [1] | فأمسـت أحاديث العزا مترسله
على فقده تبكي السما وجميع من | على الأرض إذ جوزا المكارم آفله[2]
إلى ا أشكو كيف جات مصائب | وكيف غدت شمس المعارف زائله
وكيـف اغتراب الدين بعد تأنس | وكيف بـدور العلم للخسف آيلـه[3]
فيا معشر الإسلام فابكوا تأسفا | على من حوى من كل علم مفاصله
وأيـد بالذهن السليم صحيحه | وحـرر مـن ذا المشكلات مسائله
فأرخـت له كل الفنون زمامها | وقد نشـرت طبق السعود فضائله
وقد طأطأت[4] كل المفاخر رأسها | إليـه وقـد أضحت معانيه كامله
وأحيى رميم المجد من بعد ما عفا [5] | لـذا نشـر السعـد الأغر شمائله
وأبـدى من الأسرار ما كان كامنا | وعـد احتسابـا للإلـه نوافله
وقـام دياجي[6] الليل يذكر ربه | ويطلبـه نيـل العلـى المتكاملـه
فبلغـه مأمولـه باصطفائـه | ويعظـم ربـح عنـد حسن المعامله
لذاك تسلـت نفسنـا عن فراقه | وكانـت جفـون القلـب بالدم وائله[7]
وأيقضـت الأجفـان منا حقيقة | تنبئنـا أن المقاديـر عادلـه
وأن منايـاه لأسـرار حكمـة | وما غـدت الأقـدار فـي ذاك عادله
وأن نجعـل الصبر الجميل مكانه | فـإن جميـل الصبـر خيـر مبادله
وأن نتسلـى عنـه بالعلماء من | لهـم به في التحقيق حسن مشاكله
نجوم سماء الدين والفضل والتقى | وأفكارهـم في منهـج الحق جائله
بـدور منيـرات إذا الليـل راغم | وأسـد هصورات[8] إذا الأسـد غائله [9]

---

[1] مدلهمة : شديدة السواد
[2] آفلة : غائبة
[3] آيلة : بمعنى ذاهبة
[4] طأطأت : خفضت
[5] عفا : بلي وانمحى
[6] الدياجي : مفرده دجي، وهو الليل المظلم
[7] وائلة : لاجئة
[8] هصورات : مفرده هصورة، وهي الأسود الشديدة التي تفترس وتكسر
[9] غائلة : بمعنى شريرة ومفسدة

غيوث إذا الجدب[1] الشديد مخيم ومقصدنا إذ نحن نبغي وسائله

فهـم عمـدة للكائنات جميعها لسائلهـم كـل المراد وسائله

أدامهـم الرحمن مظهر أمره وأفكارهم عن كل حق مناضله

وأيد نهج الصالحـات بنورهم وأبقـى سجاياهم لدينه حامله

كمـا نبتغي منهم دعاء بصالح وحسـن ختـام والنعيم بآجله

ولا يخفى في بعض أبيات هذين القصيدتين الإثنتين مما يعاب من الصناعة العروضية. ولكن لا بـاس بذكرهما هنا تقييدا لهما في ترجمة من قيلتا فيه. وبجوار قبره ضريح ابن عمه الفقيه العلامة المحقق سيدي محمد بن العلامة الحجة سيدي أبي النصر الوذغيري البدراوي[2]. وهذا السـيد كـان من أكابر علماء وقته. حضرنا مجلسه أيام صغرنا للتبرك به. وكان يقرأ بمسجد المنية من فاس نظم السلم في المنطق. وكنا نخرج من مكتبنا ونقف قبالته ننظر لقراءته. وكنا إذا لقيـناه يمـد لنا يديه ويقول لنا : قبلوها قبل أن تغلوا. تحريضا لنا على الأدب مع العلماء الكبار. قبل أن يفوتنا لقاؤهم بموتهم. فرحمه ا رحمة واسعة. وهو والد الفقيه العلامة النقيب شـيخنا الطـيب البكراوي[3]. قد حضرت نحو ثلاث مرات بمجلس هذا بالقرويين في الألفية. وإنني أعده من أشياخي لذلك، عملا بقول سيدي عبد العزيز الديريني :

وكـل مـن أخـذت عنه علمـا أو أدبـا فهـو إمامـي حتما

توفـي والـده المذكور رحمه ا في يوم الإثنين تاسع عشر شعبان الأبرك عام 1311 هـ . وا أسأل أن يلحقنا بهم مسلمين. غير ضالين ولا مضلين :

ومـن سوانـح اليوم ما استحضرته من لغز أديـب سلا الفقيه الوجيه سيدي الحاج الطيب عواد [1] في قمر :

---

[1] الجدب : ضد الخصب

[2] الطـيب بن أبي النصر البدراوي، من الطبقة الأولى من علماء القرويين، توفي سنة 1361 هـ ، ودفن بروضة أبي يعزى بحومة البليدة بفاس، أنظر ترجمته في اتحاف المطالع لابن سودة 2: 492.

[3] محمـد بن أبي النصر البكراوي، فقيه مشارك. من أعلام مدينة فاس. تولى قضاء مدينة الصويرة مدة غير قصيرة، توفـي عـند زوال يـوم الإثنـين 19 شعبان عام 1311 هـ، ودفن من يومه بعد أن صلي عليه عقب صلاة العصر بالقـرويين، ووري التـراب بـزاوية الشيخ أبي يعزى بحومة البليدة من فاس، أنظر ترجمته. في كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 1: 25 ، وفي اتحاف المطالع لابن سودة 1: 321

[1] الطـيب بـن أحمـد عواد السلاوي. من خيرة أدباء مدينة سلا. تلقى العلم عن نخبة من العلماء. نذكر منهم العلامة المـؤرخ أحمـد بـن خالد الناصري. وعبد ا بن خضراء السلاوي. والوالي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح.

ما اسم شيء في الدياجى مذ برق ولنـ ـا منـ ـه مقر ومرق

وإذا رمـ ـت اعتبـارا شكلـه كـان للقلب بـه جل الرمق

وقال ملغزا في كبش :

ما اسم شيء ثلاثي فيه عيش ولنـا من ربـاه لبس وفرش

وإذا مـ ـا قلبتـه كان فيه ألـة لا قتنـاص ما يستهش

سوانح يوم السبت 19 ربيع النبوي عام 1330 هـ

8 مارس 1912 م

وقـد تقلـد وظائـف مخزنية متنوعة بالموانئ المغربية. كالدار البيضاء. والرباط. والعرائش. كما كان أحد علية تجار بـلاده. ولهذه الغاية جال في مختلف دول العالم. كالشرق الأوسط. وشمال إفريقيا. وتركيا. واليونان. وما إلى ذلك من بلدان أخرى.

وهـو مـن علية مقدمي الطريقة التجانية بالعدوتين (الرباط و سلا) وله فيها قصائد وأشعار ومساجلات لطيفة. ومن شـعره هـذه الأبـيات الثلاثة التي قالها لدى توديعه الشريف البركة سيدي محمود التجاني. حين تأهبه للرحيل صوب الأقاليم الجنوبية. ونصها :

مولاي ذا القد البديع اليوسفي بردا القبول العبد عبدك شرف

واقبل هديته قبول أخي رضى والسمـع منه بالمزايا شنف

واسمح بما يرجوه طول حياته فضلا ومـن به عليه وأتحف

ولمتـرجمنا المذكـور مـؤلفات وتقايـيد مهمة. معظمها في مجال الأدب والشعر. منها : المقامة الحجازية. والمقامة المغربية. والمقامة التونسية. والمقامة التجارية. بالإضافة لديوان شعري حافل بالقصائد الجيدة ذات المستوى الرفيع.

توفـي صبيحة يوم السبت متم شهر رجب عام 1336 هـ - 11 ماي 1918 م. عن 59 سنة. ودفن بالزاوية القادرية بمديـنة سـلا. أنظـر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح. وفي أعـلام الفكر المعاصر بالعدوتين. للجراري 2: 313 . وفي إتحاف الوجيز للدكالي 180. وفي اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب المولوي اليوسفي 2: 30 – 33. وفي إتحاف المطالع لابن سودة 2: 419 .

وفـي يـوم السبت سنح لي أن أقيد ما أنشدنيه الولي الصالح سيدي الأمين بلامينو الرباطي[1] لنفسه في محبوبة واسم أمتها الياسمين :

زارت على جنح الدجى عبدها تحملهـا دايتهـا الياسمين

في كفها مشموم زهر الحمى الورد و السوسن والياسمين

ومما أنشدته بالرباط ارتجالا في غيرتي على المحبوب :

وظبـي قـد تملكنـي بحسن غدوت به أرى عبدا ذليلا

أغـار عليه منه أن يرى في مرائيـه محياه[2] الجميلا

ومما أنشدنيه السيد الأمين المذكور من إنشاد الولي الصالح سيدي العربي بن السائح [1]

---

[1] الولـي الصـالح البركة. المقدم الجليل. أديب الزمان. سيدي محمد بن يحيى بلامينو الرباطي. هو أحد خاصة رفاق العلامـة الصـالح سيدي محمد العربي بن السائح. كانت تربطه به صداقة متينة. بحيث كانا لا يتفارقان إلا نادرا قليلا. فيقضـيان معظـم الوقت في الذكر والمذاكرة الجادة نهارا وليلا. وقد شكلت وفاة الولي المذكور ثقلا كبيرا بالنسبة له. نظـرا لعوامل عديدة. منها أنه سنده ومربيه وأستاذه. ومما يدل على اتساع عارضة هذا الرجل ما تطايرت به الأخبار حول صلاحه و استقامته ، مع ما عرف به من مروءة وفضل وفتح خارق، ومن شعره في هذا الصدد قوله :

نشرت هوى المحبوب بزا يمانيا وقد كان في ظل الضلوع شاميا

و ما بحت بالسر الذي سكن الحشا صبيحة نلت من رضاه الأمانيا

فجـاد بمفتـاح الكنوز لعبده وزاده تقريبـا له وتدانيا

فحـزت من السر المصون كنوزه ونلت من الفتح المبين المعاليا

فقـل لملوك الأرض تجهد جهدها فتنزع ملكا في الصدور سماويا

وله في مدح أستاذه الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح عدة قصائد. منها حائية قال في مطلعها :

جبت بلاد الشرق والغرب على مثل الإمام العربي بن السائح

نجم الهدى القطب العلا أستاذنا مـدد كـل جامـد وصادح

وله في رثائه قصيدة قال في مطلعها :

سكب الدموع على الأطلال أضناك أو حر نار الأسى والبين أفناك

وكانـت وفاتـه رحمه ا في 4 جمادى الأولى عام 1333 هـ - 20 مارس 1915 م. ودفن بمسجد سيدي الضاوي بالـرباط. أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح. وفي أعلام الفكـر المعاصـر للجراري ج 2 ص 231 – 233. وقد خصصه العلامة سكيرج بتأليف سماه : الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين.

[2] محياه : وجهه

رضي ا عنه. في ما أنعم ا به عليه من الورد الشريف :

ضلوا عن الماء لما أن سروا سحرا قومي فظلوا حيارى يلهثون ظما[2]

وا أكرمنـ ـي بالورد دونهم فقلت يا ليت قومي يعلمون بما[3]

و أنشدني أيضا :

إن الكريـ ـم الذي تبقى مودته ويكتم السر إن صافى وإن صرما

ليس الكريم الذي إن زل صاحبه أفشـ ـى عليـ ـه وقال كلما كتما [4]

وأنشدني لنفسه :

رأيت النشد يحسنه العذارى متى غنين يهدين النفوسا

وقد غنينـ ـي في شامخات فدكت بي كما دكت بموسى

ومما أنشدنيه أديب سلا المتقدم من ألغازه لغزه في الرأس قال :

---

[1] العلامـ ـة الولـ ـي الصالح سيدي محمد العربي بن محمد بن السائح الشرقاوي العمري، فقيه، محدث، مفسر، أديب، صوفي، أحد مشاهير رجالات الطريقة الأحمدية التجانية بالمغرب، ولد بمكناسة الزيتون في فجر يوم عيد الأضحى من عام 1229 هـ .

أخـ ـذ رحمـ ـه ا العلم عن جماعة من أجلة علماء المغرب في عصره منهم : العلامة الوليد العراقي الحسيني، و عبد القادر الكوهن، والهادي بن الشافعي المكناسي، المعروف ببادو، وغيرهم.

ولـ ـه رضـ ـي ا عنه مؤلفات كثيرة منها : بغية المستفيد لشرح منية المريد، وشرح لامية البوصيري، وشرح صلاة الفـ ـاتح لما أغلق، وتعليق على الهمزية، وتعليق على بردة المديح للبوصيري، وشرح للقصيدة الخزرجية، وتعليق على الشـ ـمائل الترمذية، وطرر على شرح النووي على الأربعين النووية، وتفسير لقوله تعالى: { وما كان ا ليعذبهم وأنت فـ ـيهم } ، وكـ ـتاب السعادة الأبدية في الأذكار التجانية الأحمدية، ورحلة عجيبة أبدى فيها وأعاد، وعدة ختمات لصحيح الإمام البخاري.

توفي رحمه ا ليلة الأحد في الساعة الحادية عشر 29 رجب الفرد الحرام عام 1309 هـ وتولى الصلاة عليه بالمسجد الأعظم بالرباط العلامة سيدي أحمد بناني الرباطي، ودفن برياضه الفائح، وهو المحل الذي كان يجلس فيه عند مجالسه الحديثية.

أنظـ ـر تـ ـرجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 44، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقـ ـم الترجمة 137 وفي كشف الحجاب للعلامة سكيرج ص 313، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 2 ص 40-124 وفي الأزهار العطرة الروائح في التعريف بمولانا العربي بن السائح للعلامة سيدي محمد الحجوجي، وهو الجزء الرابع من سلسلته الفائحة المسماة : إتحاف أهل المراتب العرفانية بذكر بعض رجال الطريقة التجانية، وأنظر الإغتباط لمحمد بوجـ ـندار ص 417 وفي إتحاف أعلام الناس لإبن زيدان ج 5 ص 429، وفي الأعلام بمن حل مراكش، لابن ابراهيم التعارجي ج 7 ص 73-76 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لإبن محم العلوي الشنجيطي رقم الترجمة 27 ، وفي أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين لعبد ا الجراري ج 2 ص 368، وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي ج 8 ص 2788، وفي الأعـ ـلام للزركلـ ـي ج 6 ص 265، وفـ ـي معجم المطبوعات لإليان سركيس 1319، وخصه العلامة سيدي محمود بن المطمطـ ـية بتألـ ـيف سـ ـماه : صبح الولاية اللائح، بترجمة عالم الطريق سيدي العربي بن السائح. وللعبد المذنب محمد الراضـ ـي كنون تأليف في ترجمته سميته : خلاصة المسك الفائح في ترجمة سيدي محمد العربي بن السائح، في ثلاثة أجزاء.

[2] الظمأ : العطش

[3] اقتباس من قوله تعالى : قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين، سورة يس الآية 27

[4] أنظر كتاب فصل المقال في شرح كتاب الأمثال 1 : 60، مع تغيير خفيف في الألفاظ و نصهما :

إن الكريـ ـ ـ ـم الـ ـذي تبقى مودته ويحفظ السر إن صافى وإن صرما

ليس الكريـ ـم الذي إن زل صاحبه بث الذي كـ ـان من أسراره علما

ما اسم شيء يعلو الجبال الرواسي		وهو منها وفيه بعض احتراس
مستديـر يعلوه قهـرا سـواد		وبيـاض ومنه أس الأساس

وقال ملغزا في الكرسي :

ما اسم شيء يسرك الآن قلبه		وصـدا حملـه القلـوب تحبه
كـر في صـدره إذا ما تلاه		شطر سيان وامتطى الدهر حبه

سوانح يوم الأحد 20 ربيع النبوي عام 1330 هـ
9 مارس 1912 م

وفـي يـوم الأحد سنح لي أن أقول : إن أولى الناس بالإنصاف من نفسه طالب العلم. فيبادر لأداء مـا علـيه لغيره من التباعات. ولا يماطل أهل الحقوق في حقهم. ولا يطمع فيما في يد الناس. ويعمل المعروف مع كل أحد. ويعامل الناس معاملة جد في جميع أموره. إلا في بعض ما يروح به نفسه في بعض الأحيان فقد قيل :

أرح طبعك المكدود بالجد ساعة		يجـم و علله بشيء من المزح
ولكـن إذا أعطيته المزح فليكن		بمقدار ما تعطي الطعام من الملح[1]

ولا شـك وأن الطالب للعلم إذا اتصف بمثل هذه الأمور التي هي من أوصاف المروءة الدالة علـى كمال المرء في الفتوة بصيانة جانب العلم الشريف. المصون جانبه عن الإهانة لحلوله بالمقـام المنـيف. وهـو في نفسه على كل حال لا يهان. وتعرض أهله للمذام به يحصل لهم الهوان. وقد صدق الجرجاني في قوله :

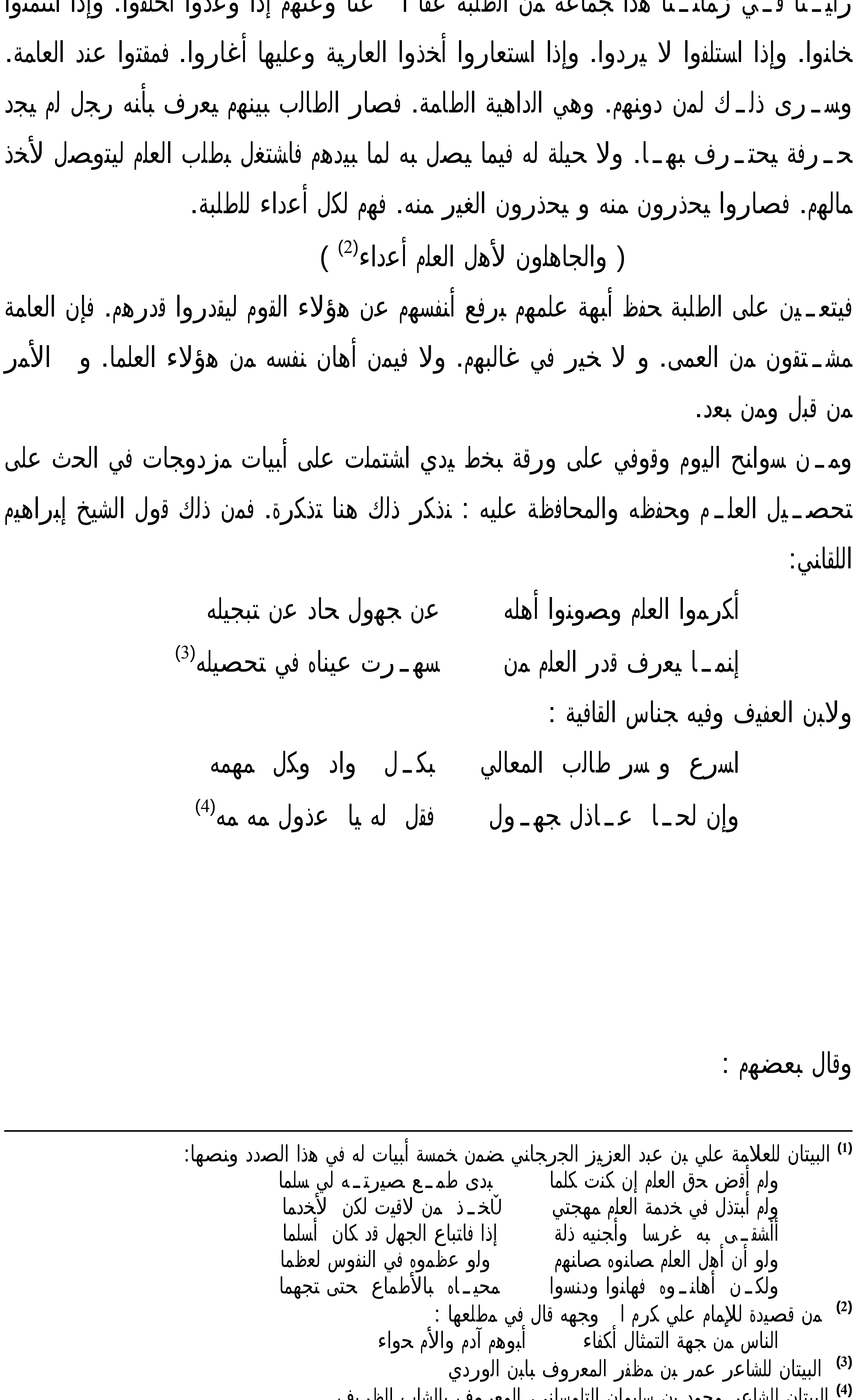
ولو أن أهل العلم صانوه صانهم		ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكن أهانوه فها نوا ود نسوا		محيـاه بالأطماع حتى تجهما[1]

---

[1] البيتان للشاعر الشهير أبي الفتح البستي

المـزح و الدعابـه		مـن شيـم الصحابـه
فإنـه فـي الخلـق		عنـوان حسـن الخلق
تولـي بـه السـرورا		خليلـك المصـدورا
فـامزح مزاح من قسط		وكـن علـى حد وسط
واجتنـب الإيحاشـا		ولاتكـن فحاشـا
فـالفحـش فـي المزاح		ضـرب مـن التـلاح
يجـر للسخيمـة		والظنـة الوخيمـة
وجانـب الإكثـارا		وحـاذر العثـارا
فكثـرة الدعابـة		تـذهـب بالمهابـه



رأيـنا فـي زمانـنا هذا جماعة من الطلبة عفا ا عنا وعنهم إذا وعدوا أخلفوا. وإذا ائتمنوا خانوا. وإذا استلفوا لا يردوا. وإذا استعاروا أخذوا العارية وعليها أغاروا. فمقتوا عند العامة. وسـرى ذلـك لمن دونهم. وهي الداهية الطامة. فصار الطالب بينهم يعرف بأنه رجل لم يجد حـرفة يحتـرف بهـا. ولا حيلة له فيما يصل به لما بيدهم فاشتغل بطلب العلم ليتوصل لأخذ مالهم. فصاروا يحذرون منه و يحذرون الغير منه. فهم لكل أعداء للطلبة.

(والجاهلون لأهل العلم أعداء[2])

فيتعـين على الطلبة حفظ أبهة علمهم برفع أنفسهم عن هؤلاء القوم ليقدروا قدرهم. فإن العامة مشـتقون من العمى. و لا خير في غالبهم. ولا فيمن أهان نفسه من هؤلاء العلما. و الأمر من قبل ومن بعد.

ومـن سوانح اليوم وقوفي على ورقة بخط يدي اشتملت على أبيات مزدوجات في الحث على تحصـيل العلـم وحفظه والمحافظة عليه : نذكر ذلك هنا تذكرة. فمن ذلك قول الشيخ إبراهيم اللقاني:

أكرموا العلم وصونوا أهله عن جهول حاد عن تبجيله

إنمـا يعرف قدر العلم من سهـرت عيناه في تحصيله[3]

ولابن العفيف وفيه جناس القافية :

اسرع و سر طالب المعالي بكـل واد وكل مهمه

وإن لحـا عـاذل جهـول فقل له يا عذول مه مه[4]

وقال بعضهم :

---

[1] البيتان للعلامة علي بن عبد العزيز الجرجاني ضمن خمسة أبيات له في هذا الصدد ونصها:

ولم أقض حق العلم إن كنت كلما بدى طمـع صيرتـه لي سلما

ولم أبتذل في خدمة العلم مهجتي لأخـذ من لاقيت لكن لأخدما

أأشقـى به غرسا وأجنيه ذلة إذا فاتباع الجهل قد كان أسلما

ولو أن أهل العلم صانوه صانهم ولو عظموه في النفوس لعظما

ولكـن أهانـوه فهانوا ودنسوا محيـاه بالأطماع حتى تجهما

[2] من قصيدة للإمام علي كرم ا وجهه قال في مطلعها :

الناس من جهة التمثال أكفاء أبوهم آدم والأم حواء

[3] البيتان للشاعر عمر بن مظفر المعروف بابن الوردي

[4] البيتان للشاعر محمد بن سليمان التلمساني، المعروف بالشاب الظريف

العلم زين وتشريف لصاحبه فاحفظ هديت فنون العلم والأدبا

العلـم كنز وذخرلا نفاد له نعم القرين إذا ما صاحب صحبا[1]

وقال أبو جعفر أحمد بن الزيات الخطيب المتصوف :

يقـال خصال أهل العلم ألف ومن جمع الخصال الألف سادا

ويجمعها الصلاح فمن تعدى مذاهبـه فقد جمع الفسادا[2]

ولبعضهم :

عليك بالحفظ بعد الجمع من كتب فـإن للكتـب آفـات تفرقها

المـاء يغرقهـا والنار تحرقها والفار يخرقها واللص يسرقها[3]

وقال بعضهم وقد أجاد غاية في تلميحه لقاعدة أصولية في تقديم المانع على المقتضي :

قالوا فلان عالم فاضل فأكرموه مثل ما يقتضي

فقلت لما لم يكن عاملا تعارض المانع والمقتضى[4]

ومن معنى البيتين قبلهما :

إذا لم تكن حافظا واعيا فجمعـك للكتـب لا ينفع

أتنطق بالجهل في مجلس وعلمك في البيت مستودع[5]

ولبعضهم :

الذل في طلب الإفادة عزة فاحرص على نيل الإفادة ترشد

إن التعزز في الذي تحتاجه كبر و كبر المرء أقبح مقصد[6]

وقال آخر :

---

[1] البيتان لأبي الأسود الدؤلي من قصيدة قال في مطلعها:
العيش لا عيش إلا ما اقتصدت فإن تسرف وتبذر لقيت الضر والعطبا

[2] أنظرهما في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري 6: 120. وهما لأبي جعفر ابن الزيات

[3] أنظرهما في كتاب قرى الضيف لعبد ا بن محمد بن عبيد 4 : 493

[4] البيتان للعلامة ابن دقيق العيد ونصها في رواية أخرى :
قالـوا فلان عالـم فاضل فأكرمـوه مثلما يرتضي
فقلت لمـا لو يكن ذا تقى تعارض المانع والمقتضي

[5] ذكرهما صاحب كتاب روضة العقلاء، لمحمد بن الحسن البستي 1: 38 في أبيات قال فيها :
أمـا لو أعـي كل ما أسمـع وأحفـظ مـن ذاك ما أجمع
ولـم أستفـد غيـر مـا قد جمعـت لقيل هـو العالـم المقنع
ولكـن نفسـي إلى كل شـيء مـن العلـم تسمعـه تنزع
وأحضـر بالجهـل فـي مجلـسي وعلمي في الكتب مستودع
فـلا أنـا أحفظ ما قد جمعـت ولا أنـا مـن جمعه أشبع
ومـن يـك في علمـه هكذا يكـن دهره القهقرى يرجع
إذا لـم تكـن حافظـا واعيـا فجمعـك للكتـب لا ينفع

[6] أنظرهما في كتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري 8: 135 ونسبهما فيه للشاعر ابن ليون

كل علم يكون للمرء شغلا بسوى الحق قادح في رشاده

فـإذا كـان فيه حظ فهـو ممـا يعـده لمعاده[1]

و لبعضهم :

خليلي لا تكسل ولا تهمل الدرسا ولا تعط طوعا في بطالتها النفسا

ولا تترك التكرار فيما تريـده فمن تـرك التكرار لابد أن ينسى

ومن معنى ما تقدم :

قالت مسائل سحنون لقارئها بالكد تدرك مني كل ما استترا

لا يدرك العلم بطال ولا كسل ولا ملول ولا من يألف البشرا

ولبعضهم :

ليس في الكتب والدفاتر علم إنما العلم في صدور الرجال

كل من يطلـب العلوم فريدا دون شيخ فإنه في ضلال[2]

ومن معناهما :

رأيتـك مشغوفـا بجمع دفاتر وخير من الجمع اجتهادك في الحفظ

فما العلم إلا ما وعى الصدر حفظه وبـاح به عند المشاهـد باللفظ

فكـن واعيا مـا في الدفاتر حافظا وإلا فمـا في جمعها لك من حظ[3]

و در القائل :

إذا ما المال لم يقرن بعلم فليت المال في درك السعير

هب الدنيا لك اجتمعت جميعا أترضى أن تكون مع الحمير

ووقفت على قول القائل :

قد كنت أحسب ذا العلا من حاز علما واستفاد

فـإذا الفقيه بغيرما ل كالخبـاء بلا عماد

---

(1) انظـرهما فـي كـتاب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، للمقري 8: 287 ونسبهما فيه للشاعر أبي عبد ا الجلياني.

(2) وقفت للشاعر محمد الهلالي المتوفي سنة 1311 هـ على تخميس لهذين البيتين ونصه :

كن مفيدا أخاك أو مستفيدا منه تزدد هدى ورأيا سديدا

واتخذ مرشدا لتغدوا رشيدا كل من يطلب العلوم فريدا

دون شيخ فإنه في ضلال

أخذك الفضل من ذوي الفضل غنم ومـن الغـير فهو بالغيب رجم

لا تقـل حسبنـا سطـور ورقم ليس في الكتب والقراطيس علم

إنما العلم في صدور الرجال

(3) يعارض هذا قول العلامة الشاعر محمد بن اسماعيل الحسني الكحلاني المعروف بالأمير الصنعاني :

طعمت حلاوة الأشياء طرا فلا شـيء ألذ من السكوت

وخير مجالس الدنيا جميعا مجالسة الدفاتر في البيوت

شـــرف الفتـــى ببـداره　　　إن الفقيـر أخـو الجماد[1]

ومن معنى ما قبلهما :

لو كنـت فـي علم موسـى　　　وزهـد عيسى بـن مريم

ولـم يكـن لـك مـــال　　　لم تسـو في الناس درهم

و در القائل :

يجمع المـرء ثم يترك مـا يجمـع من كسبه لغير شكور

ليس يحظـى إلا بذكر جميل　　　أو بعلـم من بعـده مأثور[2]

ولابن جابر وقد أجاد :

يا صاحـب المـال ألم تستمـع　　　لقولـه ما عندكـم ينفد

فاعمـــل بـه خيرا فوا ما　　　يبقـى ولا أنت به مخلد[3]

وقـال آخـر :

إذا كنت ذا مال ولم تك منفقا　　　فأنـت إذن والمقتـرون[4] سواء

على أن للأحوال يوما تباعة　　　علـى أهلهـا والمقتـرون براء

ولبعضهم وقد أجاد :

النـار آخـر دينار نطقت به　　　والهم آخر هذا الدرهم الجاري

والمرء بينهما إن لم يكن ورعا　　　معذب بين ذاك الهم والنار [5]

ومن معناهما :

إن المذمـة والحسـاب كلاهما　　　قرنا بهذا الدرهم المذموم

شغـف الأنـام بذمه وبضمه　　　فلتعجبوا لمذمم مضموم

---

[1] ذكـرها صاحب كتاب نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب 5 : 135، ونسبها للقاضي أبي موسى بن عمران مع بيتين آخرين. ونص الجميع :

ما للتجـــارب من مدى　　　والمرء منها في ازدياد

قد كنت أحسب ذا العلا　　　من حاز علما واستفاد

فإذا الفقيه بغير ما　　　ل كالخيـام بلا عماد

شرف الفتى بنضاره　　　إن الفقير أخو الجماد

ما العلـم إلا جوهر　　　قد بيع في سوق الكساد

[2] ذكرهما صاحب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 7: 161 . ونسبهما فيه لأبي منصور أسعد النحوي

[3] ذكرهما صاحب نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب 3: 434 ونسبهما فيه لأحمد بن علي الهروي المعروف بابن جابر.

[4] المقترون : مفرده قاتر، وهو البخيل الذي يضيق على عياله

[5] البيتان للشاعر الشهير أبي الفتح البستي، وهما من بحر البسيط

ومن أحسن ما قيل :

لتتب وادع ذا الجلال بصدق　　　تجد ا　للدعاء سميعا
لا تخف مع رجاء ربك ذنبا　　　إنه يغفر الذنوب جميعا[1]

ولبعضهم :

ولا تسألن امرىء حاجة　　　يحاول من ربه مثلها
فيتـرك ما كنت كلفته　　　ويبـدأ بحاجته قبلها

وللإمام ابن عربي قدس سره :

اجـن الثمـار فإنمـا　　　غرسـت لكي تجنيها
وكل اللبابة وارم بـ ـالـقشـ ـ ـر الـذي يبديهـ ـا

ومما قيل وهو من النصائح المسداة لذوي العلم :

اعكـف على العلـم وادرس　　　تـوتـي فخـار النبـوه
فـ ـا قـال ليحيـ ـ ـى　　　خـذ الكتـاب بقـوه[2]

سوانح يوم الإثنين 21 ربيع النبوي عام 1330 هـ
10 مارس 1912 م

وفـي يـوم الإثنـين سنح لي أن أقيد من معنى ما تقدم قول القائل في التلميح الى ما ورد في الحديـث : إن الحكمـة تزيـد الشريـف شرفـا، وترفع درجة المملوك حتى تجلسه مجالس الملوك[3] وهو :

رأيت العلم صاحبه شريف　　　ولـو ولدتـه آبـاء لئام

---

[1] البيتان للشاعر عبد العزيز بن سرايا، المشهور بصفي الدين الحلي

[2] من هذا القبيل قول الشاعر لسان الدين ابن الخطيب :

رفعت قصة اشتقاقي ليحي　　　فزوى الوجه رافضا للفتوه
ورمى بالكتاب ضعف اهتبال　　　قلت يحي خذ الكتاب بقوه

ومنه أيضا قول الشاعر شهاب الدين الخلوف :

يا رسولي بلغ كتابي إلى من　　　أحرز البأس والندى والفتوه
وإذا صرت في رحيب حماه　　　قل ليحي خذ الكتاب بقوه

[3] أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم 1: 18، عن عمرو بن حمزة، عن صالح المري، عن الحسن، عن أنس بن مالـك مـرفوعا. وانظـره أيضا في حلية الأولياء 6: 173، وفي دخيرة الحفاظ لابن القيسراني 1: 866. وفي الجامع الصغير للسيوطي، وعزاه فيه لأبي نعيم في الحلية، وابن عدي في الكامل.

وليس يزال يرفعه إلى أن   يعظـم قدره قوم كرام[1]

وفي قوله ليس يزال هنا. ليس بمعنى (لا)، وقيل وقد صدق فقد قل علمنا وطال ادعاؤنا :

إذا فاض علم المرء قل ادعاؤه   وإن قل منه علمه طال وادعى

ترى الغصن من حمل الثمار مثاله   وإن قل من حمل الثمار ترفعا

ومن النصائح لطالب العلم :

إذا لم يذكـر ذو العلوم بعلمه   ولم يستفد علما نسي ما تعلما

فكم جامع للكتب في كل مذهب   يزيد مع الأيام في جمعها عمى

وقد أجاد القائل :

علمـي معـي حيثما يممت ينفعني   قلبـي وعاء له لا جوف صندوق

إن كنت في البيت كان العلم فيه معي   أو كنت في السوق كان العلم في السوق[2]

وقد أجاد بعضهم في قوله الذي بناه على جناس القافية. وفيه نوع من رد العجز على الصدر في وصف محبوبه وهو :

كليـل اللحـاظ عـن العاشقيـن   دلالا ولـو كـل مـا كلما

رمـى القلب فـي نار هجرانـه   ولـم يقتدر قدر مـا قد رمى

وسلـم مـا رمـت من وصله   ولكنـــه سـل ما سلما

وقـدم فـي الحب إحسانه   علـى أنـه قـد ما قدما

وحطـــم جسمـي بأسقامـه   فياليتـه حـط مـا حطما

وضـرم نـار الجوى في حشا   ي عمـدا فقـد ضر ما ضرما

وحـرم قلبـي بـرد الوصا   ل تيهـا فيـا حر ما حرما

وأعدمنـي الصبـر هجرانـه   فيـا ليتـه عـد ما عدما

ومما وجدته منسوبا لابن هشام في معاني اللام متغزلا :

لام العـذار لتوكيـد الهوى خلقت   أم للتعجـب مما ذقته مشقت

أم لابتـداء صبابـة المتيم أم   للملك مهجته بالعين إذ رمقت

---

[1] البيتان للشاعر منصور بن اسماعيل الفقيه قالهما في مطلع ثمانية أبيات له من بحر الوافر، وتتمتها كالتالي :

ويتبعونه فـي كل امر   كراع الضأن يتبعه السوام

ويحمـل قوله في كل أفق   ومن يك عالما فهو الإمام

فلولا العلم ما سعدت نفوس   ولا عرف الحلال ولا الحرام

فبالعلم النجاة من المخازي   وبالجهل المذلـة والرغام

هو الهادي الدليل إلى المعالي   ومصباح يضيء به الظلام

كذاك عن الرسول أتى عليه   من ا التحية و السلام

[2] البيتان للإمام الشافعي رحمه ا

أم لاختصاصي بنيـل من لواحظه	أم لاستغاثـة قلبـي منه إذ رشقت
أم للإضافـة مـن ذلي لعزته	يا ليت شعـري أم للعهد لو صدقت
أم ذي لتعريف وجدي أم لجحد دمي	خير له من مجـازي أدمعي استبقت
أم ذي لتعليـل قلبـي بالزيارة أم	للأمر إن تسكـب العينـان فاندفقت
أم تلـك للقسـم المبرور من دنف	أم ذي لعاقبـة فـي الغيب قد سبقت

سوانح يوم الثلاثاء 22 ربيع النبوي عام 1330 هـ

11 مارس 1912 م

وفي يـوم الثلاثاء خرجت مع شيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس. لعزيب[1] الأخ فـي ا العلامة الفاضل سيدي الفاطمي الشرادي بطريق صفرو. فظللنا معه فيه في كمـال نشـاط وارتياح. ونزهة بها انشرح صدرنا أتم انشراح. وقد وجدنا هناك شخصا عنده بيزان بقصد الإصطياد بها. وقد جعل على رأس كل باز غلافا يستر عينيه. فسألناه عن كيفية الإصـطياد بهـا. وعن تناسله وتربيته. فذكر أنه يأخذ الباز بيده حين يرى الصيد من الطيور التـي يريد القبض عليها ثم يطلقه من يده. بعد أن يزيل الغلاف عن عينيه. فيرى الطائر الذي أريـد اصـطياده بعـدما يطير إلى عنان السماء حتى لا يكاد أن يظهر. ثم ينزل منصبا إلى الأرض. ثـم يقـوم إلـى الطائر ولا يفلته. وإذا أراد صاحبه أن يأتي إليه رمى إليه ببعض الطـيور التـي افترسها فيأتي إليها ولو طار إلى أفق السماء. وينزل عليها فيأتي إليه صاحبه ويقبضه.

ومـن العجب أنه لا يعض قابضه. ولا من يريد قبضه. ولو لم يكن صاحبه. وأما تربيته. فإنه يصـطاد ويقابل بالتربية على كيفية خصوصية بإطعامه اللحم إلى أن يصير يصطاد به. وأما توليده فلا يحصل منه تناسل إلا في قنن الجبال المتوحشة. أو أجراف البحر التي لا يصل إليها أنفاس الإنسان. ثم يصطاد ويربى على اليد. وأنثاه أقوى من الذكر وأسخر منه في الإصطياد. ومما تذكرته هناك تذكرة وموعظة قول القائل :

أنبئـت أن البـاز صـاد مرة	عصفـور بـر ساقـه المقدور
فتكلـم العصفور تحـت جناحه	والطيـر منقـض عليـه يطير
مـا في ما يغنـي لمثلـك أكلة	ولئـن أكلـت فإننـي لحقير
فتبسـم البـازي المـدل بنفسه	عجبـا و أفلـت ذاك العصفور

[1] العزيب : يطلق في الدارجة المغربية باسم الضيعة

ومما أنشدنيه شيخنا العلامة بنيس في هذا اليوم من حفظه قول الأديب سيدي محمد بن المعطي المسطاري المكناسي[1] هذه الأبيات التي استعملها ونقشت في بيت دارهم بفاس ونصها :

شاهـد رعاك ا طالع أسعد   في أفقـي الباهـي البهيج العالي

تجـد المنـى والأمن والتيسير و الـ ـفتح المبيـن وغاية الآمال

وإذا ظمئت فها ينابيع الصفا   تروي الصـدا بمعينها السلسال

فاشـرب هنيئا كل آونة فلا   أمـل يفوتـك فـ ـزت بالإقبال

وأنشـدني من إنشاء الأديب الضرير الذي كان شاع صيته. وأخذ عنه شيوخ شيوخنا بفاس بما بهرهم من حفظه. قائلا حين اجتمع به وأراد الرجوع إلى فاس :

حـي فاسا و من بأكناف فاس   والديـار التي بها طال عهدي[2]

ليـت شعري هـل الديار كما كا   نت علـى العهد أم تغيرن بعدي

ولمـا طـال جلوسـنا فـي ذلك اليوم. وتذكرنا حضور الأخ في ا الفقيه التونسي[3] وتمنينا حضوره. قلت هذين البيتين :

قالـوا لتونـس منظـ ـر   يسبـ ـي جميـع الأنفـ ـس

فأجبتهـ ـم وحياتكـ ـ ـم   إنـ ـي المشـ ـوق لتونسي

ولما رجعنا في يومنا ظهرت لنا فاس في انخفاض على طريق ظهر المهراس[4].

فتعجبت من ذلك المنظر. فقال لي الفقيه سيدي الفاطمي: إن فاسا يقال لها حفرة الحزن. وهي معروفة بهذا المعنى من قديم. فقلت في رد هذا المعنى بارتجال :

خليلي إن لي في أرض فاس   سرورا قد نفى الأحزان عني

وحقك ما وجدت الحزن فيها   فكيف يقال فيها سهم حزن

---

[1] محمـد بن محمد بن المعطي المسطاري بمكناسي، فقيه مشارك أديب شاعر. توفي ببلده مكناس في أواسط جمادى الثانية سنة 1305 هـ ، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع 2: 298.

[2] قريب من هذا البيت قول الشاعر حسن بن علي الهبل اليمني، من قصيدة دالية له قال في مطلعها :

نسيم الصبا كيف المنازل من نجد   كما كن عهدي أم تغيرن من بعدي

[3] سبق التعريف به في ص 153

[4] أصبح اليوم من الأحياء الراقية بضاحية مدينة فاس

ومـن سوانح اليوم قول الفقيه الأديب السيد علال بن شقرون[1]. ملغزا في الشاهد الذي يشهد لنفسه. ويستحق بلا يمين :

ذكـي الفكـر فـي كـل الفنون   وصـدر نجومها قطـب اليمين
فإنـي شاهـد للنفـس مالا   وأعطـوه المـراد بـلا يمين

فأجابه شيخنا بنيس أمنه ا بقوله :

لقـد أبرزت باللغـز الدفين   بنظمـك خالـص الدر الثمين
مخـدرة المحيـا وهي بدر   تغـازل وهـي كاسرة الجفون
تريـد إزالـة البرقوع عنها   ويبـدو مـا تستـر عن يقين
فهـذا شاهـد بالنـزر دينا   لنفسـه في وصيـة ذا المدين
لغيـره وهو شاهدها وليست   بخـط الشاهـد الحـر الفطين
فقـد أبدى لديـك جمالها من   يغـار على سناهـا من مهين

وفـي اللغـز مع الجواب بعض خفاء عن معنى ذلك ليرفع عنه الحجاب. فلتراجع المسألة في باب الشهادات من المختصر وا الموفق.

ومـن سوانح اليوم ما وقفت عليه في كناش من كنانيش شيخنا بنيس في هذا اليوم. فمن ذلك قول القائل :

أم القـران لمـا قرأتهـا وبـه   صح الحديث عن المختار في الأثر

---

[1] العلامـة الأديب المقدم الجليل سيدي علال بن أحمد بن شقرون الفاسي، من خيرة فقهاء فاس، اجتمع بالعارف بربه سيدي محمد العربي بن السائح مرتين، الأولى عام 1304هـ، والثانية عام 1308هـ، لكنه لم يأخذ عنه أوراد الطريقة، وتأخـر أخذه لها إلى سنة 1313 هـ على يد العارف الشهير سيدي العربي اللحياني العلمي، وأجازه فيها جماعة منهم العلامة الأديب سيدي الطاهر بن محمد التمنارتي.
له رحمه ا قصائد كثيرة في مدح الشيخ رضي ا تعالى عنه، منها قصيدة قال في مطلعها:
سعد الذي حط الرحال بفاس   في روضة المولى أبي العباس
ومن قصائده كذلك قصيدة في مدح الشيخ رضي ا تعالى عنه حين وفد التابوت التونسي المزركش للضريح الشريف، قال في مطلعها :
مـولاي هذا العبـد أصبـح لائذا   بحمـى ضريحـك يا أبا العباس
ومن أبياته التي نقشت بمقر الزاوية الميمونة بفاس قوله :
إن تـرد مـاء العيون   أو تـرد كحـل العيون
فشفـاء الصدر عندي   فأنـا عيـن العيون
فالرضـا في حسن وجهي   وبهائـي و فنونـي
وجميـع الخيـر فاقصـد   لـو يكـن فوق الظنون
مـددي مـولاي أحمـد   قطـب أقطـاب القرون
التجانـي ختـم فـي   سـره كتـم الشـؤون
فتوضـأ صـاح واشرب   دون تقديـر معـون
وإذا تقرا فـأرخ   نـور شكلـي في الجفون
توفي يوم الأربعاء 28 ربيع الثاني عام 1319 هـ ودفن بروضة درب الحرة بفاس، انظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقـيه الحجوجي بتحقيقنا عليه، رقم الترجمة 127، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف كذلك، رقم الترجمة 165، وفي رفع النقاب للعلامة سكيرج ج 1 ص 157. إتحاف المطالع لابن سودة 1: 351.

شفـع قراءتهـا لجاب مصلحة وأوترنهـا إذا ما خفت من ضرر

هي الشفـا والمثاني السبع جامعة للخير تحفـظ قاريهـا مـن الضرر

ومـن ذلـك قال سيدي رضوان بن عبد ا الجنوي رحمه ا تعالى : قال لي سيدي يوسف المديونـي [1] وقد صلى حولي يوما ورآني حين رفعت يدي للدعاء : الإبهام لا توقف منفردة بل تكون منضمة ملتصقة بالسبابة. وأنه رأى ذلك منصوصا من خط سيدي محمد بن عبد ا عن ابن مسعود رضي ا عنه بواسطة. ومن ذلك قول القائل وقد أجاد:

وحاملـة راحا علـى راحة اليد مـوردة تسعـى بلون مورد

متى ما ترى الإبريق للكأس راكعا تصلي له من غير طهر وتسجد

على الياسميـن كاللجين ونرجس كأقراط در في قضيـب زبرجـد

بتلـك وهـذي فالـه يومـك كله وعنها فسل لا تسأل اليوم عن غد

ستبـدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويا تيـك بالأخبار من لم تزود[2]

ومن ذلك قول أبي عبد ا المغيلي وقيل للقاضي المزدغي يمدح فاسا :

يا فاس حي ا أرضك من ترى[3] وسقاك من صوب الغمام المسبل[4]

يا جنـة الدنيـا التي أربت على مصر بمنظرهـا البهي الأكمل

غـرف على غرف ويجري تحتها ماء ألـذ مـن الرحيق السلسل

وقال غيره :

يا فـاس منك جميع الحسن مفترق وساكنـوك أهنيهـم بما رزقوا

أرض تخللهـا الأنهـار داخلها حتى المجالس والأسواق والطرق

---

[1] يوسـف المديونـي فقيه مشارك من أعلام مدينة فاس توفي سنة 1005هـ، أنظر نشر المثاني للقادري (موسوعة أعلام المغرب) 3: 1089.

[2] الأبيات للشاعر الشهير أحمد بن محمد المشهور بابن عبد ربه الأندلسي

[3] الترى : التراب

[4] المسبل : بمعنى الهاطل والمنهمر

ومن ذلك أن قاضي حضرة فاس الفقيه سيدي محمد الهواري[1] العلامة المشهور تداعى لديه شريفان فحكم الشرع بسجنهما. فحبسهما. فسمع بذلك الشيخ التاودي بن سودة[2] فكتب إليه:

أقاضي الورى رفقا بآل محمد ... وراع رعاك ا في حقهم جنبا

وذا سابع المولود فاطلق كليهما ... وكن تاليا إلا المودة في القربى[3]

فأجابه القاضي المذكور بقوله :

أيا عالما قد طبق الشرق والغربا ... وأبدى لنا ما يشرح الصدر والقلبا

أتانـي نظم من عـلاك مهذب ... وفي طيه عتـب وأهلا به عتبا

ولكنني في الحين لبيت أمركم ... وقد راقني إلا المودة في القربى[4]

وعلى لسان القدرة قال بعضهم :

نحن قسمنا الرزق بين الورى ... فأدب النفس ولا تعترض

وسلـم الأمـر لحاكمنـا ... فكل عبد رزقه قد فرض

---

[1] محمـد فـتحا بن الطاهر الهواري، فقيه مشارك مدرس، ولي قضاء مدينة فاس مدة غير قصيرة، له تآليف مفيدة مـنها : اليواقـيت المنثورة (حاشية على شرح قدورة على المنطق) وكعبة الجلاس، وهي أرجوزة في أنواع الجناس، وأرجوزة في علم الكلام، وأخرى في فن المنطق، إلى غير ذلك من تآليف أخرى.

توفـي صـبيحة يـوم السبت 20 محرم عام 1220 هـ ، ودفن بروضة الشيخ أنوار بحومة سيدي العواد بفاس. أنظر ترجمته في اتحاف المطالع 1: 100.

[2] أبو عبد ا التاودي بن طالب بن سودة المري الفاسي، الإمام العالم العلامة، شيخ مشائخ المغرب ومجدد سند التعليم فـي القرن الثاني عشر الهجري. كان مقدما في كل العلوم لا سيما التفسير والحديث والفقه والتصوف والكلام والمنطق والأصول.

ولـه تآلـيف كثيرة ومفيدة. توفي رحمه ا بعد عصر يوم الخميس 29 ذي الحجة الحرام، عام 1209هـ أنظر النبوغ المغربـي فـي الأدب العربي للعلامة عبد ا كنون ج 1 ص 295، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 372 رقم التـرجمة 1486، وفي فهرس الفهارس لعبد الحي الكتاني ص 256 رقم الترجمة 98 وفي الأعلام للزركلي ج 6 ص 62. وفـي الفكـر السامي للحجوي ج 2 ص 350 رقم الترجمة 777، وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي ج 7 ص 2453، وقد أفرده بالتأليف تلميذه العلامة المؤرخ الشيخ سليمان الحوات في مجلد ضخم سماه : الروضة المقصودة، في مآثر بيت بني سودة.

[3] اشارة لقوله تعالى: قل لا أسئلكم عليه أجرا إلا المودة في القربى، سورة الشورى الآية 23

[4] من هذا القبيل أيضا قول الشاعر عمر الرافعي :

حسن المودة في القربى لخير نبي ... فرض على الكل من عجم ومن عرب

فإن أكن قمت في حسن الوداد على ... عجزي لمن نعتهم قد جاء في الكتب

فإنمـا الفضـل للمولـى الكريم وللهـادي الأميـن إمـام السـادة النجب

أرجو القبـول لما قدمت من عمل ... فيه رضـــاه وفيـه منتهى أربي

عليـه والآل والأصحـاب قاطبة ... صلاة ربي تضاهـي الغيث في السحب

ومن ذلك أيضا قول الشاعر بهاء الدين الرواس من قصيدة طويلة في مدح بعض الشرفاء، قال في مطلعها :

أحيبـاب قلبـي و المحبـة دينها ... يصير مر الوجد في أهله عذبا

روينـا لكم في محكـم النص آية ... تزيد المحب المستهام بكم عجبا

وهل سأل المختار أجرا على الهدى ... لأمتـه إلا المودة في القربى

سوانح يوم الأربعاء 23 ربيع النبوي عام 1330 هـ

12 مارس 1912 م

وفـي يـوم الأربعاء سنح لي أن أقيد هنا قصيدة لطيفة لشيخنا العلامة بنيس أمنه الله في نظم البرهان اللمي على أفضلية نبينا عليه السلام المذكور في المطالب العالية للإمام الفخر الرازي ونصها :

إن الرسول طبيـب الروح في الجسد	مـن شغلها بالسوى للشغل بالأحد
وكـل من كـان في الفلاح ذا بصر	سام له الفضل بالتخصيص للأبد
وانظر لدعـوة موسى حيث خصصها	بنسـل يعقـوب بين جملة العدد
كـذاك دعـوة عيسـى مالهـا أثـر	إلا بشـيء قليـل مفـرد الصمد
للقطـع إن الذي يعـزى لـه سفه	مـن أمـر تثليثهم و الأب والولد
إذ لا يليـق بـذي جهل فكيف بمن	لـه الرسالـة والتأييـد بالمدد
ودعوة المصطفى خير الورى وصلت	لكـل قطـر بـلا ريب ولا فند
والنـاس كانـوا على أديان ذي عمه	كعـابـد النجـم أو كعابـد الصلد
بـل عم الإعراض عن حق طوائفهم	فـلا تـرى عابدا بالحق من أحد
فجاءهـم سيـد الكونيـن فانمحقت	بشمـس ملتـه غياهـب الكمـد
وعـم كـل مريـض النفـس مبعثه	فكـان أكمـل رسـل الله بالسنـد
فـاقطـع ببرهـان فضل فاق معجزة	لمـي يسلـم مهمـا حل في الخلد

والبرهان اللمي هو أن يكون الأوسط فيه علة لنسبة الأكبر إلى الأصغر دهنا وخارجا. فإن كان ذهيـنا لا خارجا فهو أخي. فيقال هنا : هذا كامل العلاج للروح. وكل ما كان كذلك فهو أفضل مـن غيره، ينتج كامل العلاج للروح أفضل من غيره. فكمال العلاج للروح علة للأفضلية ذهنا وخارجا. وهذا أبلغ من دلالة المعجزة. فإنه بها أني لا لمي. وهو بالأثر على المؤثر.

ومن سوانح اليوم ما كنت قلته في بعض المناجاة :

شكوت ولكن لست أشكو إلى الغير	لتكشـف عني مـا تكاثر من ضيري
أمـولاي قد لاقيت ما لست قادرا	على حمله من أجل هذا انقضى صبري
أناديـك والظـن الذي بي محقق	بأنـك يـا مولاي لـي كاشـف الضر
أمـولاي وارحـم عبرتي وتملقي	ببابـك إنـي دائما لـك ذو فقـر
وتعلـم يا مولاي ضعفـي وفاقتي	وصـدق رجائـي فيك مستسلم الأمر
ومـالي تدبيـر ومالـي حيلـة	لكشف الذي في الناس ضاق به صدري

سوانح يوم الخميس 24 ربيع النبوي عام 1330 هـ

13 مارس 1912 م

وفي يوم الخميس سنح لي أن أقيد سؤالا نقل من خط سيدنا القطب أبي العباس التجاني رضي الله عنه. ومعه الجواب ونص ذلك :

الحمد لله، أسأل من فضل سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبين لي عن الفاتحة : هل من ذكرها يحصل له ثواب جميع ما خلق الله من كل شيء أم لا ؟ فأجابه صلى الله عليه وسلم : اعلم أنه يحصل له أكثر من ذلك الثواب. واعلم أن جبريل أمره الله تعالى أن ينزل إلي يأمرني بتلاوتها. فنزل إلي وأمرني بتلاوتها أربع مرات. فكنت أتلوها خلف الصلوات. ومن أراد أن يستوعب الحمد والشكر لمولاه فليكثر من ذكرها. وهي التي أشرت إليها في تسبيح السيفي بقولي : حمد الحامدين وشكر الشاكرين. فبها يحمدون الله أهل الحمد. وبها يشكرون الله أهل الشكر. وأودع الله فيها نورا لو علمته ما اشتغلت بغيرها. والسلام وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه.

ومن سوانح اليوم ما كنت قلته في الحسود :

إن الحسود وإن أرضاك ظاهره	فإن باطنه يرميك بالشرر
قد سعرت ناره عليك من حسد	ولو تمكن منك صرت في خطر

ومن سوانح اليوم ما كان كتبه لي الأديب الشريف العلوي مولاي عبد السلام المحب[1] بعدما عدته فوجدته ذاهبا للحمام. فاستودعته فوجه لي قوله :

ندمت أبا العباس أي ندامة	على المشي للحمام بعد لقائكا
فما ينفع الحمام ما أنت نافعي	إذا ما سرى في الذات سر دوائكا
فيا خجلتي من وقفة لم أكن بها	أؤدي حقوقا أكدت لعلائكا
على أنني لا أستطيع أداءها	كما أنني لا استطع لأدائكا
فعفوا أبا العباس عني فإنني	أفوز ببرء إن أفز برضائكا
وإن رجائي أن تكون مشرفي	فحقق رجائي نلت فوق رجائكا

---

[1] عبد السلام المحب العلوي، أديب شاعر فقيه جليل، من أعلام مدينة فاس، برز نجمه في علوم وفنون كثيرة، وتولى الكتابة مدة طويلة على عهد السلطانين المولى عبد العزيز وأخيه المولى عبد الحفيظ، له بعض المصنفات منها : مقامتان على طريقة المقامات الحريرية.

توفي في أوائل شهر شوال عام 1331 هـ. ورثاه الأديب الكاتب محمد غريط بقصيدة قال في مطلعها :

نغالط بالآمال والحكم واجب	و نستوهب الإمهال والعمر ذاهب
ولولا أمانينا وحجب نفوسنا	عن الغيب ما لذت لدينا مشارب

أنظر ترجمته في فواصل الجمان لمحمد غريط ص 224 – 306، وفي الأعلام للزركلي 4: 7. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي أحمد سكيرج 2: 156 وفي اتحاف المطالع لابن سودة 2: 405.

فأنـت كريم بالقدوم ابتدأتني	فكمل وعـد فضلا لحسن ابتدائكا
فـإن كان اتيـان الأحبة غرة	بلا جعـل ميعـاد فذا لسوائكا
فأنـت حبيب واجب أن يكون من	عـلاه على بـال محب بهائكا
فلا تتأخـر عن زيارة مذنـف	ينال الشفا مثل الصفا من صفائكا

سوانح يوم الجمعة 25 ربيع النبوي عام 1330 هـ

14 مارس 1912 م

وفـي يوم الجمعة تذكرت ما كان أنشده لي أديب الرباط سيدي الحاج عبد القادر لوبريس [1] من إنشاد الولي الصالح سيدي العربي بن السائح [2] رضي الله عنه وذلك قوله :

تصبـر قليلا لا برحـت موفقا	عسى يفتح الباب الذي كان مغلقا
وفـوض إلـى الله الأمور مسلما	إليه تكن بالنجح في السؤل أخلقا
ولا تشمن برق الهوى فهو خلب	وكـم جاهـل قـد غره إذ تألقا

وأنشدني البركة الأمجد سيدي محمد الأمين بلا مينو[3] للسيد المذكور :

إن الخطوب إذا التقت حلقاتها	ورأى البريـة أنها لا تفرج
هبت من اللطاف الإلاهي نفحة	فجلت سحائبها وبان المخرج

وأنشدني له أيضا :

لا تنس لا ينسك الإله ما عهدا	إليك فيه وكن في الأمر متئدا

---

(1) عبد القادر لوبريس. من أفاضل أدباء مدينة الرباط. تلقى العلم عن جماعة من فقهاء وقته، من بينهم شقيقه العلامة عبد الرحمان لوبريس والعلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح.
ولـه رحمـه الله ديـوان شـعر كبيـر، و آخـر صغير. وقد جمع بعض قصائده العلامة سكيرج في كتابه المجموعة السكيرجية.
ومن ذلك قوله في مطلع قصيدة في مدح النبي صلى الله عليه وسلم :

يا عريبا حلوا سحيرا برامه	غادروا صبهم يقاسي غرامه
قد رحلتم بمهجتي وتركتم	شبحـا لائحا يحاكي القلامه
هائما في الفلا يجوب الفيافي	ويحـي كثبانـه و آكامـه
ويـؤم سباسبـا وبيابـا	وصحار تضل فيها الحمامه
إن تغنـت قمريـة حن شوقا	واستهلت دموعـه كالغمامه
وإذا هـب مـن صباها نسيم	هيجته الصبا وأذكت ضرامه

ولـه قصيدة نونية جميلة قالها في حق الشريف سيدي محمود التجاني لما وفد على مدينة الرباط. ومطلع هذه القصيدة :

مالي وللاحي يثير شجوني	ويخـال أن ملامه يغريني
أو ما درى أني أسير هواهم	وغرامهم ديني وعقد يميني

كانـت وفاتـه رحمـه الله يوم السبت 5 ذي القعدة الحرام 1332 هـ - 25 شتنبر 1914 م. ودفن بالزاوية الناصرية بمديـنة الرباط. أنظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح. وفي أعـلام الفكـر المعاصـر لعبد الله الجراري ج 2 ص 384. وفي الإغتباط لبوجندار ص 403. وفي رباط الفتح بين عاصمة شالة وعاصمة القصبة منذ ألف عام. للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله 92.

(2) سبق التعريف به في ص

(3) سبق التعريف به في ص 171

ولا يـزال دأبك الدهـر محافظة   على التقى فالتقى للعبد خير ردا

وحل بالصدق منك النطق فهو إذا   حلى به المرء نطقه فقد سعدا

وا يلبسـك الرضـى فملبسـه   يهيـع ا للفتـى به رشدا

وأنشدني الشريف البركة سيدي محمد بن الحسني الرباطي[1] لنفسه في مخاطبة الرسول ولم يقل غيرهما :

يا سيدي يا رسول ا جاهك لي   نعم الملاذ إذا ما انقطعت حيلي

أنت شفيع الورى وباب من كرما   عم الوجود وجئتك لتشفع لي

سوانح يوم السبت 26 ربيع النبوي عام 1330 هـ

15 مارس 1912 م

وفـي يـوم السبت وقفت على إجازة الشريف الأصيل العلامة الجليل سيدي جعفر بن إدريس الكتاني [2] للفقيه العلامة سيدي المدني بن علي بن جلاون [3]. وأنشد فيها قول من قال :

[1] العلامـة الأديب المقدم الفاضل البركة سيدي محمد بن الحسني العلمي الرباطي، من خيرة علماء الطريقة الأحمدية التجانـية بمديـنة الـرباط، ولـد بالمدينة المذكورة في 9 رمضان عام 1266 هـ ، وبها أخذ العلم والمعرفة، وتمسك بالطـريقة التجانية عن الولي الصالح العلامة سيدي محمد العربي بن السائح، ثم أجازه فيها جماعة من الأفاضل منهم سـيدي الغالـي بـن موسى بن معزوز السلماني الحسني، وخطيب الحرم المدني الشريف المقدم البركة العلامة سيدي إبراهيم بالي وآخرون،
وكان له ولوع كبير بمطالعة الكتب والمذاكرة فيها، وخصوصا كتب الحديث والتصوف، وكان إذا تكلم يود سامعه أن لا يسـكت، وفـي حقه قال العلامة العارف با سيدي محمد العربي بن السائح يوما لجماعة من الحاضرين : من أراد أن ينظر إلى شريف محقق نسبه فلينظر إلى هذا ، ومن أراد أن ينظر إلى أحد وجوه الجنة فلينظر إليه.
ومما وقفت عليه من شعره قوله في تقريظ كتاب العلامة سكيرج المسمى غاية المقصود بالرحلة مع سيدي محمود، من قصيدة رائية قال في مطلعها :

أعجـب لهـذا الدفتـر   ومـا حـوى مـن خبـر
أفـادنـا مـن همـة   دون علاهـا المشتـري
كأنـه نجـم سنـا   أضـاء فـي ذي الأعصر
وكيـف لا وهـو جمـع العالـم المعتبـر

توفـي رحمه ا في الساعة 11 من ليلة الأربعاء 28 رجب الفرد الحرام عام 1341 هـ، ودفن بالعلو بضريح سيدي المرينـي المقابل لضريح الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السائح، وجعلت على قبره قبة جليلة، أنظر ترجمته في فتح الملك العلام للفقيه الحجوجي بتحقيقنا عليه رقم الترجمة 147، وفي إتحاف أهل المراتب العرفانية لنفس المؤلف ج 7، وفـي كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح وفي إتحاف المطالع 2: 433. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا، للجراري 2: 115.

[2] أبـو الفضـل جعفـر بن إدريس الحسني الكتاني، فقيه جليل، صوفي، ولد بفاس عام 1246 هـ ، وبها توفي عام 1323 هـ، مـن مصـنفاته : الشرب المحتضر في رجال القرن الثالث عشر، والرياض الربانية في الشعبة الكتانية، وإعلام الأئمة الأعلام وأساتيذها بما لنا من الروايات وأسانيدها، وأحكام أهل الذمة، وغير ذلك، أنظر ترجمته في فهرس الفهـارس لعـبد الحي الكتاني ص 300 رقم الترجمة 119، وفي شجرة النور الزكية لمخلوف ص 433 رقم الترجمة 1708، وفـي الفكر السامي للحجوي ج 2 ص 367 رقم الترجمة 814، وفي معجم المطبوعات لسركيس **1545 وفي** دليل مؤرخ المغرب الأقصى لابن سودة المرى ص 67 رقم 345، وفي الأعلام للزركلي ج 2 ص 122. وفي اتحاف المطالع 1: 365.

[3] محمـد المدنـي بن علي ابن جلون، فقيه متمكن، من أعلام مدينة فاس، من مؤلفاته : الطرفة العتيقة، المهداة لخير الخلـيقة. وحديقة الأزهار، المهداة لسيد الأبرار، في التحذير من تعاطي علم الكيمياء والكنوز والنار. ونزهة ذوي العقل السليم، في بعض علوم بسم ا الرحمن الرحيم. واللآلئ اليتيمة، فيما يتعلق بالفانية العظيمة.
توفـي في منتصف شهر ربيع الثاني سنة 1298 هـ، ودفن بروضة أولاد ابن جلون بالقباب خارج باب الفتوح بفاس، أنظر ترجمته في إتحاف المطالع لابن سودة 1: 273

أجزت لمدركي وقتي وعصري رواية مـا تجـوز روايتي له

مـن المقـروء والمسموع طرا ومـا ألفـت مـن كتب مثيله

ومالـي من مجـاز عن شيوخ مـن الكتـب القصيرة والطويلة

وأرجـوا يختـم لي بخير ويرحمنـي برحمته الجزيله

وكنت أحرص الناس على الأخذ عنه. ولم أقدر على طلب الإجازة منه مشافهة تحققا من نفسي أنـي لا أستحقها. وكـنت أحضر بقصد الأخذ عنه في بعض مجالس وعظه بالقرويين بين العشـائين فهـو مـن جملة أشياخنا ولم تقع الإجازة منه لنا إلا في عموم دخولنا في الأبيات المتقدمة. وقد قبلنا هذه الإجازة العامة. ولا يخفى أن الإجازة منه سارية لمعاصريه بذلك. ولا تتحقق إلا لمن بلغته وقبلها. وها كذا شأن كل إجازة ممن يجيز أهل عصره أو من بعدهم. وإن لـم يشـترط ذلـك. وقد وقعت الإجازة كذلك من قديم. وقد فعل البوني ذلك في كتابه شمس المعارف الكبرى[1].

سوانح يوم الأحد 27 ربيع النبوي عام 1330 هـ

16 مارس 1912 م

وفـي يـوم الأحد تلاقيت مع الشيخ بن سعد. صاحب الأحوال العجيبة والأقوال الغريبة. وقد تـرجمت له في سوانح السنة الماضية حين تلاقيت معه بطنجة. وذكرت بعض ما يعتريه من أحـوال أبي نواس. وتعاطيه لبعض ما يخل بالمروءة. حتى أنه كان لا يمر عليه يوم هناك إلا ودخل للحان مرارا. وقال : اسقني أيها الخمار جهارا وينشد :

ألا فاسقني خمرا وقل لي هي الخمر ولا تسقني سرا إذا أمكن الجهر[2]

ويعلن بالمجون إعلانا. ولا تراه غالبا إلا سكرانا. وذكر لي أنه يصرف في ذلك أثمانا. قائلا : إنه بمجرد ما يصل إلى فاس تحصل له توبة نصوح من تعاطي الكاس. ويجد في نفسه شوقانا لفعـل الخيرات. وبمجرد خروجه من فاس تميل نفسه للشهوات. ولا يقدر على منعها من ذلك في وقت من الأوقات.

---

[1] شمس المعارف ولطائف العوارف، للشيخ أحمد بن علي البوني، قال في مقدمته : والمقصود من هذا الكتاب أن يعلم بـذلك شـرف أسماء الله تعالى، وما أودع في بحرها من أنواع الجواهر الحكميات، وكيف التصريف بأسماء الدعوات، وتابعهـا من حروف السور والآيات، يتصل بها الحضرة الربانية من غير تعب، وما يتوصل بها إلى رغائب الدنيا، ثم لخصه وسماه : تيسير العوارف في تلخيص شمس المعارف.

[2] البيت للشاعر أبي نواس، قاله في مطلع قصيدته رائية من بحر الطويل

وله مضحكات من الأدبيات. ومجونات مسليات. ومما أنشدنيه في هذا اليوم :

وإذا جلسـت لبولـة فـارفع ثيابـك مـن ورا
لا تأمنـن لفسـوة فاربمـا سبـق الخـرا

وفـي هـذا اليوم ورد علينا جواب من محبنا في ا ذي الهمة العالية والصدر السليم والظن الجميل أبا المكارم سيدي محمد بن الغربي الرباطي [1]. وأنشدنا فيه من محبنا في ا العلامة الفاضل العارف الواصل أبي محمد عبد ا التادلي [2] قائلا في خطابنا :

تحيـة كالمسـك و العنبر لمستحـق الصـدر والمنبر
يسقيك من تسنيمها ما كفى كفايـة الـرواء بالكوثر
وأنـت يـا أحمـد ساقيهم في نهجة مـن وجهك الأنور

وكتـب بخطه السيد التادلـي المذكور يخاطبني على لسان العارف بربه سيدي محمد الأمين بلا مينو:[3]

---

[1] محمد بن محمد الغربي الرباطي، فقيه مشارك صوفي جليل، من مريدي الطريقة التجانية، أخذها عن العلامة الولي الصـالح سيدي محمد العربي بن السائح، وقد كانت له بالعلامة سكيرج صداقة وأخوة متينة، حيث وقفت في هذا الصدد على مجموعة من رسائله التي بعثها للعلامة المذكور، منها رسالة قال في مطلعها :

أيا راحليـن للربـاط فبلغـوا سلامي إلى المولى الرضى السيد الغربي
محب التجاني المرتقي في العلا على سواه محـل السـر من سيدي العربي
محمـد الغربي الرضى من بصدقه وحسـن اعتقاد فيـه قد ساد في الغرب
فأضحـى لدى أهـل العلاء مبجلا وأمسـى فريد العصر في العجم والعرب
فبـا منـي بلغـوه تحيتي ليحملهـا منـي إلى صادقي الحب

أنظر الزرابي المثوثة للعلامة سكيرج 87.

[2] الولي الصالح المقدم البركة العلامة سيدي عبد ا بن محمد التادلي الرباطي. فقيه. أديب. صوفي جليل. أحد تلامذة العـارف بـربه سيدي محمد العربي بن السائح. وهو الذي أجازه في تلقين أوراد الطريقة الأحمدية التجانية لمن طلبها منه. وله في أستاذه المذكور أشعار رقيقة عذبة. ومن مصنفاته :

أرجـوزة في علم البديع نظم فيها أنواع المحسنات التي استقرأها صفي الدين وأوصلها إلى مائه ونيف وخمسين. يقول في مطلعها :

علم البديع حصرت أقسامه ونشرت بين الورى أعلامه
أوصلها الحلي صفي الدين لعـدد في الرمز ذي تمكين

ومن ذلك أيضا قصيدة ميمية طويلة يصل عدد أبياتها إلى مائه وثلاثة وثمانين بيتا. قالها في رثاء أستاذه المذكور محمد العربي بن السائح. قال في مطلعها :

سقى ا ربعا لم يزل متيمما لموكـب أهـل القرب حجا متمما
سقـاه من التسنيم ديمة وابل سما مزنها الفردوس مع ماء زمزما
تيممـه الأقطار سعيا لسعدها فترجـع بالمرجـو أمنـا ومغنما
مخيم ليث إن تجيء تستجيره ومرتـع غيـث إن قصدت تنعما

وكـان مولده بمدينة الرباط في 12 ربيع الثاني عام 1266 هـ – 1850 م أما وفاته فكانت بتاريخ 10 جمادى الثانية عـام 1336 هـ 23 مارس 1918 م. عن 70 سنة. ودفن بضريح سيدي أبي الأنوار بمدينة الرباط. انظر ترجمته في كتابنا خلاصة المسك الفائح بذكر بعض مناقب سيدي محمد العربي بن السائح. وفي الإغتباط لبوجندار ص 390. وفي أعـلام الفكـر المعاصـر لعبد ا الجراري ج 2 ص 324-326 وفي رفع النقاب للعلامة سكيرج 2 : 45-53. وفي اتحاف المطالع لابن سودة 2: 419

[3] سبق التعريف به في ص 170

تسربـل أو تقمص أو تقبا[1] فلسـت تزيد عندي بعد حبا

تملـك بعـض حبك كل قلبي فـإن ترد الزيادة هات قلبا

وبخط السيد بلا مينو المذكور :

هبت لنا نفحات من ديارهم لم يبق في الركب من لا هزه الطرب

ومن مضمن خطابه هذا البيت:

حلوا الرباط ولكن وثقوك به وكل من جاءهم بالحبل قد ربطا

سوانح يوم الإثنين 28 ربيع النبوي عام 1330 هـ

17 مارس 1912 م

وفي يوم الإثنين سنح لي أن أقيد هنا بعض ما قيل في الحض على طلب الإسناد في العلم. فقد ترجم الإمام مسلم بابا في أن الإسناد من الدين وروى فيه بسنده إلى ابن سيرين. قال : إن هذا العلـم ديـن، فانظروا عمن تأخذون دينكم[2]. وروى أيضا بالسند إليه قال : لم يكونوا يسألون عـن الإسناد. فلما وقعت الفتنة قالوا : سموا لنا رجالكم. فينظر إلى أهل السنة فيوخذ حديثهم. وينظـر إلـى أهل البدع فلا يؤخذ حديثهم. وبالسند إلى عبد ا بن المبارك قال : الإسناد من الدين. ولولا الإسناد لقال من شاء ما شاء[3]. راجع هذه الترجمة تفد.

وقد وقفت على إجازة شيخنا العلامة سيدي جعفر الكتاني للعلامة السيد المدني بن جلون. نقل فـي صدر خطبتها عن أبي سعيد الحذاء أنه كان يقول: السند مثل الدرج والمراقي. فإذا زلت رجلك من المراقي سقطت. وقال ابن مبارك : مثل الذي يطلب أمر دينه بلا سند. كمن يرتقي إلـى سطح بلا سلم. وقال الإمام أحمد بن حنبل : طلب الإسناد العالي سنة عمن سلف. وقال الـثوري: الإسناد سلاح المومن. (النووي) : فإن لم يكن معك سلاح فبم تقاتل þ وقال محمد بـن أسلم: قرب الإسناد قرب. أو قال قربة إلى ا عزوجل. وقال شهاد الدين أحمد بن حجر الهيثمي: ولكون الإسناد يعرف به الموضوع من غيره كانت معرفته من فروض الكفاية. وقال الحطـاب فـي شـرح المختصـر: الإسناد خصيصة لهذه الأمة شرفها ا تعالى به. فينبغي الإعتـناء به اقتداء بالسلف. وحفظا للشرف. قال : وقال شيخ شيوخنا شيخ الإسلام ابن حجر الشـافعي فـي أول فـتح الباري: سمعت بعض الفضلاء يقول :الأسانيد أنساب الكتب. وقال

---

(1) تقبا : بمعنى البس القب، والقب بالدراجة المغربية هو رأس الجلباب

(2) أنظـر فيض القديـر 2: 545. سيـر أعـلام النبلـاء 4: 600. جامع التحصيل 1: 73 تاريخ جرجان 1: 473 (رقم 944) تدريب الراوي 1: 301.

(3) صـحيح مسلم 1: 15 باب بيان أن الإسناد من الدين وأن الرواية لا تكون إلا عن الثقات. جامع التحصيل 1 : 59. معرفة علوم الحديث 1: 6. علل الترمذي 1: 739. الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع 2: 200. المحلى 11: 48.

الحطـاب أيضـا : قال النووي : وهذا أبي ذكر سلسلة الفقه إلى مالك رضي ا عنه. ثم إلى رسول ا صلى ا عليه وسلم من المطلوبات المهمات. والنفائس الجليلات. التي ينبغي للفقيه والمـتفقه معـرفتها. وتقبح به جهالتها. فإن شيوخه في العلم آباء في الدين. ووصلة بينه وبين رب العالمين. وكيف لا يقبح جهل الأنساب، والوصلة بينه وبين ربه الكريم الوهـاب. مع أنه مأمـور بالدعاء لهـم وبرهـم. وذكر مآثرهم والثناء عليهم. والشكر لهم. إهـ..

ولا يعارض هذا ما ذكروه من أن الحسن البصري حدث بحديث فقال له رجل عمنþ فقال له : ومـا تصـنع بعمـن، قد نالتك عطية. وقامت عليك حجة. ولا قول ابن مسعود : كونوا للعلم وعـاة. ولا تكونوا له رواة. فقد يروي من لا يدري. ويدري من لا يروي[1]. ولا ماورد في الخبـر : همـة السفهاء الرواية. وهمة العلماء الدراية[2]. لأن الحسن لم يكن في تحديثه بهذا الحـديث قاصـدا للأخذ حتى يبين السند.ولأن ابن مسعود إنما نهى عن الرواية المجردة عن الدراية. وعليها يحمل الخبر أيضا. وما مثل صاحبها إلا كمثل الحمار يحمل أسفارا قال :

إن الـذي يـروي ولكنه يجهـل ما يـروي وما يكتب
كصخـرة تنبـع أمواهها تسقي الأرض وهي لا تشرب

وبالجملـة فلولا التمسك بعروة الإسناد. لتجرأ على الدين أهل الضلال والفساد. وحاولوا نقض بـنائه المرصـوص بعـد إحكامه. وأشاعوا ضلالتهم مظهرين أنها من أحكامه. فهو إذ ذاك الذخيرة العظمى. والعروة الوثقى. التي تستمر على طول الزمان وتبقى. اهـ ...

ومن سوانح اليوم أني اجتمعت مع سيدنا الشريف المنيف العلامة الظريف. محي ما اندثر من العلـوم، أبـي المكـارم سيدي عبد الحي الكتاني. فأطلعني رعاه ا على ورقة بخط العلامة الشهير مرتضى الزبيدي بتاريخ 5 جمادى الثانية سنة 1184 هـ. وقد اشتملت على حكم من قول أبي شبرمة بن هبيرة بن منذر بن حسان بن ضرار قاضي الكوفة :

هـذا الزمـان الذي قد كنا نحذره من قول سعد وفي قول ابن مسعود
إن دام ذا العيش لم نحزن على أحد منـا يموت ولـم نفـرح بمولود [3]

---

[1] أنظر الفردوس بمأثور الخطاب 3: 241 (رقم 4707)

[2] أنظر فيض القدير 6 : 356. الجامع لأخلاق الراوي وآدب السامع 1: 88

[3] وقفت على تشطير لهذين البيتين للشاعر عبد اللطيف بن علي المعروف بالمفتي فتح ا ونصها :

هـذا الزمـان الذي كنا نحاذره وأن نعيـش إلى أيامـه السـود
إليـه صرنـا ونرويه بلا ريب في قول كعب وفي قول ابن مسعود
دهرا نرى الخير مردودا بأجمعه وكـل بـاب له يبـدو بمسـدود
والحـق كالخيـر لسنا فيه نقبله والشـر كالظلم فيه من غير مردود
إن دام هـذا ولم يحدث له بدل تـزداد أهوالـه مـن غير تحديد
وإن قلـوب الورى دامت مفرقة لـم يبـك ميـت ولم يفرح بمولود

وكـان يقـول : مـن حسن خلقه لـم تمل معاشرته. وكان يقول : إياك وغرة الغضب فإنها تحـوجك إلى ذلة الإعتذار. وكان يقول: الرأي ضالة فاستدل عليها بالمشاورة. مات بالكوفة سنة 1055 هـ.

ومن سوانح اليوم ما وقفت عليه في بعض التقاييد أن من قرأ هذين البيتين أربعا وثمانين مرة فرج ا كربه. وبلغه قصده. وهما منسوبان لمولانا عبد القادر الجيلاني قدس سره:

أيدركنـي ضيـم وأنت ذخيرتي   وأظلـم في الدنيا وأنت نصيري

وعار على حامي الحمى وهو قادر   إذا ضاع في البيدا عقال بعيري[1]

ووجـدت منقولا عن العلامة الأديب سيدي محمد بن عبد الرحمن الصنهاجي[2] ما رأيت في المنام أني أقرأ هذا البيت فاستيقظت وإنه لفي حفظي ونصه:

اقرأ لهمك في الكروب لتنجلي   بالقرب عنك دلائل الخيرات

قال وذيلته بقولي:

و ادأب عليـه بكل يوم مرة   أو ثلثـه واختمه في الجمعات

وإذا الشواغل أذهلتك فلا تكن   تهمل ولـو ورقات أو صلوات

هذا الذي ذكر الشيوخ فلا تكن   تهمل وصات الناس خير وصات

وبه رووه عن المؤلف مسندا   فاتبـع سبيـل أولئك السادات

وذيلتها بقولي ارتجالا:

واعلـم بـأن دلائـل الخيـرات فيـه لقارئيـه سائر الخيرات

بالنـور يمـلأ قلـب قارئه ويكسـي حلة مـن أجمـل الحلات

ويصيـر ملحوظا بعين مودة   عند الورى في سائر الأوقات

وينال عند الأولياء محامدا   وينـال كل الفتح قبل وفات

فيرى النبي محمدا في نومه   وبيقظـة يلقـاه بالمرضات

صلى عليه ا ما قرأ امرؤ   لرضى الإله دلائل الخيرات

---

[1] وقفت على تشطير لهذين البيتين من قول الشاعر عمر تقي الدين الرافعي ونصه:

أيدركنـي ضيـم وأنـت ذخيرتـي   بدنياي والأخرى بكل أموري

أعيـذك مـن هذا أيلحـق بي أذى   وأظلم في الدنيا وأنت نصيري

فعار على راعي الحمى وهو في الحمى   غيـور على الأشبال أي غيور

يعـز علـى الليث الهصور غضاضة   إذا ضاع فـي البيدا عقال بعير

[2] محمد بن عبد الرحمان الصنهاجي، فقيه مشارك، تولى خطة القضاء بجبل صنهاجة مدة غير قصيرة، توفي حوالي سنة 1330 هـ - 1912 م. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع لابن سودة 1: 395.

سوانح يوم الثلاثاء 29 ربيع النبوي عام 1330 هـ

18 مارس 1912 م

وفي يوم الثلاثاء وقفت في كتاب سكردان السلطان[1] للإمام ابن حجلة المغربي التلمساني على حكايـات منامية. ننقلها هنا لوقت الحاجة. قال : حكى القاضي شمس الدين بن خلكان وغيره مـن أربـاب الـتاريخ عن دلف بن أبي دلف أنه قال: رأيت في المنام آتيا أتاني وقال : أجب الأميـر. فقمت معه. فأدخلني دارا وحشة وعرة. سوداء الحيطان. معلقة السقوف والأبواب. و أصـعدني على درج منها. ثم أدخلني غرفة في حيطانها أثر النيران والرماد. وإذا بأبي وهو عريان واضع رأسه بين كتفيه. فقال كالمستفهم : دلف ϸ فقلت : دلف. فأنشأ يقول :

بلغـن أهلنـا ولا تخف عنهم　　　مـا لقينا في البرزخ الخفاق

قـد سئلنـا عن كل ما قد فعلنا　　　فارحموا وحشتي وما قد ألاقي

ثم قال: أفهمت ϸ فقلت : نعم فهمت. ثم أنشد:

ولو أنا إذا متنا تركنا　　　لكان الموت راحة كل حي

ولكنا إذا متنا بعثنا　　　ونسأل بعد ذا عن كل شي[2]

ثـم قـال: أفهمت ϸ فقلت: نعم فهمت. ثم انتبهت وأنا مرعوب. وقال قبلها : كان أبو العلا بن عبد الرحمن من أهل الأدب والظرف. وكلفت به جارية من أحسن النساء. وكان يظهر لها ما لـيس في قلبه. وكانت الجارية على الغاية من العشق والميل إليه. فلم يزالا كذلك حتى ماتت الجاريـة كلفا ومحبة فيه. فذكرها بعد ذلك وأسف عليها وعلى ما كان من تقصيره في حقها. وإعراضه عنها. فرآها في منامه فجعل يبكي ويتلافاها فأنشدته:

أ تبكـ ـي بعد قتلك لي عليا　　　فهـلا كـان ذا إذ كنت حيا

أتسكب دمـع عينك لي وفاء　　　ومـن قبل المماة تسيء[3] إليا

---

[1] كـتاب سـكردان للعلامـة الأديب أحمد بن يحي التلمساني، المعروف بابن أبي حجلة. ألفه سنة 757 هـ ، للملك الناصر حسن بن محمد ابن قلاوون، أحد ملوك الدولة القلاوونية بمصر والشام. قال صاحب كشف الظنون في التعريف بهـذا الكـتاب: وهو على مقدمة وسبعة أبواب.المقدمة فيما يتعلق بإقليم مصر. الباب الأول في خواص الأقاليم السبعة، الثانـي فـي علاقـة السلطان بذلك، الثالث في مناسبة الأقاليم بذلك، الرابع في كون ذلك السلطان السابع من السلاطين التركية، الخامس في سيرته، السادس في الإتفاقات الغريبة، السابع في تفسير بعض ألفاظ الكتاب.
ومنتخبه على خمسة أبواب، الأولى في قصة يوسف عليه الصلاة السلام، والثاني في قصة موسى عليه الصلاة والسلام وفـرعون، الثالث في سير ملوك مصر، الرابع في سيرة الحاكم بأمر ا تعالى، الخامس في سبع زهرات وأوراد، في آخر كل باب خاتمة الباب وهي سبع حكايات.

[2] البيتان للإمام علي بن أبي طالب كرم ا وجهه وهما من بحر الوافر

[3] تسي: بمعنى تسيء، وحذفت الهمزة للضرورة الشعرية

أقل[1] من البكاء علي واعلم بأني ما أراك صنعت شيا[2]

قـال: فاستيقظ وقد زاد ما به من الغم والأسف عليها. وصاح صيحة فارق منها الدنيا. وحكى عبد الحق في العاقبة مما أبلى الله تعالى به الهادي من المحبة وعاقبه بها. وهو أنه كان مغرما بجارية له إسمها (غادر) وكانت من أحسن الناس وجها. وأطيبهم غناء. إشتراها بعشرة آلاف ديـنار. فبيـنما هو يشرب مع ندمائه. فكر ساعة وتغير لونه وقطع الشراب. فقيل له: ما بال أميـر المومنـين þ فقال: وقع في فكري أني أموت. وأن أخي هارون يلي الخلافة. ويتزوج غـادرا. فامضوا فائتنوني برأسه. ثم رجع عن ذلك وأمر بإحضاره. وحكى له ما خطر بباله. فجعل هارون يترفق له. فلم يقنع بذلك وقال: لا أرضى حتى تحلف لي بكل ما أحلفك به. إنني إذا مـت لا تتزوج بها. فرضي بذلك وحلف أيمانا غليظة. ثم قام ودخل على الجارية وحلفها أيضا على مثل ذلك. فلم يلبث بعد ذلك شهرا حتى مات. وولي هارون الخلافة. فطلب الجارية فقالـت: كـيف تصنع في الأيمان التي حلفت بها، فقال: قد كفرت عني وعنك. ثم تزوج بها. ووقعـت في قلبه موقعا عظيما. وافتتن بها أعظم من أخيه الهادي. حتى كانت تسكر وتنام في حجـره. فلا يتحرك ولا ينقلب حتى تنتبه. فبينما هي فـي بعض الليالي في حجره إذ انتبهت فـزعة مذعورة. فقال لها هارون: ما بالك فديتك. فقالت: رأيت أخاك الهادي الساعة في النوم وأنشدني:

أخلفـت وعـدي بعدمـا جـاورت سكـان المقابر

ونسيتنـي وحنثـت في إيمانـك الـزور الفواجـر

ونكحـت غـادرة أخـي صـدق الـذي سماك غادر

لا يهنـك الإلـف الجديـد ولا تـدور عنـك الدوائـر

ولحقتنـي قبـل الصبا ح وصـرت حيث غدوت صائر

قالـت: ثـم ولـى عنـي وكأن الأبيات مكتوبة في قلبي ما نسيت منها كلمة. فقال هذه أحلام الشـياطين. فقالت: كلا والله يا أمير المومنين. ثم اضطربت بين يديه وماتت في تلك الساعة. فـلا تسـأل عن حال هارون وما لقي بعدها.وقد ذكرت لهذه الحكاية أشباها ونظائر في كتابي ديوان الصبابة.اهـ ... و سأراجعه بحول الله عند الحاجة إليه.

ومـن سـوانح اليوم إني سألت سيدتنا الوالدة عن أقبح الأشياء وأعظمهـا شدة على النفوس تحمـلا. فقالت: هو فراق الأحباب. فقلت لها: أوصني فقالت: لا تـزول من بين عينك النظر

---

[1] أقل : بمعنى أقلل ، أي لا تكثر من البكاء

[2] شيا : بمعنى شيئا، وحذفت الهمزة للضرورة الشعرية

للخاتمـة. ختم ا لنا بالسعادة. وسألـت إبني أصلحه ا عن أقبـح الناس فقال: من لا يقرأ ولا يصـلي. وأقـول: أقبح الأشياء كفران النعمة. والكفر با هو أعظم نقمة. وأقول في ذلك وزيادة :

أقبـح الأشيـاء عنـدي   هـو فقـر مع كفر[1]
وجميـل الوصـف حقا   طـول شكر مع صبري

وقالت سيدتنا الوالدة: رحم ا والدك فقد كان يقول: لا خير فيمن يعمل الخير فيمن لا يصيبو. ويـرجو الخيـر مـن طليبو. ومن يسكن معه نسيبو. وهذا الكلام على اللغة الدارجة. وأصل يصـيبو يصيبه. وطليبو طليبه بمعنى عدوه. ونسيبو نسيبه بمعنى صهره. ومما نقلته من خط شيخنا العلامة الرئيس مكتوبا على ظهر سفر مختار الصحاح هذه الثلاثة الأبيات:

إن شئت كنز العلم و الأوطار   ورفيق صدق طيب الأسمار
وأردت صيدا وابد اللغة التي   تحتاج في التحصيل للأسفار
من غير كد لا ولا تعب فمل   من غير تقصير إلى المختار

وكـتب يستدعي الأخ في ا العلامة سيدي الفاطمي الشرادي[2] للمبيت عنده. وأطلعني عليها حين عاج على بابنا لأذهب معه إلى هذا الشيخ الذي هو من أعز أحبابي نصها:

أسعـد ا مسـاء المرتضى   الفاطمـي القـدوة المنتخب
سيـدي هـذا زمان سعدت   بكـم الـدار ووافـى الأرب
عجلـوا بالجمـع فيها فلها   شـرف بالعلـم معـه الأدب
ليلـة نخلـو بكـم في طولها   يـدرك القصد ويعطي الطلب
ولنـا مـن فضلكم كل منى   وبهـا يذهـب عنا الوصب[3]

وقد قمت مقامه في جوابه فقلت:

أيهـا البـدر الذي فـوق العلى   لعـلاه قـد تسامـت رتـب
هـا أنا ذا جئتكـم ممتثـلا   ورضاكـم هو عنـدي الأرب

---

(1) من هذا قول الشاعر زيد بن الجون الأسدي المعروف بأبي دلامة
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا   وأقبح الكفر والإفلاس في الرجل
ومنه أيضا قول الإمام علي بن أبي طالب كرم ا وجهه
ما أحسن الدين والدنيا إذا اجتمعا   لا بـارك ا في دنيا بلا دين
(2) سبق التعريف به في ص 148
(3) الوصب : المرض

وكتبت هذه الأبيات هنا حفظا لها من الضياع. وإن كان محلها تويلف خصوصي مع أخواتها. ممـا قيلت ليالي جموعنا جمع سلامة. واستدعاء البعض البعض للكرامة. ولكن لا بأس بتقييد الشوارد. كما أنني أقيد غيرها في هذا التقييد. وأعده من الفوائد. ومن فوائد شيخنا بنيس قوله:

الظـن والجهـل المركـب كذا ... الشـك والتقليـد و الوهـم خذا

داخلـة فـي العلـم عند القوم ... وهـو اصطـلاح هـادم للـوم

وله يستشفع بالرسول عليه السلام:

يـا شفيـع المنتمـي ... للجنـاب الأعظـم

يـا رسـول ا جد ... للضعيـف الأعدم

أثقلـت لـي كاهلـي ... مـن ديوني الأنجمي

ليـس لـي من منقذ ... غيـر جـاه الأكرم

هـا أنـا ذا عبدكـم ... وإليكـم أنتمـي

فلتعـودوا لـي بما ... مـن جداكـم يرتمي

وقلت والقصد به مطلع قصيدة فات إبانها :

أجبت الجوى لما إليكم دعانيا ... ولما دعوت الصبر عنكم عصانيا

وأزعجني شوقي المبرح بعدما ... زمانـي ببعدي عنكم قد رمانيا

قـد ذيـل شيخنا المرحوم الشريف العلوي أبي إسحاق إبراهيم بن عمر[1] هذا البيت بالبيت الثاني:

فضلى النسا بنت عمران ففاطمة ... خديجـة ثم مـن قد برأ ا

هذا وقد صححوا تفضيل بضعة من ... لولاه ما أوجد الأكوان مولاه[2]

ومن قولي المهيأ لقصيدة :

جرى ذكر من أهوى فهيج لي وجدي ... وكم من عذول لومه في لم يجدي

أبـا القلـب إلا أن يقلبـه الجوى ... على جمرات الوجد في القرب والبعد

---

[1] سبق التعريف به في ص 164

[2] من هذا القبيل أيضا قول الشاعر الأندلسي علي بن محمد المعروف بابن الجياب الغرناطي:

حـب ثـلاث نسوة ... مطهـرات مذهبـي

عائشـة التـي لها ... الفخـر العظيم الرتب

برأهـا الرحمان من ... فريـة أهـل الكذب

وقبلهـا فاطمـة ... ذات العلـى والنسـب

وابـدأ بأزكى منهما ... ربـة بيـت النصـب

وتوسع الشيخ أبو العباس التجاني رضي ا عنه في هذه المسألة كثيرا، وأحاط بجزءياتها وفصلها تفصيلا دقيقا، فأشار علـى أن السـيدة فاطمـة الزهراء هي سيدة النسوة أجمعين، وأنها أدركت بعد وفاة والدها صلى ا عليه وسلم مرتبة القطبانية العظمى، وبناء عليه فمرتبتها عند ا عظيمة وجسيمة، وهي فوق جميع المراتب النسائية إطلاقا، ولا يمكن أن تتقدم عليها في الفضل امرأة أخرى مهما بلغت من المكانة والقدر.

ومن النظم الذي خللت به تقريضا قولي :

ا أكـــرم مسـؤول يؤمله   عباده وهـو مسدي الجود والكرم
خـص الوجـود بـآلاء منوعة   وعـم كـل الورى بأعظم النعم

وقلت في مدح النبي صلى ا عليه وسلم :

محمد مظهر الفضل الذي وصلت   منه الأيادي التي تسري إلى الخلق
لم تخـل عنها جميع الكائنات ولا   يـزال يسدي لهـم مقسط الرزق

صلى ا عليه وعلى آله وصحبه :

صـلاة تمـلأ الأكوان طيبا   وعرفـا طيبا يحي القلوبا
صـلاة لا انتهـاء لها ولكن   تدوم وتكشفـن عنا الكروبا

ومن قولي :

قسمـا بما أوليتني مـن خيرك   مالـي التفـات يامنـاي لغيرك
ولقـد عجبـت لعاذل قـد لا مني   فيما رأى من لوعة في شكرك

سوانح يوم الأربعاء 30 ربيع النبوي عام 1330 هـ
19 مارس 1912 م

وفي يوم الأربعاء وقفت على قول القائل في الحض على اقتناء العلم وقد صدق في مقاله :

حياة الفتى وا بالعلم والتقى   فـإن لم يكونـا لا اعتداد بذاته
ومن لم يذق ذل التعلم ساعة   تجرع كأس الجهل طول حياته[1]

وقيل: لا تذخر غير العلوم، فإنها نعم الذخائر. فالمرء لو ربح البقاء مع الجهالة خاسر.

وقيل أيضا:

وكـل فضيلة فيها ثناء   رأيت العلم من هاتيك أسنى

فلا تعتد غير العلم ذخرا   فإن العلـم كنز ليس يفنى[1]

---

[1] البيتان للإمام الشافعي من أبيات قال فيها :

ألا اصبر على مر الجفا من معلم   فإن رسوب العلم في نفراته
ومن لم يـذق مر التعلم ساعة   تجرع ذل الجهل طول حياته
ومـن فاتـه التعليم وقت شبابه   فكبـر عليـه أربعا لوفاته
وذات الفتـى وا بالعلـم والتقى   إذا لم يكونا لا اعتبـار لذاته

و در القائل وقد صدق :

إني رأيت الناس في عصرنا   لا يطلبـون العلـم للعلـم

إلا مباهـاة لأصحابـه   وعـدة للغـش و الظلم[2]

كتب عبد ا بن المبارك إلى ابن علية[3] حين ولي صدقات البصرة :

يا جاعـل العلم له بازيا   يصطـاد أمـوال المساكين

احتلـت للدنيـا و لذاتها   بحيلـة تذهـب بالدين

فأيـن ما كنت به واعظا   من ترك أبـواب السلاطيـن

إن قلـت أكرهت فما هكذا   زل حمـار العلم في الطين[4]

ومن سوانح اليوم قول القائل :

إن المحاسن كلها لو جمعت   رجعـت بأجمعها إلى شيئين

تعظيـم أمر ا جل جلاله   والسعي في إصلاح ذات البين

---

(1) من هذا القبيل قول الشاعر أبي الأسود الدؤلي :

العلم كنـز وذخر لانفـاد له   نعم القرين إذا ما صاحب صحبا

قد يجمع المرء مالا ثـم يسلبه   عما قليل فيلقـى الذل و الحربا

وجامع العلـم مغبوط به أبدا   ولا يحاذر منـه الفوت و السلبا

يا جامع العلم نعم الذخر تجمعه   لا تعدلـن بـه ذرا ولا ذهبا

(2) انظرهما في المستطرف في كل فن مستظرف، للأبشيهي 1: 48

(3) إسـماعيل بـن ابراهيم بن مقسم الأسدي، المعروف بابن علية، من أكابر حفاظ الحديث، ولي صدقات البصرة، ثم المظالـم ببغـداد في آخـر خلافـة هارون الرشيـد، وكـان يكره أن يقال له ابن علية، وهي أمه، توفي ببغداد سنة 193 هـ ، أنظـر ترجمته في ميزان الإعتدال 1: 100. تهذيب التهذيب 1: 275 – 279. تذكرة الحفاظ 1: 296. الأعلام للزركلي 1: 307.

(4) الأبيات للعلامة الحافظ عبد ا بن المبارك، وهي عبارة عن سبعة أبيات، من بحر السريع، ونصها :

يا جاعل الدين لـه بازيا   يصيد أمـوال المساكين

احتلـت للدنيـا ولذاتها   بحيلـة تذهـب بالدين

وصرت مجنون بها بعدما   كنـت دواء للمجانيـن

لا تبـع الديـن بدنيا كما   يفعل ضـلال الرهابيـن

أين رواياتـك فيما مضى   عن ابن عون وابن سيرين

أين أحاديثـك والقول في   لـزوم أبواب السلاطين

تقـول أكرهت وماذا كذا   زل حمار العلم في الطين

سوانح يوم الخميس فاتح ربيع الثاني عام 1330 هـ

20 مارس 1912 م

وفي يوم الخميس فاتح ربيع الثاني كان استدعاني في ليلة صباحه شيخنا بنيس للمبيت عنده. واستدعى الفقيه العلامة سيدي الفاطمي الشرادي. وطلب استصحابنا معه بأبيات نجعلها من سوانح اليوم ونصها :

أسعد ا مساء المرتضى أنس روحي الفاطمي العلم

وسلام عاطر من شيق لعلاكم من عداد الخدم

شرفونا بمبيت فلكم كنتم بالوصل برء السقم

واصحبوا سيدنا شيخ الملا أحمد البدر سمي العظم

ثم نجل الروح سكيرجنا فهو تاج برؤوس الهمم

أنتم القصد وغايات المنى وثناكم شغل قلبي وفم

دمتم في مجدكم فوق السهى والمناوي في حضيض القدم

والمناوي اسم فاعل من ناواه إذا عاداه. فهو بمعنى المعادي. ومن الإتفاق الذي أوقعنا في الذب عن الإمام المناوي. أن شرحه على عينية ابن سيناء التي يقول في مطلعها :

هبطت إليك من المحل الأرفع ورقاء ذات تعزز وتمنع[1]

كأن استعاره الفقيه المذكور من شيخنا المذكور. فظننت أنه ورى به. مع أن ساحته بريئة من ذلك. فقلت في جوابه على لسان الفقيه المذكور :

سلوة النفس وشافي السقم ومحل الأنس بين الأمم

ذا العلا عبد الكريم المرتقي لمقام في درى المجد سمي

أنعم ا مساء قد أتى منك داعينا لنيل الأنعم

قد أجبناه بأن نسعى على رأسنا إن لم نسر بالقدم

فلنا شوق إلى لقياك في كل يوم بين أهل الهمم

فنديـر الراح في راح على راح شكر لزوال الغمم

نغنم الراح ومن راح إلى رحبك الأسمى يفز بالمغنم

ها أنا ذا جئتكم ممتثلا فلتدم تسبح بحر الكرم

وبإحياء فأحي قلبنا فهي قوت وشفاء الأسقم

---

[1] البيت الشعري هو مطلع قصيدة عينية لابن سينا، تقع في 19 بيتا، قال في ختامها:

وهي التي قطع الزمان طريقها حتى لقد غربت بعين المطلع

وكأنها برق تألق بالحمى ثم انطوى فكأنه لم يلمع

والمنـاوي عندنا فيه المنى | لا نراه فـي حضيض القدم
فلتدم ملحوظ قدر في الورى | وثنـاء لـك فـي كل فم

ووقفت على قول شيخنا المذكور :

وهبـك دريت الدخل في البر لم تطق | دراية ما يخفى من الدخل النزر
فلا تعتمد مادمـت حيا على الصفا | فحـال الصفا يعلمه عالم السر
فكن ضارعا واخش الرقيب وكن على | تفضلـه معتمـدا لا على البر

ووقفت على هذه الأبيات بخطه. وهي من ألطف ما ينقل هنا وهي :

يـا مؤثر الدنيـا على دينه | والتائه الحيران في قصده
أصبحت ترجو الخلد فيها وقد | أبرز ناب الموت عن حده
هيهـات إن المـوت ذو أسهم | مـن يرمه يوما بها يرده
لا يشـرح الواعظ صدر امرئ | لم يهـده ا إلى رشده[1]

وقـد بتنا في ليلتنا المشار لها. إلا أنه لم يحضر معنا شيخنا ابن الخياط[2]. وسردنا فيها كتاب الإمـام أبي حامد المسمى المنقذ من الضلال[3] من أوله إلى آخره. وهو كتاب عجيب أعرب فـيه عـن حالـه من وقت طلبه العلم إلى زمن تأليفه. وبالجملة فمن طالعه يقدر قدر مؤلفه. وتحصـل لـه حالت يميز بها قدر نفسه. وقيمة كل امرئ ما يحسنه. وفي نهارنا تذكرت قوله قدس سره وهو المنزل على مضمن الكتاب المذكور :

تركت هوى سعدى وليلى بمعزل | وعدت إلى تصحيح أول منزل
فنادتنـي الأطـلال مهلا فهذه | منازل من تهوى رويدك فانزل
غزلـت لهم غزلا رقيقا فلم أجد | لغزلـي نساجا فكسرت مغزل

وطالعـنـا أول كـتابه المسـمى بالمضنون[4] إلا أننا وقفنا خلال كلامه فيه بعد الخطبة على ألفاظ. كإطلاق التعقل في جانب الحق. وتوقفنا في عبارته حتى كدنا أن نحكم على أنها ليست

---

(1) الأبيات للإمام علي كرم ا وجهه
(2) سبق التعريف به في ص 138
(3) المنقذ من الضلال والمفصح عن الأحوال، للإمام حجة الإسلام الغزالي، قال عنه صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : هو مختصر بث فيه غاية العلوم وأسرارها، والمذاهب وأغوارها. إهـ..
(4) المضـنون بـه على غير أهله، قال ابن السبكي في طبقاته : ذكر ابن الصلاح أنه منسوب إلى أبي حامد الغزالي، وقال معاذ ا أن يكون له، وبين سبب كونه مختلقا موضوعا عليه، والأمر كما قال.
وعـن هـذا الكـتاب أيضا يقول صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : هو أجوبة مسائل تسع سئل عنها الغزالـي، وفـي التاسـعة فصول كثيرة، قال : يشتمل على أربعة أركان، الأول في معرفة الربوبية، الثاني في معرفة الملائكة، الثالث في حقائق المعجزات، الرابع في معرفة ما بعد الموت .إهـ ...

بعـبارته لمـا فـيها من التعقيد المشوب بألفاظ ليست بلسان أبي حامد. الذي رزق فيه الذوق المعسول. وا أعلم بذلك. وإن كان التأليف نفيسا في بابه.

سوانح يوم الجمعة 2 ربيع الثاني عام 1330 هـ

21 مارس 1912 م

وفي يوم الجمعة 2 ربيع الثاني أنشأت هذه القصيدة أودع بها الشيخ أحمد الشمس الشنجيطي(1). وهو قاصد بيت ا الحرام. فهنيئا له بزيارة ذلك المقام ونصها :

قفوا ساعة حتى أودعكـم قلبي   فقد غبـت عن حسي بأخذكم لبي
أحبـة قلبي هل دريتم بأنني   على عهدكم أبقى لدى البعد والقرب
نعـم تعلمـون الحب مني فيكم   بمـا لكم وا مـن صادق الحب
تحبـون من وافاكم لينال من   رضاكـم كمال الود منكم بلا ريب
فيحظى بما يرجوه منكم من الغنى   بغيـر عنى عن غيركم برضى الرب
أحبـة قلبي قد جزعنا لبعد كم   علـى سفـر عنا لشرق من الغرب
وقد كنتم شمس الهداية في الدجى   فإن غربت صرنا من النور في حجب
وكنتـم أمان الغرب بين ظهورنا   فإن غبتـم عنا يرى الغرب في كرب
فـاه على مـا قد عراني لبعدكم   وما عاقني من بعدكم عن منى قلبي
وإن منـى قلبي دوام اجتماعنا   بعلياكـم حتـى يـزول بكم عيبي
وإنـي أسلي النفـس مني تعلة   بلقياكـم المحمود قبـل انقضا نحبي
على أنـه إن غاب عني شخصكم   فحبكـم وا فـي داخـل القلب
فبـا هـا قلبي خدوه وديعة   لديكـم وسيروا في أمان مع الركب
إلى أن تحلو روضة المصطفى التي   قصدتم وقولوا ها سكيرج من صحبي
أتـاك من الشـوق المبرح قلبه   عسـى يا رسـول ا يمنح بالقرب
عليـه سـلام ا منه وإنني   أؤديـه عنه كـي ينـال رضى الرب
وقـد عاقه عـن أن يؤم جنابكم   زمـان رماه بالنوائب في الجنب
فـدارك رسـول ا جبر انكساره   وذلك يا ابن الشمس يا أحمد حسبي
حبيبي ومولاي ابن جعفر الرضى   وسل دعوة لي منه تكشف لي كربي
وسلم على الأحباب أين وجدتهم   سـلام بـه توثيـق رابطة الحب

(1) سبق التعريف به في ص **110**

علي ـك أيا شمس الكمال تحية تعم جميع الصحب في البعد والقرب

سوانح يوم السبت 3 ربيع الثاني عام 1330 هـ
22 مارس 1912 م

وفي يوم السبت وجهت هذه القصيدة لمحبنا في ا الفقيه العلامة محب أهل ا . والشارب من كـأس التسـليم لهـم فـوق ما تمناه. أبي البركات سيدي الحاج بنعيسى بن مسعود اطريدنو الرباطي[1] الأصل التجاني الطريق ونصها:

ما لقلبي اشتياقـه في المزيد	بعـد ما كـان ناره في خمود
ألتذكـار ما مضى من زمان	قـال فيه السرور هل من مزيد
فخلعنـا العـذار فيه وقلنا	ما علينـا في عذل كل حسود
وأدرنـا كؤوس راح براح	طـاب فيها صدورنا للورود
فانقضـى ذاك الزمان فقلنا	يـا ليالي الوصال با عودي
أو لتذكـار قربنا في رباط	لديـار حبيبنـا المحمود
زادني في الرباط عقد رباطي	هـا أنـا فيه لا تحل قيودي
إنـه فيه كان لي كل يوم	بلقائـي أحبتـي ألف عيد
وأجـل الأوقات عندي فيه	هو وقت قد طاب فيه ورودي
فيـه قد جادلي الزمان بأنس	بأنـاس هـم سادة في العبيد
لـم أر في الرباط غير ولي	أو رشيـد أو عارف أو سعيد
خصصوا بالتقى ففاقوا سواهم	لعلاهـم تومي العلا بالسجود

[1] بنعيسـى بـن مسعود أطريدانو. فقيه مشارك أديب. من أعلام مدينة الرباط. أخذ العلم عن جماعة من خيرة فقهاء المديـنة المذكـورة، في مقدمتهم العلامة إبراهيم التادلي، وهو عمدته وبه تخرج، وقد عمل بعد ذلك في خطط مخزنية مختلفة، كانت آخرها توليته على رأس نظارة الأحباس الكبرى بمدينة الرباط. وكانت له صداقة مثينة بالعلامة سكيرج، وقد وقفت لهذا الأخير على أبيات يمدحه بها قال في مطلعها :

أيها السيد الأجل ابن عيسى	جامع الفضل بين أهل المعالي
من له تشهد الأعادي بفضل	ضمنـه كـل رفعـة وكمال
ولـه فـي العلوم فتح مبين	ولـه همـة سمـت كل عال
أنت عندي وعند كل محب	قطب وقت قد حف بالإجلال
كيف لا والنبـي أولاك رؤيا	ه مـرارا فـي يقظة وخيال
فبلغـت المـرا د منه بقرب	وبـود فيـه كمـال اتصال
ولهـذا سكنـت قلبي وحبي	فيـك يـزداد بين كل الرجال

توفـي بتاريخ 8 رمضان 1335 هـ. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع 2: 417. من أعلام الفكر المعاصر بالعدوتين الرباط وسلا، للجراري 277-278 الزرابي المبثوثة، للعلامة سكيرج 121.

أتمنـى أن لـو أكون رباطي فربـاطـي به انتهى مقصودي
منهـم السيـد ابنعيسـى ابـن مسعـود حبيبي الرضـي محل الجود
سيـد دأبـ ـه التواضـع حقا وتحلـى بكـل وصف حميد
وتخلـى عن كـل شـيء ذميم وتجلـى مـن فوق عرش مجيد
فتجلـى علـى على قد تسامت وتجلـى بكـ ـل عقد فريد
فغـ ـدا مفـرد الزمـان بما قد نالـ ـه مـ ـن تجرد وشهود
إنـ ـه سيـ ـد تمكـن حقـا فـي مقـام الشهـود والتوحيد
فـاكتسـ ـى حلـة بهـ ـ ـا فـ ـي مقـام الشكر من بعد حلة التجريد
فغـ ـدا مظهرا لمـ ـا قـد حبـ ـاه ا شكـ ـرا منـه لنيـ ـل المزيد
فهـو عندي ولي ولي حسن ظن فـي جميـع السادات دون جحود
وخصوصا لمـن لشيخي التجاني قـد غدا فـي الطريق خير مريد
رب فاشهـ ـد على إنـ ـي مقر بكرامـات سادتـي فـي الشهود
ليـ ـس لـ ـي إنكـار علـى أحـد منهـ ـم على مـ ـا منحته من جود
وخصوصـ ـا أهـل الخصوصيـ ـة الكبـ ـرى وكـ ـل له صفي ورود
كلهـ ـم عنـده خصوصيـة كبـ ـرى ومالـ ـي عـن حبهـم من محيد
وإلـى شيخنـا التجانـي انقيادي لا إلـى غيـره عقـدت عهودي
وسلامـي علـى الرضـى نجـل مسعود الـورى اطريدنـو سعد السعود
إنـه عندي فـي سويـداء قلبي حبـ ـه راسـخ بـ ـلا ترديـد
قـ ـد ربطـت ربـاط حبي فيه في الربـاط ولـم يزل في المزيد
أتمنـى أن يسمـح الدهـر حتى أن أراه في القـ ـرب غير بعيد
فـأرى وجهـه الـذي مـن رآه نـ ـال مـن سـره كمـال شهود
سائـ ـلا أن يزيـده ا فتحـا وكمـ ـالا مـ ـا بعـده من مزيد

سوانح يوم الأحد 4 ربيع الثاني عام 1330 هـ

23 مارس 1912 م

وفـي يـوم الأحد دخل لفاس الجنرال الفرنسي مـع الباشدور الوارد بقصد توقيع المولى عبد الحفـيظ على الشـروط المبرمة مع الدولة الجمهورية بواسطة سفيره الوزير المقري. ودخل

قـبله فـي السبت الوزير المذكور. ومن أعجب ما كتب هنا القلم حين أراد كتب يوم (الأحد) كتب يوم الأخذ بخاء وذال. نسأل الله اللطف فيما جرت به المقادير. وقلت :

رب لا تجعـل المصائب جمه والكشف الهم في الأمور الملمه

نحن قـوم كما علمت ضعاف عمنـا ربنـا بأضعاف رحمه

ومـن سـوانح اليوم ورود رسالة من حضرة الأخ في الله العلامة الفاضل سيدي الحاج أحمد جسوس من الرباط يقول في صدرها :

يا نفحة البان بل يانسمة الريح بالله روحي إلى من عندهم روحي

خذي لهم من ثنائي عنبرا عبقا وأوقديـه بنـار من تباريـح

وأنشد القلم هنا فقال :

هبـت علي من الأحباب نفحتهم فأوقدت بين أضلعي تباريحي

فقلت يا روحي روحي في فدائهم ولتذهبي لهم في الحين كالريح

وأقول أيضا :

هب النسيم فأحيتني روائحه بعرفهـا حين نم ريح محبوبي

فقلت يا نفحة هبت لدي إذا رجعت للحب عودي لي بمطلوبي

ولبعضهم :

وللزنبور والبازي جميعا لدى الطيران أجنحة وخفق

ولكن بين ما يصطاد بازي وما يصطاده الزنبور فرق[1]

ولبعضهم :

إذا كنت في اليسر لا ترتجي ولا لـك فضـل ولا توسعه

فمـا أنـت إلا كمن لم يكن ولـو كنت ذا ضيعة واسعه

سوانح يوم الإثنين 5 ربيع الثاني عام 1330 هـ 24 مارس 1912 م

وفـي يـوم الإثنين شكوت إلى شيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس ما أجده مـن إذايـة بعض الناس إلي ممن انخرطوا في الطريقة التجانية وغيرها. مع أني لا أعلم من نفسـي أني أتسبب في ضرر أحد منهم عفا الله عنا وعنهم. مع أن النبي صلى الله عليه وسلم يقـول لشيخنا التجاني رضي الله عنه : قل لأصحابك لا يؤذي بعضهم بعضا، فإنه يؤذيني ما

[1] انظرهما في كتاب صبح الأعشى في صناعة الإنشا

يـؤذيهم. يشـيعون علـى بعـض الأمور. ويعترضون بما يبلغهم من غير تسبب في الورود والصدور. ولم أعلم ما السبب. فأنشدني أمنه ا ما عذرتهم من أجله. وتشوفت لنفسي للفضل الحقيقي وإن لم أكن من أهله قائلا مما هو حافظ له :

حسـدوا الفتى إذ لم ينالوا سعيه   فالنـاس أعـداء لـه وخصـوم
كضرائـر الحسناء قلن لوجهها   حسـدا وبغضـا إنـه لذميـم [1]

ومن سوانح اليوم قول ابن سهل يخاطب معشوقه:

يـا غائبـا مقلتي تهمي لفرقته   والمزن إن حجبت شمس الضحى انسكبا
ألقى بمرآة فكري شمس صورته   فعكسهـا شـب في أحشائي اللهبا [2]

يقـول: أيهـا المحبوب الغائب عن رؤية العين. إن مقلتي تمطر لفرقتك. حيث حجبت عني. وأنـت الشمس عندي. وشمس الضحى إذا حجبت ينسكب المزن. وذلك نظرا إلى أن الشمس فـي هـذا الوقت لا تحجب إلا إذا تكاثف السحاب. وبتكثفه ينسحب غالبا. ثم وصف محبوبه بمعنـى: إن مـرآة فكـري قـد ألقيت فيها شمس صورتك. أو أنا أجد في مرآة فكري شمس صـورتك. فأنـت وإن غـبت عن عيني فشمسك طالعة في فكري. فانعكس الشعاع منها إلى أحشـائي فشـب فـيها اللهـب. وذلك لأن الشمس في رؤية العين ينتج عن شعاعها الحرارة الظاهـرية. وقد ذكر علماء الهيئة أن جسم الشمس لا حرارة فيها. وإنما الحرارة من إنعكاس شعاعها على البسيطة. ولهم على ذلك أدلة. وقد برهن على ذلك حكيم الإسلام ابن خلدون في مقدمته بما فيه كفاية عن نقله هنا. وهي مطبوعة فلتراجع:

ومن سوانح اليوم تذكري قول القائل:

رأت قمر السماء فأذكرتني   ليالي وصلها بالرقمتين
كلانـا نـاظـر قمرا ولكن   رأيت بعينها ورأت بعيني

وقـد ذكـر الـناس فـي معنى هذين البيتين كلاما طويلا. وحاصل تحقيق ذلك أنه ادعى أن محبوبـته التي ينظر إليها هي القمر الحقيقي. وأما القمر الذي تنظر هي إليه فهو مجاز عنده. فقـد أعطـته نظـرها فنظـرها به. وأعطاها نظره فنظرت به. لأنها في الحقيقة تنظر للقمر الحقيقـي. وهـو ينظر للمجازي. وقد ادعى هذا القائل العكس. كأنه حصل له ذهول من هذه المحـبوبة. حتى صار لا يفرق بين الحقيقة والمجاز. وصارت تلتبس عليه الأشياء. حتى ظن

---

[1] البيتان للشاعر أبي الأسود الدؤلي قالها في مطلع قصيدة ميمية تقع في 30 بيتا.

[2] البيتان من قصيدة بائية للشاعر ابن سهل الأندلسي قال في مطلعها :

ردوا على طرفي النوم الذي سلبا   وخبرونـي بقلبـي أية ذهبا
علمـت لما رضيت الحب منزلة   أن المنام على عيني قد غضبا

أنهـا القمـر الحقيقـي أيام كانت لم تمنحه بالوصال. بل كان قربها عزيز المنال. يشعر بذلك كـونهـا عنده القمـر الحقيقي. وهو في السمـاء لا يـدرك الوصول إليه. فكان الأمر على حد قوله :

هي الشمس مسكنها في السماء   فعـز الفـؤاد عزاء جميلا

فلـن تستطيـع إليها الصعود   ولن تستطيـع إليك النزولا[1]

وهـذا المعنـى الأخيـر إنما سنح إيراده ولم أقف عليه. إلا أنه عند التأمل ربما يستلذه الذوق السليم. وا الموفق.

ومن السوانح قول القائل :

قامت تظللني من الشمس   شمس أعز علي من نفسي

قامت تظللني ومن عجب   شمس تظللني من الشمس[2]

ومـن سوانح اليوم ما يحكى عن الأستاذ أبي القاسم القشيري أنه مرض له ولد أيس منه. فرأى الحق سبحانه في المنام فقال له : اجمع آيات الشفاء واقرأها عليه. واكتبها في اناء واسقها إياه. ففعل فبرئ. وهي ست آيات نصها:

ويشف صدور قوم مومنين[3] وشفاء لما في الصدور[4] يخرج من بطونهـا شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس[5]. وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمومنين[6]. وإذا مرضت فهو يشفيني[7]. قل هو للذين آمنو هدى وشفاء[8]. وقد نظمها شيخنا الرئيس في قوله :

وآيات الشفا ست فخذها   مرتبـة برمـز للفقيه

فواو قبل يشفي ثـم واو   قبيل شفا ورزق بعد فيه

وننـزل بعدها وإذا تليها   وزد قل يمح أو يتلو بفيه

وقوله يمح أو يتلو يعني تكتب وتمحى. ويشربها المريض أو تقرأ على ماء أو على المريض.

وقد اختصر نظمها في قوله من غير ترتيب :

وشفا ويشفي فيه قل وننزل   وإذا مرضت فتلك آيات الشفا

---

(1) البيتان للشاعر العباس بن الأحنف اليمامي قالهما بعد بيتين آخرين وهما :

لعمري لقد جلبت نظرتي   إليك علـي بلاء طويلا

فيـا ويح من كلفت نفسه   بمن لا يطيق إليه سبيلا

(2) أنظرهما في كتاب قرى الضيف لعبد ا بن محمد بن عبيد 3: 209- 210. وفي الإيضاح في علوم البلاغة لجلال الدين القزويني 1: 268.

(3) سورة التوبة الآية 14

(4) سورة يونس 57

(5) سورة النحل الآية 69

(6) سورة الإسراء الآية 82

(7) سورة الشعراء الآية 80

(8) سورة فصلت الآية 44

سوانح يوم الثلاثاء 6 ربيع الثاني عام 1330 هـ

25 مارس 1912 م

وفي يوم الثلاثاء وقفت على قول أبي العباس الصيمري. وقد أنشده ياقوت له في معجم البلدان ونقله عنه صاحب حياة الحيوان[1]:

كم مريض قد عاش من بعد يأس ... بعد موت الطبيب والعواد

قد يصاد القطا فينجو سليما ... ويحل القضاء بالصياد[2]

فقلت في معناه:

رب مريض بعد ما أيست ... منه دووه عاش دهرا طويل

والموت قد سار إلى غيره ... ممن يرى الموت له مستحيل

وتذكرت هنا قول القائل:

اغتنم في الفراغ وقت ركوع ... فعسى أن يكون موتك بغته

كم صحيح قد مات من غير سقم ... خرجت نفسه السليمة فلته[3]

وقلت:

عجبت لمن قد أبصر الموت مقبلا ... عليه ولم يعمل لما بعد موته

تغالطه في الموت قوة صحة ... لديه وقد مرت حلاوة قوته

وأقول وإن كانت نفسي في غفلة عما تقول:

عجبت لمن قد غدا واعظا ... وأثر في غيره لفظه

ولم يتعظ بالذي قاله ... وقد كان أولى له وعظه[4]

---

[1] حياة الحيوان، للعلامة الفاضل محمد بن عيسى الدميري الشافعي المتوفي سنة 808 هـ. قال عنه صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون: وهو كتاب مشهور في هذا الفن، جامع بين الغث والسمين، لأن المصنف فقيه فاضل محقق في العلوم الدينية، لكنه ليس من أهل هذا الفن كالجاحظ، وإنما مقصده تصحيح الألفاظ وتفسير الأسماء المبهمة، كما قال في أول كتابه : هذا كتاب لم يسألني أحد تصنيفه، وإنما دعاني إلى ذلك أنه وقع في بعض الدروس ذكر مالك الحزين و الذبح المنحوس، فحصل بذلك ما يشبه حرب البسوس، فاستخرت ا سبحانه وتعالى في وضع كتاب في هذا الشأن، ورتبته على حروف المعجم. إهـ .. ثم قال : وذكر أنه جمعه من خمسمائة وستين كتابا، ومائة وتسعة وتسعين ديوانا من دواوين شعراء العرب، وجعله نسختين كبرى وصغرى. في كبراه زيادة التاريخ وتعبير الرؤيا، وفرغ من مسودته في شهر رجب سنة 773 هـ .

[2] أنظرهما في روضة العقلاء لمحمد بن حبان البستي 1: 285

ومنه أيضا قول الشاعر علي بن الجهم

كم من عليل قد تخطاه الردى ... فنجا ومات طبيبه والعود

[3] البيتان للإمام الحافظ البخاري وقد سبق ذكرهما أيضا في ص

[4] من هذا القبيل قول الشاعر السوري أديب سعيد محمد التقي:

يا واعظا لم يتعظ بمقاله ... ماذا يوعظك من هوى وشطاط

ذهبت برونقه الوساوس مثلما ... ذهبت بزهو الروض سحب شباط

بين الوساوس والجنون تقارب ... والفحم منسوب إلى العراط

إن الرؤوس إذا خلت من رشدها ... كانت كعش البوم والوطواط

إن كان لا يشفيك نصح فالشفا ... متعذر بسوى عصا وسياط

وكتب القلم هنا:

داويـت غيـري بوعظي والنفـس مني عليلـه

ولـم أجـد لـي طبيبا يشفـي لقلبـي غليله

ومن سوانح اليوم أيضا قولي :

مـا الخيـر للمـرء إلا فـي الاشتغـال بنفسه

لا شـيء للمـرء أولى من نفسـه عند رأسه

فـلا يخالـط سواها إن رام اذهـاب نحسه

فهـي القريبـة منـه في جنسـه قبل رمسه

وليـس يفلـح يومـا مخالـط غيـر جنسه

سوانح يوم الأربعاء 7 ربيع الثاني عام 1330 هـ

26 مارس 1912 م

وفـي يـوم الأربعـاء أجبت بعض الإخوان من أهل تطوان عن مسائل منها، وأما قولكم: ما المـراد بقول سيدي محمد الحراق: أتت في الدجى كي لا يراها رقيبها[1] إلخ. على ما يناسب الحضرة الإلهية كفرضية سجود الشكر في قول غيره:

وإذا الحسن بدا فاسجد له بسجود الشكر فرض يا أخي[2]

مـع مـا هـو مقرر في مذهبنـا من كراهة ذلك أو تحريمـه. فنقـول أولا : إن كلام العارفـيـن يتنزل منزلـة أحوالهم في تسليـم أمورهم إليهم من غير طعن عليهم في شيء. ممـا يوهم خلاف الشريعة عملا أو اعتقادا. فإن للقوم لسانا يتخاطبون به. ولست ممن خاض لجـج بحرهم العميق حتى أسأل عن مثل هذا مما ليس من فقه الطريق. وفي الخوض في مثل كـلام الحـراق غرقت قوم يحسبون أنهم ناجون. وهم في تزندق بإطلاق. والعجب منهم أنهم يقولـون هذا من الفتح والأذواق. ثم إننا لسنا ممن يعترض على أهل ا في مقالاتهم. وإنما الملامة على من ينزل كلامهم على شيء لم يتلقه عنهم. أو عن وسائط تلقوه منهم. فيكون هو مقصـود كلامهم. وليس لي رواية عن الحراق في معنى مقاله حتى أفصح لك عن مراده مما

---

[1] البيت هو مطلع أربعة أبيات للعلامة الصوفي الشهير محمد الحراق ونصها :

أتت في الدجى كـي لا يراها رقيبها ويخلص من شر الوشاة حبيبها

فنـم بهـا إشـراق نـور جمالها وأخبر عنهـا إذ تضوع طيبها

فـوا لا يخلـو بهـا غير عاشق رقيق المعاني في الأمور لبيبها

فنى فبدت في موضع الوصل وحدها ولما يكـن شيء هناك يريبها

[2] البيت الشعري ليحي بن حبش الحكيم المعروف بالسهروردي المقتول، من جملة سبعة أبيات قال في مطلعها:

أيهـا السائـق يبغي دارمي وعريبـا دون ذيـاك اللوي

يوافـق. وما يدريك أنه قصد غير الحقيقة. وإن كانت صولة كلامه ليست بصولة مبطل. غير أننا رأينا جماعة من أهل طريقتنا يحذرون من كلامه. وغيرهم ينقبض عند ذكر مقامه ومقاله. ولـم أدري ما موجب ذلك. إلا ما يسمه به بعضهم من بغض الشيخ رضي ا عنه. فمن هذه الحيثـية نفرت منه بعض النفوس. ولو تحقق عندنا ذلك لضربنا بكلامه لجج البحر. ولو كان يـنفث في الذوق السليم حلال السحر. ولكني أنزه مقام هذا الرجل الوحيد في عصره عن مثل هذا. وإن تواتر عن جماعة وا أعلم بحقيقة الأمر في هذه الشناعة.

ولا يخفى عنك أن الناس غير معصومين ممن لم يرد النص بعصمته. وما يدريك أن الرجل محسـود. وهو الذي يترجح عندي. وكلامه يدل على أنه ذاق ما ذاق. خصوصا وقد شهد له برسـوخ القدم جماعة من أشياخنا من أهل الأذواق. ولو كان لنا مجال في فهم الحقائق بشرب كـأس الذوق. لأعربنا عن وجه مخدرات معانيها المقصورة في خيامها ومغانيها. فأهل الذوق ينـزلون كل كلام على ما هو مرسوم في أفكارهم من أنوار الحقائق. ولا عليهم في القائل إلا مـن حـيث زيادة النور الذي هو لهم فرقان يفرقون به بين الحق وغيره. فيذوقون من شراب المـتكلم خمـرا عتـيقا. ويرشـفون من رضابه بذوق الألفاظ التي لزق بها معسول خطابه. فيـرتعون فـي رياض المعارف. كل واحد على قدر معرفته. وما هو من المعارف والمعاني عارف. فتراهم إذا سمعوا كلاما يطربون بما لم يطرب به غيرهم. لما فهموه من المعاني، وما علموه من قدر المتكلم به. وإن لم يعرفوا عينه في بساط التداني. وبذلك أيضا يترقى لهم الفهم بالـذوق السـليم في الفرق بين كلام القديم والحديث والرسول وغيره من العارفين. ومن هو دونهم إلى كلام اللعين. وفي ضمن الكلام عندهم أسرار عالية وجواهر غالية. حتى قيل:

عبارتنا شتى وحسنك واحد وكل إلى ذاك الجمال يشير

فليفهم الفاهم على قدر مشربه. ولو كان القول على غير مذهبه. ومثال هذا يقال في قول الذي أمـر بسجود الشكر إذا بدا الحسن أمرا متحتما. إلا أن قوله (فرض يا أخي) يدل على أنه لا بـاع لـه في بساط القول. فهو نظم فقيه بلا شك لا نظم أديب. فإن كان ممزوجا بكلام عالي الـنفس. فهو بيت دخيل جرى على غير السجية التي قبله وبعده أو مدسوس. وعلى كل حال فالشـاعر لا يتقـيد فـي قوله بمذهب. ولا ينكر عليه في ورود من مشرب فمشرب. إلا إذا اضـطرب قوله في أبيات قصيد واحد. لا تجري على وثيرة واحدة. وما يدريك أن قائل ذلك البـيت ليس على مذهب من يقول : بكراهة سجود الشكر. أو قاله مع جهل الحكم. فكثير من الشعراء ليسوا بفقهاء. وفي هذا كفاية. اهـ ...

ومـن سوانح اليوم خروج شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس بقصد النزهة إلى واد الجواهر. مع حضرة العلامة سيدي الفاطمي الشرادي. وشيخنا العلامة الفاضل سيدي أحمـد بن الخياط. وجماعة من أفاضل الطلبة. والشريف العلامة سيدي الفاطمي الحمودي[1]. والفقـيه التونسـي. وقـد استدعوني للحضور معهم. إلا أني تأخرت إلى قرب العصر. ولما وصلت أنشدني الفقيه سيدي الفاطمي أمنه ا هذين البيتين:

كيف التأخر عن قوم وأنت لهم   نعم الحبيب الذي لحبه ساقي
طال انتظار لأقوام عرفت بهم   فارحمهم بطلوع وجهك الباقي

وقوله (الباقي) دعاء منه بالبقاء. فأخذ قوله شيخنا بنيس وأبدل القافية وقال:

طـال انتظار لأقوام عرفت بهم   فارحمهم بطلوع وجهك الباهي
كيف التأخر عن قوم وأنت لهم   نعـم الحبيب وأنت عنهم لاهي

فأجبت الأول بقولي:

يا من شغلت بهم عن غيرهم ولقد   زادت بقلبي بهم نيران أشواقي
أنتـم إذا غبتـم عني فلي خلد   بـه حضرتم وفيه حبكم باقي

وأجبت الثاني بقولي:

أتيتكـم واشتياقي قائدي لكم   وإننـي بكم عن غيركم لاهي
وإن تأخرت عن عذر فلي بكم   ولوع قلب وما عن عهدكم ساهي

فوقفت المذاكرة في معاني الجوابين. فأنشد شيخنا سيدي أحمد بن الخياط في معنى الأول:

أوحشت مذ غبت جميع الورى   إلا أنـا مذ غبـت آنستني
سكنـت في قلبي فما ينبغي   يقـال للساكـن أوحشتني[2]

---

[1] سبق التعريف به في ص 147

[2] وقفت على تخميس لهذين البيتين للشاعر العراقي عدنان الغريفي ونصه:

بالروح أفدي نازحا قد درى   من بعده في الناس ما قد جرى
يا غائبا مذ بان بان الكرى   مذ غبت أوحشت جميع الورى
إلا أنـا وا آنستنـي
سـواك لا أهوى ولا أبتغي   وعاذلـي فيك ظلوم بغي
أوحشت غيري يا مني بغيتي   مكانك القلـب ولا ينبغي
أقـول للساكن أوحشتني

ومما قيل في هذا المعنى قول الشاعر العربي بهاء الدين زهير بن محمد المهلبي العتكي:

فيا قمري مذ غبت أوحشت ناظري   لعلـك ليـلا مؤنسي بطلوع
ومـا أنـا في العشـاق أول هالك   وأول صـب بالفراق صريع
وإن كتـب ا السلامـة أننـي   إليكم وإن طال الزمان رجوعي

ومن معنى الثاني:

إنا أقمنا على عذر وعن قدر ومن أقام على عذر كمن راحا[1]

وقـد جالـت المذاكرة في فنون أدبيات. ونكت مستملحات. واقتطفنا من أفنان فنون شيخنا ابن الخـياط أزهـارا وأنوارا. ومعارفا وأسرارا. فسألته عن تعلم اللغة الأجنبية وحكمهاþ فأجاب حفظـه ا أنـه ثبت أن النبي صلى ا عليه وسلم أمر عمرو بن العاص بتعلم لغة. ليكون ترجمانا له. فأصل الإباحة وارد. إلا أنه يعتري من تعلم لغة الميلان بالطبع إلى أصحاب تلك اللغة. ومن هذه الحيثية يخاف على من تعلمها. خصوصا الصبيان. فإنهم ينشؤون على أخلاق معلميهم.

وسألته عن التصوير بالفوتوغراف. فأنشدنا قول الشيخ الأجهوري و نصها كلها :

وتمثـال ذي ظل إذا دام حرموا وما لم يـدم أيضا وأصبغ خالفا

و ما ليس ذا ظل وصاحب مهنة فترك لـه أولى وقيت المخالفا

وإن يعـر عنها فهو يكره ثم ذا بغيـر تماثيل الجمادات فاعرفا

فأمـا تماثيـل الجمـاد فجائز كناقص عضو من سواه بلا خفا

وذيلها الرهوني فقال:

ولكن ذا رد صوابه إنما يجوز كرجل للبهيمة تقتفى

وذكـر حديث الصحابي الذي كانت حرفته التي يقتات منها هو التصوير. فقال: ولم اتحقق هل ذكـر هذا العلم صاحب الأقنوم أولا þ وحاصل الجواب أن أخذ الصور بالآلة المذكورة خلاف الأولـى. وقد جرت المذاكرة الكلام. هل يجوز امتهان صورة الآدمي بالوطء عليها þ وكيف يصح ما يقال : هذه صورة فلان. وبيننا وبينه قرون. حتى كان قبل الإسلام þ فأجاب شيخنا : إن التصـوير أصله ثابت. وهو من قبل الإسلام. ولم يرد النهي عنه إلا بعد أن كان يستعمل. فـلا يـبعد أن صور الأنبياء والصحابة محفوظة من ذلك الوقت. وأما إمتهانها بعد ذكر أنها صورة الصحابي الفلاني. أو النبي الفلاني. فلا يسوغ ولا يفعله مسلم. كما أنه لا ينبغي تعليقها في البيوت. ورفعها على الجدران. وا الموفق.

[1] البـيت الشعري للعارف با سيدي عبد الغني النابلسي مع تغيير طفيف في بعض ألفاظه، قاله في ختام ثلاثة أبيات ونصها:

شدوا المطايا وقد نالوا المنى بمنى وكلهـم بأليـم الشوق قد باحا

سـارت ركائبهـم تندى روائحها طيبا بما طاب ذاك الوفد أشباحا

إنـا أقمنـا على عجـز ومعذرة ومن أقام على عجز كمن راحا

وعـند رجوعنا رافقت الفقيه التونسي والشريف الحمودي. فقال لي الشريف المذكور: لا تغفل عما تفاوضت معك فيه من ختم سوانح كل يوم بذكر توطئة للصلاة على النبي صلى ا عليه وسـلم. لتكون كالكفارة لما وقع في ذلك اليوم. فشكرته على هذا. إلا أن النسيان يستولي على الإنسـان فـي كتابة ذلك في كل سانحة. سائلا من المولى أن يتجاوز عنا بجاه نبيه صلى ا عليه وسلم. ولهذا سنح لي من اليوم أن أؤلف صيغة من صيغ الصلوات على النبي صلى ا عليه وسلم على حسب ما يسنح. من غير التزام تكلف في ذلك. فنقول في صلاة اليوم بحروف مهملـة: اللهـم صل على أكمل الرسل. حامل لواء الحمد. وأصل كل كمال. ومورد كل مدد وورد، روح الـورى. ولـولاه ما سر لهم سرى. وسلم اللهم على روحه المطهره. وعلى آله سلاما دائما. وعلى سائر الرسل وكل مسلم. طائع مدى الدوام.

ومن فوائد شيخنا ابن الخياط. وهو من سوانح اليوم بعدما تكلم على الخواطر التي تخطر على الخلـق قـال : ما يرد على التالف. يرد على العارف. إلا أن الأول يدوم معه. والثاني يدخل علـيه الخاطر من باب ويخرج من باب. وقال : جماع التوحيد في قولنا : ا تعالى يجب له كل كمال يليق به. ويستحيل في حقه كل نقص.

ومـن فـوائده. قال الشافعي رضي ا عنه : لم يصح في التفسير عن ابن عباس إلا ستمائة حـديث. وهـو الذي دعا له النبي صلى ا عليه وسلم بقوله الشريف : اللهم فقهه في الدين. وعلمـه التأويل[1]. وكان هذا الدعاء بسبب تهيئته للنبي صلى ا عليه وسلم وضوءا. وهو ابن ثلاث عشرة سنة.

ومن سوانح اليوم تذكرنا لقول القائل :

أمـر على الديار ديار ليلى   أقبل ذا الجدار وذا الجدارا

وما حب الديار شغفن قلبي   ولكن حب من سكن الديارا[2]

---

[1] صـحيح البخاري 1: 66 رقم 143. صحيح ابن حبان 15: 531 رقم 7055. المستدرك على الصحيحين 3: 615 رقـم 6280. مجمـع الزوائد 9: 276. مصنف ابن أبي شيبة 6: 383 رقم 32223. مسند الامام أحمد 1: 335 رقم 3102. المعجم الكبير للطبراني 10: 263 رقم 10614. المعجم الأوسط للطبراني 2: 112-113 رقم 1422. المعجم الصغير للطبراني 1: 327 رقم 542.

[2] البيـتان للشاعر الشهير قيس بن الملوح العامري المشهور بمجنون ليلى، وقد شطر هذين البيتين كثير من الشعراء، فمن ذلك قول الشاعر المصري محمد عبد المطلب المتوفي سنة 1350 هـ - 1913 م

أمر على الديار ديار ليلى   فتسبق أدمعي حمرا غزارا
وأذكر جيرة ظعنوا فأحنوا   أقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي   فيطفئ لثمها ذاك الأوارا
ولا لثم الطلول أسال دمعي   ولكن حب من سكن الديارا

وقول الآخر:

رأى المجنون في البيداء كلبا | فجر لـه من الإحسـان ذيلا
فلامـوه على ما كان منه | فقـال رأيتـه في حي ليلى

سوانح يوم الخميس 8 ربيع الثاني عام 1330 هـ

27 مارس 1912 م

وفـي يـوم الخميس، وفيه استعملت الصلاة المتقدمة ذات الحروف المهملة وأقول هنا أيضا: اللهـم صـل على محمد وعلى آل محمد وسلم على روحه لدى الأرواح. وأهد اللهم إلى علاه أكمل إكرام محمود على موائد الكرامه. وكمال السلامه. وعلى آله وسائر أهل ا .

ومن سوانح اليوم قولي:

فضل الصلاة على الرسول ليس له | حـد يحد به بين العبادات
وإن واحـدة منهـا لقارئها | تكفيه من أمره كل المهمات

وأقول:

الذكر من أفضل الطاعات عند فتى | رام السعادة في الدنيا وفي الدين
وبالصـلاة علـى الرسول قد كملت | أركانه وبـه الوصول في الحين

سوانح يوم الجمعة 9 ربيع الثاني عام 1330 هـ

28 مارس 1912 م

وفي يوم الجمعة نظرت وجهي في المرآة فقلت:

انظـر لوجهك في المرآة تلف به | ما ليس تعهده في حالة الصغر
طورا تراه اكتسى بعد الصفا شعرا | وبعـده حلة البياض في الكبر

وتذكرت ما كان يقوله سيدنا الوالد قدس ا روحه في الجنان إذا نظر إلى وجهه في المرآة : يقـول مخاطبا لنفسه : السلام عليك يا وجه الفنا والعدم. موعظة منه لنفسه بأطوار خلقته من طـور إلى طور. وكان رضي ا عنه يقول إذا استيقظ من نومه. موعظة لنفسه ولمن بجنبه قوله على طريقة النظم المعروف بالأزجال (ملحون):

يا نايم يزاك من النوم | داب تزيك المنيه | و تنـوم الدهـر كلو

ومن سوانح اليوم قولي:

إن كنت كامل عقل فاتخذ سببا ... في الخير عندي الذي تريد مرضاته

فغض طرفك عما كان من زلل ... منـه وأحسـن له تكفى معاداته

وأقول:

لكل نطق إذا وزنت آخره ... وزن الدنانير عند الصيرفي الحاذق

حكمـت قطعا على مـن صار يكثر من ... نطق بأن لا يساوي وزنه دانق

البيـتان الأولان مـع هـذين من الضرب الثاني المقطوع للعروض الأولى المخبونة من بحر البسيط. فيقرأ آخرها ساكنا. وأقول من معنى ذلك:

إذا وزنت سكوت المرء معتبرا ... له وللنطق في خير وفي ضير

وجدت عاقبة السكوت أحسن من ... عواقب النطق عند النطق بالخير[1]

ومن سوانح اليوم هذه الصيغة من الصلوات على النبي صلى ا عليه وسلم : اللهم صل وسلم علـى روح الرسـول. أصل كل مدد وسر مقطوع وموصول. أصل الرحمه. ومحل الحكمه. رسول ا المكرم مدى الدوام. والصراط الموصل لدار السلام. وصل وسلم على أهله وأولاده وأصهاره وسائر الآل وكل موال مادام ملك ا . إهـ ...

ومـن سوانح اليوم ما وقفت عليه في الإصابة عند كلامه على الخضر عليه السلام مانصه : ويروى عن سليمان الأشج صاحب كعب الأحبار عن كعب الأحبار أن الخضر كان وزير ذي القـرنين. وأنه وقف معه على جبل الهند فرأى ورقة فيها (بسم ا الرحمن الرحيم) من آدم أبـي البشر إلى ذريته. أوصيكم بتقوى ا . وأحذركم كيد عدوي وعدوكم إبليس. فإنه أنزلني هـنا. فنـزل ذو القرنين فمسح جلوس آدم فكان مائة وثلاثين ميلا[2]. ا هـ ... وقد أطال في ترجمته بما لم أقف على أكثر منه عند غيره.[3]

ومـن سوانح اليوم مـا وقفت عليه في كتـاب الإستيعاب في ترجمة عبد ا بن الزبعري[4]

---

(1) من هذا المعنى قول الشاعر أبي العتاهية :

إن كان يعجبك السكوت فإنه ... قد كان يعجب قبلك الأخيارا

ولئن ندمت على سكوتك مرة ... فلقد ندمت على الكلام مرارا

إن السكـوت سلامة ولربما ... زرع الكلام عداوة وضرارا

وإذا تقـرب خاسر من خاسر ... زادا بـذاك خسارة وتبارا

(2) الإصابة لابن حجر العسقلاني 2: 292 - 293

(3) الإصابة لابن حجر العسقلاني 2: 286 - 334

(4) عبد ا بن الزبعري. صحابي. كان من شعراء قريش في الجاهلية. كما كان أول هجاء للمسلمين. شديد الإذاية لهم، فر لدى فتح مكة إلى نجران، ثم وفد بعد ذلك على النبي صلى ا عليه وسلم، فأسلم بين يديه واعتذر له. ومدحه، توفي نحو سنة 15 هـ .

أنظـر تـرجمته فـي الإصـابة 4: 87. الإستيعاب لابن عبد البر3: 903 – 904. تفسير القرطبي 6: 407. الأعلام للزركلي 4: 87. السيرة النبوية لابن هشام 1: 76 و 3: 283.

الصحابي الجليل. من قصيدة له في مدح الرسول صلى ا عليه وسلم يخاطبه:

فاعفو فدى لك والدي كلاهما   وارحم فإنك راحم المرحوم

وعليك من سمة المليك علامة   نور أغـر وخاتم مختوم[1]

أقول : هذا مثل قول سيدنا حسان بن ثابت في مدحه صلى ا عليه وسلم:

أغر عليه للنبوة خاتم   من ا مشهود يلوح ويشهد[2]

في أبيات ضمنها بيتا لغيره ينسب إليه. وإنما هو كلام أبي طالب يقول فيه:

وشق له من اسمه ليجله   فذو العرش محمود وهذا محمد[3]

انظر الخميس تاريخ الشيخ حسين الديار بكري رحمه ا . فقد حقق فيه ما قلناه:

سوانح يوم السبت 10 ربيع الثاني عام 1330 هـ
29 مارس 1912 م

وفـي يوم السبت وقفت في حياة الحيوان على ما قاله جمال الدين ابن الحاجب في معنى قول القائل:

ربمـا عالـج القوافـي رجال   في القوافـي فتلتوي وتلين

طاوعتهـم عين وعين وعين   وعصتهم نون و نون ونون[4]

قـائلا: قـوله (عـين وعين وعين) يعني به نحو يد وغد ودد. لأنها عينات مطاوعات في القوافي. مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة. لأن وزن يد فع. ووزن غدفع. ووزن ددفع. وقـوله (عصتهم نون ونون ونون) الحوت يسمى نونا. والدواة تسمى نونا. والنون الذي هو

---

(1) البيتان من قصيدة للصحابي عبد ا بن الزبعري، قالهما معتذرا للنبي صلى ا عليه وسلم عما صدر منه من إساءة وكفر وإنكار. ونصها :

منـع الرقـاد بلابـل وهموم   والليـل معتلج الـرواق بهيم
ممـا أتانـي أن أحمـد لامني   فيه فبـت كأننـي محمـوم
يا خير من حملت على أوصالها   عيرانة سـرح اليدين غشوم
إنـي لمعتـذر إليـك من التي   أسديت إذ أنا في الضلال أهيم
أيـام تأمرنـي بـأغوى خطة   سهم وتأمرنـي بهـا مخزوم
وأمـد أسباب الردى ويقودني   أمر الغـواة وأمرهـم مشؤوم
فاليـوم آمـن بالنبـي محمـد   قلبي ومخطـع هـذه محروم
مضت العداوة وانقضت أسبابها   وأتت أواصـر بيننـا وحلوم
فاغفـر فدى لك والدي كلاهما   وارحم فإنك راحـم مرحـوم
وعليك من سمـة المليك علامة   نور أغـر وخاتـم مختـوم
أعطـاك بعـد محبـة برهانه   شرفـا وبرهـان الإله عظيم

(2) البيت الشعري لبجير بن زهير المزني، ذكره ضمن أربعة أبيات قال في مطلعها :

أتانـا نبـي بعـد يأس وفترة   من ا والأوثان في الأرض تعبد

(3) البيت الشعري منسوب لأبي طالب عم النبي صلى ا عليه وسلم، قاله بعد بيت آخر وهو :

لقـد أكـرم ا النبـي محمدا   فأكـرم خاق ا في الناس أحمد

(4) أنظرهما في كتاب معجم السفر لأحمد بن محمد السلفي 1: 150 رقم 467.

الحـرف. وكلهـا نـونات غير مطاوعة في القوافي. إذ لا يلتئم واحد منها مع الآخر. وهكذا وجدته أيضا منقولا عند بعضهم. ولكن ما ذكر في معناهما فيه برودة. وظهر لي في معناهما مـا عسـى أن يكـون هـو المراد. وذلك أن يقال : ساعدتهم عين بمعنى الذهب والفضة. والمقصـود بها كون القائل من ذوي الثروة. أو أعطيت له الجائزة على قوله. والعين الأخرى بمعنى حضور كحيل الأحداق معه في بساطه. والعين الأخرى بمعنى العين الجارية الصافية. وهذه الأشياء الثلاثة إذا توفرت عند الشخص تستدعي أن يتسع له المجال. وينطلق له المقال. لكـنه ربما لا يساعده على القول نون ونون ونون. والمراد الدواة. والحرف الذي يكون قافية. والقلم فلا يتأتى له شيء من القول. وا أعلم. وإن كان في النون الثالث نظر:

ومن سوانح اليوم قولي:

خليلـي إن للنسـاء مكايـدا   وهن لكل المهلكات وسائل

فكن حذرا منهن ما عشت في الهنا   بهن فهن للرجال شواغل[1]

وقول:

قالوا مصاهرة الرجال قرابة   فاختر مصاهرة القريب الأقرب

فأجبتهـم بعد التجارب إنني   أختـار قربا لا أراه يضربي

وأقول:

جربت ود أقاربي وأباعدي   فوجدت ود أباعدي أولى لي

ووجدتهم في النائبات أقاربي   وأقاربي كانوا هم الأعدا لي

وأقول:

لا قـرب إلا بالمودة باطنا   وسوى المودة ليس فيها طائل

لا خير في قرب بلا ود ولو   في ظاهـر لكـن هـذا باطل

وأقول:

القـرب قربـان ليس يعدله   قرب وذلك قرب في المكانات

والقرب الآخر بالوداد منشؤه   وغيـره لا يعـد بالقرابات

[1] من هذا القبيل قول الإمام علي كرم ا وجهه من قصيدة طويلة له تقع في 66 بيتا:

وتـوق من غدر النساء خيانة   فجميعهـن مكائد اك تنصب

لا تأمـن الأنثى حياتك إنها   كالأفعوان يـراع منه الأنيب

لا تأمـن الأنثى زمانك كله   يوما ولو حلفـت يمينا تكذب

تغري بطيب حديثها وكلامها   وإذا سطت فهي الثقيل الأشطب

وأقول:

لا شيء أحسن من مودة القربا　　فيما يرى بينهم لو دام في الناس
لكـن مودتهـم ليست بدائمة　　وربما انقطعـت من بعد إيناس

وأقول:

إن العداوة إن في ناسها ظهرت　　وجدتها نشأت من أجل شيئين
تخالـف في اعتقاد باتباع هوى　　أو ذاك عن حسد بين الفريقين

وأقول:

دع عنـك ويحك مابه　　أصبحـت متبـع الهوى
أعطيت نفسك ما اشتهت　　فمتـى يكون لك ارعوا

وأقول:

مالي إذا ما وعظت نفسي انهمكت　　كأن وعظي لها حض على الزلل
مـا ذاك إلا لما عودت من كسل　　حتـى يوفقنـي مولاي للعمل

ومـن سـوانح اليوم: اللهم صل على أصل الأرواح. والممد لها كمال المدد الواصل إلى أهل الصـلاح. وسـرى للرسـل مما أولاه ا . ولولاه صلى ا على روحه ما أعطى ا الرسل سؤلهم. وسواهم أحرى. أدم اللهم على روحه السلام. وأوصله المحل الموعود له. وسلم على آله الكرام. وكل امرئ والاه على طول الدوام.

سوانح يوم الأحد 11 ربيع الثاني عام 1330 هـ
30 مارس 1912 م

وفـي يوم الأحد قرأت في ترجمة معاوية بن معاوية المزني الصحابي المتوفي في حياة النبي صـلى ا عليه وسلم. في كتاب الاستيعاب حديثا بسنده إلى أنس بن مالك قال : نزل جبريل على النبي صلى ا عليه وسلم فقال : يا محمد مات معاوية المزني. أ فتحب أن تصلي عليه؟ قـال : نعـم. فضـرب بجناحيه الأرض. فلم تبق شجرة ولا أكمة إلا تضعضعت. ورفع إليه سـريره حتـى نظر إليه فصلى عليه. وخلفه صفان من الملائكة. في كل صف سبعون ألف ملـك. فقال النبـي صلى ا عليه وسلم : يا جبريل بم نال هذه المنزلة من ا ؟ قال: بحبه

(قـل هـو ا أحـد) وقراءته إياها جاثيا وذاهبا. وقائما وقاعدا. وعلى كل حال. وذكر هذا الحديث بسند ورواية أخرى. أنظره فهو نفيس جدا[1]. وقلت:

لكـل أخـي فضـل وإن جل نكبة حشـى أنبيـاء ا مالهـم نكبه
فـإن أبصـرت عينـاك نقصا فغطه بستر وغض الطرف في الصحو والغيبه

سوانح يوم الإثنين 12 ربيع الثاني عام 1330 هـ
31 مارس 1912 م

وفي يوم الإثنين قلت:

أنفـاس نفسـك مـا لهـا شيـيء يسـاوي قدرهـا
فلتصرفنهـا فـي التقى فعسـى تنيلـك خيرها

و أقـ ـ ـول:

للنفـ ـس ميـ ـل للهـوى بالطبـع و هي به تجور[2]
فاحـذر غوائل[3] شـرها فهـي التي تهوى الفجور

ومـن سـوانح الصلاة اليومية : اللهم لك الحمد على ما أسداه كرمك على أكرم الرسل محمد المحمود ،حامل لواء الحمد إمام أهل ا صلى ا عليه على روحه المطهره، و سلم على سره الأطهر ، وصلى وسلم آله الكرام و ارحم اللهم كل امرئ والاه وسلك على مسلكه مدى الدوام وصل وسلم على أولاده و أصهاره وعلى أهل ودادهم، و سائر أهل ا ما دام ملك ا .

و من سوانح اليوم ما كتبت به لمحبنا لبشريف العلامة سيدي الحبيب بن عبد المالك الوهراني[4] أمنه ا طي رسالة:

يا يـا قاصدين قطـر وهران حيوا الحبيب الذي ثوى[5] بوهران[6]
فلـي به كلف قـد زادني شغفا به فصـ ـرت أحـب كل وهران
هو الحبيب ابن عبد المالك العلوي و إننـي عبـ ـده في ناس وهران

---

[1] أنظـره فـي سنن البيهقي الكبرى 4: 51 (رقم 6824). شعب الإيمان للبيهقي 2: 509 (رقم 2553) المعجم الكبير للطبراني 19: 428 (رقم 1040) الإصابة لابن حجر العسقلاني 6: 159-160. عون المعبود 9: 13. تهذيب الأسماء 2: 408 (رقم 589) نصب الراية 2: 283- 284. نيل الأوطار 4: 89. تفسير ابن كثير 4: 570.
[2] تجور : تظلم وتطغى
[3] غوائل : جمع غائلة وهي الداهية والمهلكة
[4] سبق التعريف به في ص 162
[5] ثوى : أقام
[6] وهران : مدينة جزائرية تقع على ساحل البحر الأبيض المتوسط وهي من كبريات مدن الجزائر

إني و إن كنـت في فاس في خلد[1] قد طار منـي إلى سكان وهران

جسمـي بفاس و قلبي حل بينهم مخيمـا عنـد أحبابـي بوهـران

و لا عجيـب إذا أ قـام عندهم فإنهـم أهـل عرفـان بوهران

بفضلهـم عرفوني فاكتسب بهم معرفـة بـأرض وهـران

يـا أهل وهران لي في ربعكم قمر وا عظمـه يـا أهـل وهران

فخير وهران هم أصحـاب سيدنا القطـب التجانـي وأصحابـي بوهران

قلبـي يحبهـم نفسـي تودهـم ولا أزال أحـب أهـل وهران

مني السلام عليهم مـا تحرك لي قلـب بشـوق لأحبابي بوهران

سوانح يوم الثلاثاء 13 ربيع الثاني عام 1330 هـ

1 أبريل 1912 م

وفـي يوم الثلاثاء خرجنا مع شيخنا الرئيس لقبض العشية، وانجر الكلام بنا في معنى العينات الـثلاث والنونات المتقدمة، فاستصوب المعنى الذي أشار له ابن الحاجب، واستظرف المعنى الـذي أشـرت إليه قائلا: إذا ساعدت اللغة على أن يكون النون بمعنى القلم، ثم راجعت اللغة فـوجدت الـنون يطلق على السيف، ولاشك وأن القلم يشبه بالسيف، وعليه فالنون الثالث هو القلـم الذي هو شبيه بالسيف. ثم حضرني معنى آخر، وهو أن العين لها معان كثيرة، فتساعد الشـاعر علـى أن ينظم قصيدة مشتملة قافيتها على لفظ العين، مع اختلاف المعنى، بخلاف النون فهو إنما يطلق على معان قليلة، على الدواة والحوت والحرف، ولا تجد معنى زائد على هذا إلا قليلا وهو السيف، فلا تساعد الشاعر على أن يستعمل قصيدة في آخرها لفظة (نون) مـع اختلاف المعاني أكثر من ثلاثة أبيات، أو أربع. وحضرني معنى آخر، وهو أن (عين) لا يمكـن جمعها مع نون في القافية لما في الجمع من سناد الردف، وذلك من عيوب القافية، وهذا كله إنما هو بالتماس معنى لطيف لهذين البيتين، وإلا فهما مـن قبيـل اللغـز أو باب (عينان عينان لم يكتبهما قلم[2]) على طريق الإشارة إلى معان لا يفصح عنها إلا صاحبها، أو بواسطة راويها عنه، مع أن المعاني التي ذكرنا لا تخلو عن تكلف.

---

[1] الخلد : البال والقلب

[2] إشارة لقول بعض كبار الصوفية:

عينان عينان لم يكتبهما قلم في كل عين من العينان نونان

نونان نونان لم يكتبهما قلم في كل نون من النونان عينان

أنظر شرح الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه لهذين البيتين في جواهر المعاني وبلوغ الأماني ج 2 ص 81

وفي هذه العشية أنشدنا شيخنا المذكور قول الأرجاني:

أحب المرء ظاهره جميل ... وباطنه لصاحبه سليم

مودته تدوم لكل هول ... وهل كل مودته تدوم[1]

والبيت الأخير مما لا يستحيل بالإنعكاس، وهو عديم النظير في بابه انسجاما، ولم تساعد سجية على نظم مثله تماما. وبعد قبض العشية صاحبني للمبيت معي بالدار الأديب الرحالة الفقيه السيد الشافعي بن محمد بن علي بن أبي بكر النفطي الشريفي نسبة إلى أولاد شريف من بلاد الجريد. القاطن بنفطة من عمالة تونس، التجاني طريقة، الوارد لزيارة سيدنا رضي ا عنه في هذه الأيام، وكنت اجتمعت معه أولا بالرباط في رحلتي مع سيدنا محمود حفيد الشيخ رضي ا عنه، وكان قادما معه من الجزائر، لكن حصل له مانع عن الوجود معه حتى قدر ا بوصولنا للرباط فقدم عليه ناويا الذهاب لزيارة الشيخ بفاس، ومر على طريقه بحرا للرباط، وقد شرح أحواله ومقاصده في ما كتبه في هذه الرحلة، وهي رحلة لطيفة مشتملة على فوائد علمية ونكث أدبية، وجمع فيها ما حصل له من المساجلات مع أدباء كل قطر ورد عليه، ومما أنشدنيه في هذه الليلة من ألغاز ابن غازي قوله:

يحق لجفن العين إرسال دمعه ... على سيد قد بيع في عتق عبده

فما ذنبه حتى يباع ويشترى ... فقد بلغ المملوك غاية قصده

وقد التمس مني أن أجيب عنه نظما فقلت:

يباع لما قد كان منه فإنه ... تعدى على حق الشريك بعبده

فأعتق بعضا منه مذ كان ملكه ... بإذن لمولاه فبيع لقصده

وقلت في جوابه أيضا وهو أقعد مما قبله:

لقد بيع لما قام يعتق بعضه ... وقد كان رقا للسوى بعض عبده

فأعتقه بالإذن من مالك له ... وليس له مال يوفي بحده

وأنشدته لغزي في لفظة (أب) وهو:

أفدني ما اسم مسماه قد ... أتى لسوى اثنين بين الورى

وجملته مثل جملته ... ولكن بحرفين قد ظهرا

---

[1] البيت الشعري لناصح الدين الأرجاني قاله ضمن قصيدة من بحر الوافر، تقع في 67 بيتا، قال في مطلعها:

لأي وميض بارقة أشيم ... ومرعى الفضل في زمني هشيم

أبيت وخد ليل الشعر مني ... بكف الصبح من شيبي لطيم

وضم إلي أفكاري جناحي ... فلي في عش مطرحي جثوم

فعذرا إن تغير عهد شعري ... وقد يغضي عن الزلال الحليم

ففكه، وأنشدته لغزي في الإسم، وهو :

ألا يـا مـن له عقل رجيح — لدى علم الكلام وفي الحديث
فمـا شيء يكون لكل شيء — ويوجـد للقديـم وللحديـث

سوانح يوم الأربعاء 14 ربيع الثاني عام 1330 هـ
2 أبريل 1912 م

وفـي يوم الأربعاء خرجنا للنزهة باستدعاء العلامة الفاضل سيدي محمد الفاطمي الشرادي[1] أمنه ا مع جماعة من الأفاضل على وادي الجواهر، وضربت هناك قبة لذاك، فحضر شيخنا العلامة الرئيس، وشيخنا العلامة الشريف ابن الخياط[2]، والفقيه التونسي[3]، وجماعة من طلبة العلم ذوي الأدب الرائق، وقد أنشدنا العلامة الشرادي في هذا الجمع قوله :

مريـد الفـلاح يهادي الملاح — بنفس له في المسا والصباح
وخدن[4] النجاح يناجي الصباح — بلوغ العوالـي بشد الوشاح
فدونـك محفـل[5] قـوم غدوا — هـداة الأنام لكـل نجـاج
فيـا سعد مـن لحماهـم دنا — يمتـع بين وجـوه صباح
هنيئـا لمن قـد أتـى وفدهم — وأكـرم نفسا عراها الجناح
فعـرج أخـي علـى حيهم — فإني سمعت بهم في البطاح
عمـاد خيام لهـم قد علت — بوادي الجواهـر فيها رباح
فـلا تعدلوا مـن غدا حبهم — يجـر الذيول لروح وراح

فقال في ذلك شيخنا الرئيس في وصف ذاك البساط، الذي حصل لنا به كمال الإنبساط :

بـراح[6] عجيب تضمن ما — تلـذ العيـون بـروح وراح
بضفـة وادي الجواهر في — أمان الربيـع بحال انشراح
ونهر ترقرق[7] ممـا عراه — بهـب نسيـم يلين الصفاح[8]

---

(1) سبق التعريف به في ص 148
(2) سبق التعريف به في ص 138
(3) سبق التعريف به في ص
(4) الخدن : الحبيب والصاحب
(5) المحفل : مجلس
(6) البراح : المتسع من الأرض لا شجر فيه ولا بناء
(7) ترقرق الماء : جرى جريا سهلا
(8) الصفاح : الحجارة العريضة

وجمـع نجوم هـداة علوا ... لبث علـوم التقـى والنجاح

بهم طاب يومي ونلت المنى ... وأحرزت كنز الحبا[1] والرباح

وكـدت بمشهدهـم أعتلي ... سرورا متون[2] الربى والبطاح

أنـاس حووا كـل مكرمـة ... وخاضوا العلـوم بغيـر جناح

وبثـوا الوداد بحفـظ البها ... بطيب جنى مـن مـدام مباح

أدام الإلـــه سلامتهـــم ... وأكرمهـــم بالهـدى والفلاح

وعند استعماله لهذه الأبيات استعملت هذه الأبيات :

أدرها علـى الراح بعد المزاح ... على رغم أنف العدا واللواح[3]

وروح[4] بها الروح في محفل ... يسلي النفوس بكل انشراح

بـوادي الجواهر قد ضربت ... قباب لهم في نسيم الصباح

فقـم واغتنـم ساعة معهم ... لتحـرز منهم كمال النجاح

هـم سـادة ولعوا بالتقى ... وسعيهـم دائمـا للرباح

فمـن حـل بينهـم يبتغي ... منـاه ينـال المنى و الفلاح

ولـم لا وهم علما فضلا ... لهم في الأنام وجوه صباح

إذا مـا نظـرت وجوههم ... وحقهـم نلت كل صلاح

ألســت ترانـي طفيلهـم ... أطيـر إليهـم بغيـر جناح

وقـد قبلونـــي بفضلهـــم ... على كـل حـال بكل ارتياح

فـلا زال جمعهـم سالمـا ... وطيبهـم عـم كل النواح

وكانت في هذا اليوم الرياح عاصفة طول النهار، فتذاكرنا بأن الشاعر إذا صار ينظم الشعر في جلب شيء أو دفعه، أو تحريكه أو تسكينه فإنه يكون ما يريد وفق مطلبه، وفي ذلك يحكى عن أحد أصحاب الملحون، فإنه صار يخاطب الناعورة إلى أن أوقفها، ثم أخذ شيخنا الرئيس القلم وقال:

يا ريح كف عن الهبوب وكن بنا ... ذا عفـة ولطافـة وسكون

إن لـم تكف فذا الأديب سكيرج ... يهجوك في شعر له بسجون

فهـو الـذي يخشاه كـل سميدع ... إن لم يكن في حزبه بسكون

فاسكن فإن تسكن يكـن لك مادحا ... في نظمـه بعجائـب بفنون

---

(1) الحباء : العطية

(2) متون الربى : ما ارتفع منها واستوى

(3) اللواح : جمع لاح، وهو الشاتم والمنازع واللائم

(4) وروح بها الروح : بمعنى أنعشها

ولازلـنا في ذلك البساط، في كمال نشاط، إلى اصفرار الشمس، وطابت من جميعنا كل نفس، ونحـن علـى ضفة الوادي، والزرع أمامنا يتمايل تمايل النشوان المتمادي، إلا أنه يحتاج إلى غيث نافع، فقال شيخنا الرئيس مستجيزا:

انظر إلى بسط الربيع تمايلات　　　في خضرة وترونق وتنسق[1]

فقلت:

فـإذا نظرت لهـا رأيت كتائبا[2]　　　خضراء قد هزمت بريح مخفق[3]

ماجـت كبحر قـد تلاطم موجه　　　في عيـن ناظـره مديـم ترقرق

تـزداد حسنا كلمـا قد زدتها　　　نظرا وتعطـي الطيب للمستنشق

فقال:

أرجـو لها مطـرا غزيرا طيبا　　　بسلامـة تأتـي برعـد مبرق

فقلت:

وانظر إلى وادي الجواهـر حولها　　　يجري على صفح اللجين المشرق

قـد غـار منها عندما لبست به　　　ثوب اخضرار في اللباس الأزرق

فكأنهـا من جنـة قـد أخرجت　　　وكأنـه أوج[4] السمـا للمرتقي

وانظـر إلى شمـس السماء فإنها اصفرت مـن الحسد الذي فيها بقي

فتسترت[5] تحت السحاب وأطلعت　　　بين الخلال شعاعهـا في رونق[6]

فـازداد عندئذ سـرور بساطنـا　　　رغمـا على أنف الحسود السهوق

فا أسـأل أن يـدوم سرورنـا　　　بسلامـة في الجمـع دون تفرق

وقلـت عندما رأينا الزرع يميل بتلك الرياح، ويخفق بها خفقان قلب العاشق إذ مد له معشوقة كأس الراح، على الراح للراح :

انظـر إلى الـزرع يمد كفه　　　إلى السمـا يطلب غيثا نافعا

أسـأل ربنـا بـأن يغيثـه　　　بما يكـون للأماني جامعا

---

(1) النسق : ما كان على طريقة نظام واحد من كل شيء

(2) الكتائب : مفرد كتيبة، وهي القطعة من الجيش أو الجماعة من الخيل

(3) ريح مخفق : مضطرب

(4) الأوج : العلو

(5) تسترت : اختفت

(6) الرونق : الجمال

وقـد عثـر شيخنا الرئيس – أمنه ا – على العشبة المعروفة (بكرننش) وتعرف في لسان الأطـباء (بقرة العين) نابتة على ضفة الوادي، وهي من العشب الحارة الهاضمة المنعظة، مذاقها مذاق الفجل، وألطف منه، فناولني منه شيئا لأذوقه، فقال:

أكلـــت قـــرة عينـــي وأنــت قـــرة عينـــي

فقلت:

بل أنـت إنسـان عيني أغنيـت عـن كل عين

وحدثـنا شيخنا العلامة ابن الخياط أنه رأى المولى أبا العلاء إدريس بن إدريس[1] مرارا، فرآه مـرة فقبض عليه وقال له: تب . فقال: أنا تائب أنا تائب. ورآه مرة أخرى فأنشده بيتين يقول منهما (ارفع الرأس إلينا كرة) إلخ، يشير إليه إلى أنه يتصرف في قبره رضي ا عنه.

ومـن الحكايات التي حكى لنا شيخنا الرئيس أمنه ا أن بعض الناس سمع بأن قراءة (يس) تحفـظ قارئهـا من جميع المكاره، خصوصا اللصوص، قال: فلازمها، فاتفق أن خرج عليه اللصـوص مع جماعة فسلبوا منهم جميع حوائجهم، وهو لا يعبأ بذلك، بل لازال يتلوها حتى أتوه ونزعوا منه حوائجه، فلم يلتفت لذلك حتى مدوه للذبح، فعندئذ تنهد وقال: لا ا إله إلا ا مـا هـذا يا يس þ مناديا للسورة، ومتحسرا على ما وقع له، فبمجرد ما سمع الذي أراد ذبحه قـوله: ما هذا يا يس þ قام عنه وقال له : إن هذا يعرفني، وكان اسمه ياسين، فردوا له متاعه ولمن معه، وهذه من خصائص هذه السورة.

---

[1] المولى إدريس بن إدريس بن عبد ا الكامل الحسني، مؤسس مدينة فاس، ولد بجبل زرهون سنة 177 هـ، وبويع لـه عـام 188هـ، عن سن لا يتجاوز 11 سنة، فاتسعت فتوحاته، وعمت بركاته، واستطاع في وقت وجيز أن يؤسس أول دولة مغربية إسلامية، تمتد شرقا إلى حدود تونس، كما لعب دورا رائدا في محاربة الوثنيين والقضاء على كثير من طوائفهم الضالة، الشيء الذي ساعد على بزوغ الإسلام وانتشاره داخل كافة جهات المغرب، توفي بعاصمة ملكه (فاس) سـنة 213 هـ، وقيل عن سبب وفاته أنه أكل عنبا فشرق بحبة منه فمات لحينه، وترك من الأولاد إثنى عشر ذكرا، وهم: محمد. وعبد ا . وعيسى. وإدريس. وأحمد. وجعفر. ويحي. والقاسم. وعمر. وعلي. وداود. وحمزة.
أنظـر تـرجمته فـي الإستقصا للناصري 2: 29- 40. جذوة الإقتباس لابن القاضي 1: 24- 41. الأزهار العاطرة الأنفـاس بذكر محاسن قطب المغرب وتاج مدينة فاس لمحمد بن جعفر الكتاني، وهو كتاب خاص بترجمته. وفي سلوة الأنفـاس لـنفس المؤلـف 1: 71-85. إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، لابن زيدان 2: 17. البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري 1: 103. تاريخ ابن خلدون 4: 13.

سوانح يوم الخميس 15 ربيع الثاني عام 1330 هـ
3 أبريل 1912 م

وفي يوم الخميس خامس عشر ربيع الثاني اجتمعنا عند العلامة الفاضل سلالة الشرف الكامل، سـيدي عـبد الحي الكتاني[1]، مع الفقيه الأفضل سيدي العباس بن ابراهيم المراكشي[2] أديب مراكش. بمرافقة الأديب الرحالة السيد محمد الشافعي ابن محمد النفطي، فكان اجتماعنا جمع سلامة، محفوفا بكرامة، ووقعت مذاكرات علمية.

ومن سوانح اليوم ما تذكرته من قول يا قوت العرشي من تلامذة أبي العباس المرسي، وهو

---

(1) محمـد عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، محدث فقيه حافظ، ولد بمدينة فاس في ربيع النبوي سنة 1303هـ، وبها أخذ العلم عن جماعة من العلماء منهم: محمد بن المدني كنون، وعبد السلام الهواري، ومحمد بن قاسم القادري، وأحمد بن الخياط، ومحمد بن جعفر الكتاني، وأحمد بن الجيلالي الأمغاري وآخرين.

لـه مؤلفات كثيرة تنوف على 500 تأليف، منها: فهرس الفهارس والأثبات. والبيان المعرب، عن معاني بعض ما ورد فـي أهـل اليمن والمغرب. والرحمة المسلسلة، في شأن حديث البسملة. ولسان الحجة البرهانية، في الذب عن شعائر الطـريقة الأحمديـة الكتانية، وغيرها. وكان العلامة سكيرج يشيد بصاحب الترجمة كثيرا وقد قال منوها به في بعض ختماته لصحيح البخاري ما نصه :

بعبـد الحي أحيى الله دينه	وأعطـاه الفتوة والسكينه
حبـاه الله مـن علم لدني	جواهر فـي قلادته ثمينه
به العلياء قد أضحت تباهي	وفي العرفـان رتبته مكينه
غدا بحرا محيطا في علوم	بها لسـواه لـم تعبر سفينه
وأخـرج من زواياها خبايا	وكانـت في لطافتها كمينه
فـلا تحصـى مزاياه بعد	وليس يـرى لها أحد قرينه
فيـا لله مـا أبـدى بختم	أقر بفضلـه أهل الضغينه
فـلا زالت به العلياء تسمو	بتأييـد وساحتـه مصونـه
ويرزقـه الإلـه كمال حفظ	محوطـا بالرعايـة والمعونة

توفـي بباريس سنة 1382 هـ - 1962م. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع لابن سودة 2: 578. شجرة النور الزكية لمخلـوف 1: 620 (رقـم الترجمة 1720) الأعلام للزركلي 6: 187. مقدمة كتابه فهرس الفهارس باعتناء الدكتور إحسـان عباس 1: 5-33. رياض السلوان فيمن اجتمعت بهم من الأعيان للعلامة سكيرج 43. قدم الرسوخ فيما لمؤلفه من الشيوخ للمؤلف نفسه (رقم الترجمة 27)

(2) عـباس بـن محمد بن ابراهيم السملالي المراكشي، يعرف بيته بمراكش ببيت (ابن ابراهيم) نسبة إلى جد أبيه، وكـان مسقط رأسه بمراكش سنة 1294هـ. و بها أخذ العلم عن نخبة من علية فقهاء جامع ابن يوسف، ولدى تخرجه تصـدر للـتدريس، فزاوله مدة غير قصيرة، ثم اشتغل بعدئذ بخطة القضاء، فكان معروفا فيها بنزاهته وانضباطه. قال صـاحب الأعـلام : ولما خرج الفرنسيون من المغرب تألفت محكمة خاصة لمحاكمة المتهميـن بالخيانة من أعيان البلاد. وكان عباس منهم. إلا أنه ظهرت صحيفته بيضاء. وأعلنت براءته في أغسطس (غشت) 1958 م. إهـ ..

وله مؤلفات كثيرة منها : الإعلام، بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام. وإظهار الكمال، في تتميم مناقب سبعة رجال، والأجـوبة الفقهـية فـي الأحكـام المسجلة، وحاشية على صحيح مسلم، لم تخرج من مسودتها، والإلماس، فيمن اسمه العباس. وتاريخ ثورة الشيخ أحمد الهبة ماء العينين. وديوان شعر.

توفـي يـوم الأربعاء 20 شوال عام 1378 هـ - 29 أبريل 1959 م. ودفن بضريح الولي الصالح سيدي محمد بن سـليمان الجزولي بمراكش. أنظر ترجمته في إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب لحجي) 9: 3339 – 3340. الأعـلام للزركلـي 3: 265- 266. مقدمـة كتابه الإعلام بمن حل مراكش وأغمات من الأعلام، بتحقيق الأستاذ عبد الوهاب بنمنصور (مطلع الجزء الأول) مجلة دعوة الحق سنة 1959 م عدد 10. معلمة المغرب 1: 84 – 85.

مضمن التنوير في اسقاط التدبير:[1]

ما ثـــم إلا مـــا أراد فاطــرح همومــك وانطرح

واتــرك شواغلك التي شغلــت فــؤادك تسترح

ومما استحضرته ما كنت استودعت به أديب سلا سيدي الحاج الطيب عواد حين كنت بسلا:

استودع ا ربــي طيبا كرمت أخلاقه وهو مــن سليل عواد

إني أقول له والشوق يزعجني با كن بدوام الوصل عوادي

سوانح يوم الجمعة 16 ربيع الثاني عام 1330 هـ

4 أبريل 1912 م

وفي يوم الجمعة تذكرت ما حفظته من بعض أشياخنا من قول القائل في الأمور التي قيل فيها أنها تورث الفراق:

خليلي ما أعطيت للحب[2] خاتما ولا قلما مبرى ولا بست[3] عينه

ولا آلــة للقطع[4] توجــب بيننا فما سبــب التفريق بيني وبينه

سوانح يوم السبت 17 ربيع الثاني عام 1330 هـ

5 أبريل 1912 م

وفي يوم السبت سئلت عن رجل من ذوي الجاه ادعى عليه رجل بأنه سلفه دراهم، وعجز عن إثــبات دعواه، فحكم القاضي على خصمه المنكر باليمين فقال: لا أحلف له، لكوني من ذوي المرؤة والجاه، فهل تجب عليه هذه اليمين þ فأجبت: بأن البينة على المدعي، واليمين على من أنكــر، ولكــن حــيث كان من ذوي المرؤة فربما يكون المدعي أراد أن يهينه، ويسقط أبهته بالتسليــط عليه، وربما إذا فتــح هذا البــاب بتصديق كل مدع، وإيجاب اليمين على خصمه لادعى قوم على قوم، والمذهب عند مالك لا يهين إلا إذا كانت بينهما خلطة، وخالفه عمل أهل الأندلس اهـ .

[1] التنويــر في إسقاط التدبير، من تأليف الشيخ أحمد بن محمد المعروف بابن عطاء ا الإسكندراني. قال عنه صاحب كــتاب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : ذكر أنه ألفه بمكة المكرمة، ثم استدرك عليه بدمشق، وزاد فيه فؤائد. اهــــ.. وللشــيخ سيدي أبي العباس التجاني رضي ا عنه تلخيص لهذا الكتاب، جمعه إبان فترة تحصيله. ولدينا و الحمد نسخته الخطية لهذا التلخيص.

[2] الحب : المحب

[3] بست : من فعل باس يبوس بوسا، بمعنى قبلت

[4] إشارة لبعض أدوات القطع كالسكين والمقدة والمقص وغيرها

ومن سوانح اليوم ما أقوله هنا:

إذا وجــــدت سبيــــلا لنيــل مــا تشتهيـــــه
فــلا تكــن متراخــي[1] وفــز بمـــــا تبتغيــه

سوانح يوم الأحد 18 ربيع الثاني عام 1330 هـ
6 أبريل 1912 م

وفي يوم الأحد سنح لي أن أقيد من قولي في تقريض :

إن علــم الحديــث أنفس علم ينفــق الطالبــون فيه النفوسا
فاجتهد في تحصيله عن هداة لهــم طأطأ الســراة الرؤوسا
فهــم في الأنــام أنجح سعد بسنــا نورهم أزلــوا النحوسا
فاقتبــس قبس المعارف منهم والتزم فــي العلوم منهم دروسا
كــل من يهتدى بهم نال فوزا ووقــاه بيــن الورى ا بوسا

سوانح يوم الإثنين 19 ربيع الثاني عام 1330 هـ
7 أبريل 1912 م

وفــي الإثنين تلاقيت مع الأديب العدل الحبيب الشريف الودغيري سيدي الفاطمي البكراوي، فصار يتكلم إلى أن قال لي : إني أحبك محبة لا تزال في وثوق :

ويزيدهــا مــر الليالــي جــدة وتقادم الأعصار حســن شباب[2]

ولقــد أجــاد قائل هذا البيت، وأحسن هذا الشريف في توطئته له، فلذاك سنح لي أن أقيده هنا واجعلــه مــن سوانح هذا اليوم. وهذا الشريف ممن لنا معرفة معه منذ الصبا، وقرأ معنا في مكتب واحد، وهو أكبر منا سنا وفضلا زاد ا من أمثاله.

---

(1) متراخ : بطيء ومتأخر
(2) البيت للشاعر أبي تمام قاله ضمن قصيدة بائية تقع في 40 بيتا قال في مطلعها :

لو أن دهــرا رد رجع جواب أو كف من شأويه طول عتاب
لعدلتــه في دمنتين برامة ممحوتيــن لزينــب ورباب
ثنتان كالقمريــن حل سناهما بكواعــب مثــل الدمى أتراب
من كل ريم لم ترم سوءا ولم تخلــط صبى أيامها بتصابي

سوانح يوم الثلاثاء 20 ربيع الثاني عام 1330 هـ

8 أبريل 1912 م

وفي يوم الثلاثاء قبضنا العشية بضريح الولي الصالح سيدي علي المزالي[1] مع حضرة شيخنا العلامة الرئيس، والعلامة الفاضل سيدي الفاطمي الشرادي فكانت عشية في جبين الدهر، من هذا العصر، فأدرنا من كؤوس المذاكرة، ما هو من أنفس المحاضرة، إلا أن الفقيه الشرادي- أمـنه ا – استنكر الجلوس قبالة المدينة لقرب السطوح من النظر، ولم يكن جلوسنا من قبل هـذا الـيوم نلتفت فيه إلى سطوح، و لا من يذهب ويروح، خصوصا وأن النسوان لا تتميز صـورهن إلا بعـد الإمعان، ولكن الورع هو ترك الجلوس في هذه العقبة المطلة على فاس. ومـن سـوانح الـيوم مـا أنشده لنا الفقيه المذكور من قول أمير مكة[2] في الشيخ محمود الزمخشري وقريته زمخشر[3] قال :

جميع قرى الدنيا سوى القرية التي ... تبوأهـا دارا فـداء الزمخشـرا

وأحرى بأن تزهى زمخشر بامرئ ... إذا عد في أسد الشرى زمخ الشرا[4]

وهـو ممـا أنشـده صاحب القاموس، وقد كنت حفظتهما عن شيخنا العلامة سيدي الحبيب الـداودي رحمه ا ، بمعنى أنه إذا عد في أسد الغابة زمخ الشرى، أي أصاب الشارة إذا رماهـا. وذكر هذا الفقيه في معناها إذا عد في أسد الجبل المسمى بالشرى زمخ الشرى، أي

---

(1) علـي المصالي، ويعرف أيضا بـ المزالي، بالزاي بدل الصاد، وهو ولي صالح مشهور، له ضريح في محل عال مشـرف علـى مديـنة فاس، قال عنه صاحب سلوة الأنفاس : وحوله حوش عالي البناء، وقبره بوسطه، وهو مشهور معروف، والناس يزورونه يوم السبت قبل طلوع الشمس، خصوصا من به سعال، فيجدون بركة زيارته. إهـ ... أنظر سلوة الأنفاس لمحمد بن جعفر الكتاني 3: 231 رقم الترجمة 161

(2) علي (بضم العين) بن عيسى بن حمزة بن وهاس، الشريف الحسني، كان إمام الزيدية بمكة. توفي سنة 556 هـ. قال عنه الشيخ دحلان في كتابه تاريخ الدول الإسلامية : لم يل الإمارة، بل كان عالما فاضلا، وكان صديقا للزمخشري، وصنف الكشاف باسمه. إهـ ..
أنظر ترجمته في الأعلام للزركلي 4: 318.

(3) زمخشـر : قال عنها صاحب معجم البلدان : زمخشر بفتح أوله وثانيه، ثم خاء ساكنة، وشين معجمة وراء مهملة، قرية جامعة من نواحي خوارزم، إليها ينسب أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري النحوي الأديب رحمه ا .

(4) البيتان للشاعر علي بن عيسى بن حمزة بن وهاس الحسني العلوي، من أبيات له مدح بها الشيخ العلامة محمود بن عمر الزمخشري ونصها:

وكـم للإمام الفـرد عندي من يد ... وهاتيـك مما قـد أطاب وأكثرا
أخي العزمة البيضـاء والهمة التي ... أناقث به علامة العصر والورى
جميع قرى الدنيا سوى القرية التي ... تبوأهـا دارا فـداء زمخشرا
وأحرى بأن تزهى زمخشر بامرئ ... إذا عد في أسد الشرى زمخ الشرا
فلـولاه مـا ضـن البـلاد بذكره ... ولا طار فيهـا منجـدا ومغـورا
فليـس ثنـاه بالعـراق وأهله ... بأعـرف منه بالحجـاز وأشهرا

أنظـر معجـم الـبلدان لياقوت الحموي (باب الزاي والميم وما يليهما) 3: 147. البلغة في تراجم أئمة النحو واللغة، لمحمد بن يعقوب الفيروزابادي 1: 220.

عـلا الجـبل. و ممـا حكـاه لنا ناقلا عن القاموس، وهو من المجون والفكاهات، التي تنفي الشـجون قائلا : القنفاء الكمرة العظيمة، وكان لهمام بن مرة ثلاث بنات، فأبى أن يزوجهن، فلما عنسن واغتلن قالت إحداهن بيتا وأسمعته

أهمـام بن مـرة إن همي لفـي اللائي يكـون مع الرجال

فأعطاها سيفا وقال: هذا يكون مع الرجال، فقالت أخرى : ما صنعت شيئا، ولكني أقول :

أهمـام بن مرة إن همي لفـي قنفـاء مشرفـة القذال

فقال: وما قنفاء ؟ تريدين معزى ؟ فقالت الصغرى : ما صنعتما شيئا ولكني أقول :

أهمـام بن مـرة إن همي لفـي عـ ـرد أسد به مبالي

فقال: أخزاكن الله فزوجهن[1] اهـ.

سوانح يوم الأربعاء 21 ربيع الثاني عام 1330 هـ

9 أبريل 1912 م

وفي يوم الأربعاء وردت علي مكاتب أخينا الفقيه الأمجد سيدي محمد[2] أمنه الله وبطيها طلب تسـريح ابـنة العم[3]، وبراءة ذمتنا من جميع تباعات ابن العم أمنه الله، فسارعت إلى إجابة طلبه، ففارقتها بطلقة بائنة لنشوزها الذي لم أقدر على الصبر معها بسببه، عوضها الله ما هو خير لها، وبارك لنا في زوجتنا المرضية آمين. وقد نطق لسان القلم هنا فقال :

لا خير في رجل دعته زوجته إلى مفـارقـة ولا يفارقهـ ـا

وأي خير إذن يرجى له معها ولا توافقـ ـه ولا يوافقهـا

وأقول:

لا خير في امرأة لم ينجلي معها عن زوجها همـه في السر والعلن

يخـف عندي كـل محنة ثقلت والزوجة السـوء هي أثقل المحن

---

[1] أنظر تاج العروس، للزبيدي 10 : 4-6 العباب الزاخر واللباب الفاخر، للصاغاني 7: 2-4

[2] سبق التعريف به في ص 20

[3] إشارة لزوجته السابقة ابنة عمه المهندس السيد الزبير سكيرج

سوانح يوم الخميس 22 ربيع الثاني عام 1330 هـ

10 أبريل 1912 م

وفــي الخميس ثاني وعشرين ربيع الثاني وقفت طي رسالة لمحبنا الأديب الشريف سيدي عبد ا بـن محمد بن الهاشمي الوزاني[1] على تخميس بيتين للشريف الأديب العلامة سيدي أحمد بن المامون البلغيثي[2] ونص الجميع:

انظر إلى غادة كالشمس قد ظهرت   وحسـن بهجتها منـه النهى انبهرت

مليحـة في جمالهـا قد اشتهرت   و كاعب[3] من بنات الروم قد خطرت

تمشـي أمامي تحامينـي من الكاب

قـدت[4] فؤادي بحسنها الذي شرقا   وقدها[5] قد سمـا في عزه ورقى

---

[1] سبق التعريف به في ص

[2] العلامـة الفقيه سيدي أحمد بن المامون البلغيثي العلوي. من مواليد شهر رمضان عام 1282 هـ - 1865م بفاس. وبهـا تلقـى العلم عن جماعة من جهابذة الفقهاء بالقرويين. وعمدته فيهم العلامة الكبير سيدي الحاج محمد بن المدني كـنون. ومـن الـذين أخذ عنهم كذلك محمد بن قاسم القادري. وأحمد بن محمد العلوي. وأحمد بن الخياط. ومحمد بن التهامي الوزاني. وغيرهم.
رحل للديار المشرقية ثلاث مرات. فحج وزار والتقى بجماعة من الأعلام كالشيخ عبد الجليل برادة. والشيخ أبي الحسن علـي ظاهـر الوتري. والشيخ عثمان الداغستاني المدني. وغيرهم ممن أجازوه في فنون مختلفة. ومن الوظائف التي تولاها خطة القضاء بمدينة الصويرة. ثم بالدار البيضاء. ثم بمدينة مكناس.
ولـه مـؤلفات كثيـرة مـنها: الإبتهاج بنور السراج. والدرر الطيبة المهداة للحضرة الحسنية. في ثلاثة أجزاء. والدر المنـتخب المستحسـن فـي بعض مآثر السلطان مولانا الحسن. في أحد عشر جزءا. وتنسم عبير الأزهار بتبسم ثغور الأشـعار. وحسـن النظرة في أحكام الهجرة. وتحبير طرسي بعبير نفسي. ترجم فيه لنفسه. ومجلى الحقائق فيما يتعلق بالصـلاة علـى خيـر الخلائـق. وتشنيف السماع في أحكام الجماع. والنوازل الفقهية. في ثلاثة أجزاء. وغيرها من التصانيف الأخرى.
أخـذ الطريقة الأحمدية التجانية بمدينة الصويرة لما كان قاضيا بثغرها عن المقدم العلامة سيدي محمد بن يحي الولاتي الشنجيطي. وكانت وفاته رحمه ا ليلة الأربعاء 9 رجب الفرد الحرام عام 1348 هـ - 11 دجنبر 1929م.
وصـلي عليه بعد صلاة الظهر بجامع القرويين. ودفن خارج باب الفتوح بفاس. ورثاه العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

هو الموت إن الموت ما فيه شافع   وقد صوبت للخلق منه مدافع

هو الموت إن تصطف يوما جنوده   بدا منه ما تصطك منه المسامع

أنظر ترجمته في نيل المراد للعلامة الحجوجي ج 1ص 40- 43. وفي فتح الملك العلام لنفس المؤلف بتحقيقنا عليه ت 166. وفـي قـدم الرسـوخ للعلامة سكيرج رقم الترجمة 33. وفي شجرة النور الزكية لمخلوف 1: 621-622 رقم التـرجمة 1721 وفي الأعلام للزركلي 1: 201. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج 1: 35. وفي اليمن الوافر الوفي في امتداح الجناب المولوي اليوسفي 1: 263. وفي الأدب العربي في المغرب الأقصى 1: 15-19. وفـي إتحـاف المطالع لابن سودة 2: 453. وفي معجم الشيوخ لعبد الحفيظ الفاسي 1: 133- 136 معجم المطبوعات المغربية للقيطوني 39.

[3] الكاعب : الجارية التي نهد ثديها

[4] قدت : قطعت

[5] القد : قامة المرأة أو الرجل

در أديب العصـر إذ نطقـا الأسـد ترعـد مـن ألحاظها فرقا[1]

لا غـرو[2] أن يخشهـا كلب بلا ضرب

سوانح يوم الجمعة 23 ربيع الثاني عام 1330 هـ

11 أبريل 1912 م

وفـي يـوم الجمعة استضافنا شيخنـا في علم الحديث الشريـف البركة سيـدي عبد الكبير الكتانـي[3] بـداره مـع الأديب الرحالة سيدي الشافعي النفطي بحضور ولده المحدث أبي المكـارم سـيدي عبد الحي، وحضور حفيده سيدي محمد المهدي[4]، وحضور الأديب سيدي أحمد بن شعيب الزموري[5]، فاستضافنا على الأسودين، التمر والماء. وله بذلك حديث مسلسل

---

[1] الفرق : الفزع

[2] لا غرو : لا ريب

[3] عـبد الكبير بن محمد بن عبد الواحد الكتاني، محدث مسند، صوفي جليل، أخذ العلم عن نخبة من علماء القرويين كالشـيخ محمـد بـن المدني كنون، وعمر بن الطالب ابن سودة، وشقيقه المهدي ابن سودة، ومحمد بن عبد الواحد ابن سودة، وأحمد بناني كلا وآخرين.

مـن مؤلفاته : المشرب النفيس، في ترجمة المولى إدريس بن إدريس، توفي في الساعة الحادية عشر من يوم الخميس 23 ربـيع الأول سـنة 1333هـ - 8 فبراير 1915م. ودفن بزاوية والده أعلى حومة القطانين بفاس، ورثاه العلامة سيدي أحمد سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

بمـاذا أسلـي النفس مما أصابها ومن جزع لم تدر فيه صوابها

ولم تك قبل اليوم تجزع من أسى أضر بها حتى أثار اضطرابها

عهـدت لها صبرا ولكن فقدته بفقد الذي قد كان يشفي اكتئابها

أنظر ترجمته في إتحاف المطالع (موسوعة أعلام المغرب) 8: 2886. الأعلام للزركلي 4: 50. معجم الشيوخ 2: 74 -77. فهـرس الفهـارس والأثـبات، لعبد الحي الكتاني 2: 743- 748 رقم الترجمة 402 جامع كرامات الأولياء، للنبهاني 1: 227.

[4] محمـد المهدي بن الشيخ محمد بن عبد الكبير الكتاني، فقيه مشارك، صوفي فاضل، تتلمذ على يد جماعة من خيرة علمـاء فـاس، في مقدمتهم جده الشيخ عبد الكبير الكتاني، ووالده محمد بن عبد الكبير، وأحمد بن الخياط، ومحمد بن رشيد العراقي، ومحمد (فتحا) القادري وآخرون.

قـال عنه العلامة عبد السلام ابن سودة في كتابه سل النصال: له تآليف في أغراض مختلفة، منها فهرسته، ومنها تأليف فـي عمه (عبد الحي الكتاني) وما وقع له معه، وكيف استولى على زوايا والده بجميع مدن المغرب بإعانة السلطة إلى غير ذلك. إهـ ..

توفي يوم الخميس 21 صفر الخير عام 1379 هـ - 26 غشت 1959م. بمقر سكناه بمدينة سلا. ودفن بزاويتهم هناك، أنظر ترجمته في سل النصال موسوعة أعلام المغرب 9: 3344 – 3345.

[5] أحمـد بـن محمد المراكشي الأزموري. فقيه أديب. من مواليد مدينة مراكش سنة 1287هـ - 1870م. وبها نشأ وتعلـم. فأخذ عن نخبة من جلة فقهائها. كعبد ا أكنسوس. ومحمد أزنيط. والعربي الرحماني البربوشي. ثم انتقل إلى فاس. فدرس بالقرويين فترة غير قصيرة. تتلمذ خلالها لجماعة من أكابر علماء ذلك الحين. كمحمد (فتحا) كنون. وأحمد بن الخياط. وعبد السلام الهواري. ومحمد القادري. وعبد السلام بناني وآخرين.

قال عنه صاحب سل النصال: الفقيه العلامة المطلع. المستحضر المشارك. الحافظ اللافظ. الأديب الشهير. يملي الكثير مـن أشـعار العرب والمولدين. وخصوصا شعر أهل الأندلس. فإنه كان يستحضر منه الشيء الكثير. مع نسبة الشعر لقائلـه. وذكر مناسبة إنشاده. يحفظ ذلك عن ظهر قلب. لم أرا مثله في ذلك. إهـ ... توفي بمراكش سنة 1371هـ - 1951م. أنظر ترجمته في موسوعة أعلام المغرب 9: 3272. معلمة المغرب 14: 4710.

رويناه عنه بالإجازة العامة، وتلقيناه عنه اليوم بالفعل، أكرمه ا بالنظر إلى وجهه، وقد تولى كتب هذه الطباق ولده المحدث المذكور.

والطـباق في اصطلاح المحدثين أن يكتب أحد التلامذة من حضر في المجلس بذكر أسمائهم بحضـرة الشيخ، ويكتب الشيخ بيده تحت ذلك (صح ذلك) وقد كان الشيخ مرتضى[1] قدس سـره على ما حدثني به شيخنا العلامة سيدي الحبيب الداودي معتنيا بالطباق، فكان إذا حضر بمجلس عند أحد من الناس، ولو على سبيل الإكرام والضيافة يكتب أسماء الحاضرين والساعة مـن الـيوم، والمحـل الـذي حضروه، ثم يدفعها لصاحب المكان فيأخذها عنده تذكرة لذلك المجلس.

ومـن سوانح اليوم أن السيد المذكور سألني عما بلغني عن الشيخ التجاني رضي ا عنه في الدباء ما هيþ فذكرت له : بلغني عن الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح، رضي ا عنه عـن الشـيخ أنها هي المعروفة عندنا (بالسلاوية) فقال ولده سيدي عبد الحي أمنه ا : قد حدثنـي عـن الشيخ التجاني رضي ا عنه بأنه كان يقول : هي (السلاوية) شيخنا قاضي الجماعـة سـيدي أحمـد بنانـي[2] عن مولاي محمد بن أبي النصر[3]. ثم صار يتكلم على العلامـات التي تدل على أنها هي الدباء، وأنها هي شجرة اليقطين، وذكر فوائد. ثم استشكل مـن الـدباء لا ساق لها، والآية ذكرت فيها شجرة اليقطين، فأجبته بأنها سميت شجرة تشريفا لهـا، حـيث أنها نزلت منزلة الشجرة بسترهـا لهذا النبي الذي نبذ بالعـراء وهو سقيم[4]، والسـر فـي ذلـك أن الـذبان[5] لا ينـزل على هذه الشجرة فلا ينـزل من استظل بهـا وأظلـتـه. بقى أن يقال: أن الأنبياء لا ينزل عليهم ذباب في طي ذلك أسرار أخرى. كستره عن أعين الناظرين بأوراقها. ودفع الحر أو البرد عنه وغير ذلك. قلت: وسميت دباء، لأنها

---

[1] إشارة للشيخ محمد مرتضى الزبيدي صاحب كتاب تاج العروس من جواهر القاموس

[2] إشارة للعلامة سيدي حميد بن محمد بناني، وقد سبق التعريف به في ص 30

[3] الولي الشهير العارف بربه سيدي محمد فتحا بن أبي النصر بن علي بن رشيد بن المامون بن الصادق بن الفضيل بـن عبد القادر العلوي السجلماسي، من خاصة الخاصة من أصحاب الشيخ أبي العباس التجاني رضي ا عنه، قال في حقه صاحب روض شمائل أهل الحقيقة : وقد مكث مع سيدنا الشيخ رضي ا عنه 16 سنة ما فاتته صلاة واحدة خلفه، وقال لي رضي ا عنه: سمعت من الشيخ ما لم يكن في الكناش المكتوم، وكان في طوقه أن يمكث طول عمره وهو لا يـتكلم ولا يجيب إلا بالقرآن، وكانت وفاته رحمه ا في شهر شوال عام 1273 هـ، أنظر ترجمته في كشف الحجاب للعلامـة سـكيرج ص 158، وفي رفع النقاب لنفس المؤلف ج 3 ص 214 وفي روض شمائل أهل الحقيقة لابن محم العلوي الشنجيطي، رقم الترجمة 7، وفي الجزء الأول من إتحاف أهل المراتب العرفانية للعلامة الحجوجي، وفي نخبة الإتحاف لنفس المؤلف رقم الترجمة 12، وفي موسوعة أعلام المغرب لحجي ج 7ص 2607.

[4] إشـارة للنبـي سيدنا يونس عليه السلام، طبقا لقوله تعالى: فنبذناه بالعراء وهو سقيم وأنبتنا عليه شجرة من يقطين سورة الصافات الآية 145- 146.

[5] الذبان : الذباب

تـدب على الأرض وتمتد مع ما يليها من أشجار مثلا، ولا يبعد أن يكون هذا النبي نبذ عند شجرة فخيمة عليها الدباء وسترته فسميت شجرة باسم المجاور، على طريقة المجاز المرسل.

ومن سوانح اليوم استعمالي لهذه القصيدة باقتراح محبنا وحبيبنا الشريف الماجد سيدي الحبيب بن عبد المالك الوهراني[1] في تعزيته في والدته، والتزام القافية باسم والده :

نفسـي الفـداء لنجل عبـد المالك ... وهـو الحبيـب سليل عبـد المالك

أفديـه بالنفـس التي منـي غدت ... ملكـا له وهو ابـن عبد المالك

ملـك المعالي بيـن أربـاب العلى ... لا غـرو إن أصبحـت عبد المالك

أقسمـت بالقسـم الذي لا حنث لي ... فيـه لقد فـاز ابن عبد المالك

فهـو المتـوج بالقبـول وكيف لا ... وهو الرضى المولى ابن عبد المالك

ورث العلـى من والديـه ذو العلى ... حتـى انتهـت لأبيـه عبد المالك

وله سـرى السر الذي يسـرى إلى ... أخويـه مـن مـولاي عبد المالك

فيهـم فـروع باسقات[2] في العلى ... من طيب محتد[3] أصل عبد المالك

أكـرم بمولانـا الحبيـب المرتضى ... نجـل الرضى مـولاي عبد المالك

فلأمـه المـولاة فاطمـة الرضـى ... مـن ربهـا برضـاء عبد المالك

أكـرم بهـا وبنجلها العالـم الذي ... في العالـم أضحى مثل عبد المالك

واعـرف بقدر أخيـه بوزيان من ... نـال الرضـى بأبيـه عبد المالك

فغـدا سعيدا في كفالـة جـده ... خيـر البريـة جد عبد المالك

لمـا دعـاه ربـه لنعيمـه ... وافـاه يسعى مثـل عبد المالك

وإلى النعيـم دعـا المهيمـن أنه ... فأتتـه طائعـة كعبـد المالك

رفـع الإله مقامهـا وأنالهـا ... مـا ترتجي من قرب عبد المالك

أكـرم بها وبنسلهـا وبزوجها ... ذاك الرضـى مولاي عبد المالك

كانـت لـه نعـم الفتاة منعما ... بعفافهـا مـولاي عبد المالك

كانـت لديـه زوجـة محمودة ... بيـن الأنـام وعند عبد المالك

مجذوبـة لمراتـب علويـة ... فيهـا ترقـت مثل عبد المالك

---

[1] سبق التعريف به في ص 162

[2] باسقات : عاليات

[3] المحتد : الأصل

مجذوبـ ـة بيـ ـن الأنـام لحضرة ... قدسيـ ـة أضحـ ـت لعبد المالك
مجذوبـ ـة فـ ـ ـي أفعالهـا ... ترتـ ـاح طائعة لعبـ ـ ـد المالك
مجذوبـ ـة محمـ ـودة فـي حالها ... ولهـ ـا كمـ ـال مثل عبد المالك
مجذوبـ ـة بعـ ـد السلوك بمنهج ... سلكتـ ـه تابعـ ـة لعبـ ـد المالك
يفضي إلـى أعلـى الجنان بسالك ... فيـه كمـ ـ ـا أفضى بعبـد المالك
أكـرم بهـا من زوجة قد عظمت ... بيـ ـن الأفاضـل مثل عبد المالك
منهـا تنسل سـادة فاقوا السوى ... بكمـ ـ ـال فضـل عند عبد المالك
يكفيـ ـك فيهـا أنهـا قد أنتجت ... مـ ـن زوجهـ ـا أولاد عبـد المالك
ذاك الحبيـب مـع الرضى بلقاسم ... بـ ـدر الغياهـ ـب نجل عبد المالك
وأخوهمـا المرحـوم بوزيان من ... أضحـى كفيـ ـل أبيـه عبد المالك
فهـ ـم ثلاثـة سادة بين الورى ... منهـ ـا ومـ ـن مولاي عبد المالك
فهم اكتسـوا بردا رضاها مثل ما ... غطاهـ ـم برضـ ـاه عبـ ـد المالك
ساروا على النهج القويم وأحرزوا ... قصبـ ـات فـ ـوز مثل عبـد المالك
شهـ ـدت لهم أهـل العلى بتقدم ... في الفضـ ـل مثل الفـ ـذ عبد المالك
فعـ ـلا لمرتبـة بهـا من بعده ... حلـ ـوا فهم خلفـ ـ ـاء عبد المالك
يعـزى له الفعل الجميل وهل يرى ... في الفضـ ـل يوما مثـل عبد المالك
إن يفتخـ ـ ـر أحـ ـد بآبـاء له ... فالفخـ ـر حق لهـ ـ ـم بعبد المالك
أو يفتخـ ـر أحـ ـد بأولاد لـ ـه ... فبهـ ـم يحق فخـ ـ ـار عبد المالك
فتبـ ـارك ا الـذي قـد خصهم ... بمكـ ـ ـارم من بعـ ـد عبد المالك
وتبـ ـ ـ ـارك ا الـ ـذي أولاهم ... شرفـ ـا تكامل عنـ ـد عبد المالك
فيهـ ـم توفر اوفـ ـر الفضل الذي ... شهـ ـدت به الأعـ ـدا لعبد المالك
والسـت أمهـ ـم تكامـل فضلها ... من كـ ـل وجه مثـ ـل عبد المالك
والفضل عنـد بنيهمـ ـا قد تم من ... كل الوجـ ـوه بها وعبـ ـد المالك
أكـ ـرم بأمهـ ـم المبجل قدرها ... وبقـ ـدر أصل المجد عبـد المالك
واعـرف بقدر السيديـن حبيبنا ... وأخيـ ـه نجل البـدر عبد المالك
هـذان في أفق العـلا قمران قد ... طلعـ ـا كما قـد كان عبد المالك
لكـن مولاي الحبيـ ـ ـب به العلا ... تزهـ ـو كما تزهـ ـو بعبد المالك
لا زال مثـل أخيـه مـع أهليهما ... في الحفـظ وفـق رضاء عبد المالك

وعليهـ ـم مني السـلام يعمهم	ويعـ ـم أصـ ـل الفخر عبد المالك
ويعم من لهـ ـم انتمى بين الورى	ولكـ ـل من يمنـ ـى لعبـ ـد المالك
ويعـ ـم إخوانـ ـا بوهـ ـران ثووا	لا سيما المولى ابن عبد المالك
فهـ ـ ـو الحبيب لدي بين أحبتي	وأحبتـ ـي أحبـ ـاب عبد المالك
إنـ ـي محـ ـب دائمـ ـا لمحبهم	مثـ ـل ابـ ـن شراب وعبد المالك
وإلى الحبيب رفعت خير قصيدة	زانـ ـ ـت قوافيهـ ـا بعبد المالك
جـ ـاءت تؤديـ ـه العزا في أمه	زوج الرضى مولاي عبد المالك
فا يرزقـ ـه جميـ ـل تصبـ ـر	عنهـ ـا ويرحمها كعبد المالك
وا يمنحـ ـه كمـ ـال عناية	برضائهـ ـا ورضاء عبد المالك
وعليـ ـه خير تحيـ ـة مني ومن	أهلـ ـي تعم ضريح عبد المالك

سوانح يوم السبت 24 ربيع الثاني عام 1330 هـ
12 أبريل 1912 م

وفي يوم السبت اجتمعت مع الأديب السيد الشافعي النفطي فأنشدني من ألغازه قوله في القوس أحد البروج الإثنى عشر:

أيـ ـا علمـ ـاء العصر إني سائل	عن اسم يعد في بروج الكواكب
مسماه فوق الأرض كان بكثرة	له شبه فـ ـوق العيون السوالب
فمـ ـا حله المريـ ـخ إلا لحادث	فيرسله عنـ ـد انتصاب النوائب
إذا قـ ـدر المولى القدير بليله	عليه تغـ ـوص في بحور الكتائب

فأجبته بقولي:

أيـ ـا من سمـ ـا بين الورى لمراتب	بها قد غدا بدرا بـ ـدا في غياهب[1]
أتيـ ـت بلغـ ـ ـز كـ ـاد أن لا يفكه	سواك بما في ضمنـ ـه من غرائب
طلبنـ ـاه فـ ـوق الأرض نبغي اقتناصه	بقوس فلم نظفر به في السباسب[2]
ورمنـ ـاه في أفـ ـ ـق السماء فلم يكن	سوى تاسع من بعد كبش الكواكب
يـ ـرى فاسـ ـدا مـ ـادام فيـ ـه استقامة	ويحسن معوجـ ـا كقوس الحواجب
فهـ ـذا جوابي وهو لاشك واضح	ولم يخف إلا عـ ـن فتى غير طالب

---

(1) غياهب : جمع غيهب ، وهي الظلمة

(2) السباسب : جمع سبسب، وهي الأرض البعيدة المستوية

وفيه قلت ملغزا:

يا من لديه يرى الفهم السليم ولا ... يـزال في علمـه يوضح السبلا

فأي شيء بمحراب الصلاة يرى ... وقلبـه لم يـزل بالسوق مشتغلا

يعـد عند ذوي التعديـل معتدلا ... وفيه يلفى اعوجاج عند من عقلا

تـراه في أفـق السماء مرتفعا ... وتـارة باليديـن صـار محتملا

لا عقـل فيه ولكن لا يزال يرى ... لديـه نبل بـه يناضـل النبلا

بينـه لي بجواب واضح فعسى ... يبـدو لكـل فتـى للعلم قد سألا

سوانح يوم الأحد 25 ربيع الثاني عام 1330 هـ
13 أبريل 1912 م

وفي يوم الأحد قبضنا العشية مع شيخنا العلامة الرئيس سيدي الحاج عبد الكريم بنيس خارج باب عجيسة وحضر معنا الفقيه التونسي ابن شقرون والفقيه المدرس سيدي عثمان الحبابي[(1)] والبـركة الأشـيب السيد حمدون. أما هذا السيد فهو رجل فاضل ذاكر شاكر مشغوف القلب بالاجتماع مع أهل ا ، يعتريه الحال عند مطالعة كتب أهل الحقائق كالجيلي والفتوحات، وفي بعـض الأحيان يزعق باسم الجلالة عند ذكر بعض الحقائق، وهذا الحال كان يعتريه منذ كان يحضـر مجلس شيخ شيوخنا الحاج محمد بن المدني كنون صاحب اختصار الرهوني، مع أن الفقيه كنون المذكور في زمانه لا يقدر أحد أن يتنحنح في مجلسه ولا بمحضره بما أودعه ا من الهيبة في قلوب حاضريه، وكان له اعتقاد في هذا الرجل البركة.

وممـا حدثنـي بـه عـنه مما وقـع له مع الفقيـه كنون، أنه جاء إليه يومـا بقصد أن يسـتدعيـه إلى محله فلما فرغ من الدرس وقف عنده بعض المخازنيه ذاكرين بأن السلطان ينتظر حضوره وها نحن نأتـي لك بالبلغة لتركبهـا للذهاب إليه، وذهبوا فالتفت الفقيه إليه

---

(1) عـثمان بن محمد الحبابي، فقيه مشارك مدرس، من أعلام مدينة فاس، أخذ العلم عن ثلة من أبرز فقهاء القرويين، كمحمـد بـن التهامي الوزاني، وعبد المالك العلوي الضرير، وأحمد بن الخياط، ومحمد (فتحا) القادري. وعبد ا بن إدريس البدراوي وغيرهم.
لـه مـؤلفات منها: رفع الإبهام ودفع شبه المعاتب، عن مسألة سجود التلاوة عند الإقامة على الإمام الراتب. قال عنه صاحب معجم المطبوعات المغربية : فرغ منه أوائل صفر 1324 هـ، ثم وقف على ما يؤكد معناه فأتمه أواخر رجب 1335هـ. وبآخره تقاريظ لاثنين وعشرين من علماء عصره، طبع على الحجر بفاس من غير تاريخ، غير أن المؤلف كتب على النسخة التي عندي بخط يده (وكان الفراغ من طبعه أواسط شعبان عام 1338 هـ) يقع في 64 صفحة.
توفـي يـوم الجمعة 4 ذي الحجة الحرام عام 1343 هـ - 26 يونيه 1925 م. ودفن في روضة أهله بالقباب. أنظر ترجمتـه في إتحاف المطالـع (موسوعـة أعـلام المغـرب) 8: 2944. معجم المطبوعات المغربية للقيطوني 98 (رقم الترجمة 251) معلمة المغرب 10: 3297.

وقال له : إيه يا سيدي حمدون ماذا تريد ? فقال له : إني جئت، بقصد أن تذهب معي و الآن خـاب الظـن. فقال له: إني لا أذهب إلا عندك ولا أذهب إليه إلا بعد أن تستوفي ما قصدته، وإني لم يهمني الدحادحة، فأحرى منتوفي اللحى. وهذه عبارة عامية من أمثال العامة تضرب فيمن لا يبالي به في أمره ونهيه، ثم ذهب معه لمحله من وسط النهار إلى أن حضر العصر، ولـم يهـتم بمـن ذهبوا ليأتوه بالمركوب، ولا بمن وجه من ورائه، وأما الفقيه السيد عثمان الحبابـي فهو فقيه من المدرسين بالقرويين، وله وقوف تام مع الحدود، يشتغل بما يعنيه، وله تويلـف لطيف في مسألة منع سجود التلاوة عند إقامة الصلاة، وخالفه في ذلك شيخنا بنيس، وألف في ذلك تأليف غزير الفوائد.

وقـد انجـر الكلام بي معه في هذه السوانح، فذكر أن للفقيه المرحوم سيدي المدني بن جلون تألـيفا سـماه (تحقيق المذكرات) يذكر فيه تحرير المذكرات التي تروج في المجالس التي يحضـرها. وحكى لنا شيخنا بنيس أنه كان مرة معه في نزهة، فسأله عن سبع مسائل. فقال: إنـه سـيرد عليك الجواب، ثم أنه غافلهم وخرج ساعة ثم جاء وقد أجاب عن جميع المسائل، وهكذا كان معتنيا بجميع المسائل. وسأجعل بحول ا تأليفا في مثل تأليفه.

ومما أنشده لنا الفقيه الحبابي للشيخ التاودي بن سودة لما وقف على نعل المصطفى، المدخرة عند الشرفاء الطاهريين بفاس:

دار الشريف الطاهري فيها الشفا وبها رأت عيناي نعل المصطفى
ولثمتها وكحلـت عيني وقلت يا نفسي انعمي أكفاك قالت لي كفى

وأنشدنا، وهو مما نحفظه:

إذا سألونـــي عـن حالتـــي وحاولـــت عذرا فلـم يمكن
أقـــــول بخيـــر ولكنـــه كـــلام يمر علـــى الألسن
وربـــك يعلم مـــا في الصدور ويعلـــم خائنـــة الأعين[1]

ومـن غريب الإتفاق الغير المقصود أن شيخنا بنيس أنشد من كلام بعضهم قوله : (إذا عدت الأخـيار مـن آل هاشم) قال الفقيه التونسي من غير قصد وزن، ولا في هذا الموضوع، بل تكلم في شيء آخر مع من كان يتكلم معه فقال (فنحن بمرأى منهم وبمسمع) وذلك شطر بيت يحسـن أن يكون عجزا للصدر المتقدم. وهنا ذكر الفقيه الحبابي بعض الموضوعات من غير قصد.

---

(1) الأبـيات للشـاعر الأندلسـي عبد ا بن محمد المعروف بابن السيد البطليوسي، المتوفي ببلنسية سنة 521 هـ - 1127 م.

ومما ناولني شيخنا بنيس قوله :

سأل المهلب[1] نجل صفرة نجله | ليـرى نجابتـه على الأبنـاء
أبنـي أخبرنـي بأعظم علة | وأشـد مكروه وشر بـلاء
فأجـاب ذاك عداوة العقلاء | وسـؤال ذي لؤم من البخلاء
وأشدهـا شـرا وأقبح وصمة[2] | توليـة اللؤمـا على الكرماء

سوانح يوم الإثنين 26 ربيع الثاني عام 1330 هـ
14 أبريل 1912 م

وفـي يوم الإثنين قبضنا العشية بسيدي علي المزابي مع شيخنا بنيس – أمنه ا - مع جماعة مـن العلماء، وكنت في هذا اليوم تلاقيت مع الأخ في ا العلامة سيدي الفاطمي الشرادي و جعلنا موعدا بالزاوية المباركة ظهرا، فلم نجتمع به لمانع حصل له، فكتبت له هذه الأبيات :

طبيب النفس مـن كل اكتئاب | ومحـي القلب مـن غيـر ارتياب
وفاطم كل نفـس عن هواها | الإمـام الفاطمي عالـي الجناب
لقد طال انتظاري وقت ظهر | بزاويتـي إليـك مـع الصحـاب
فلم يسمح زماني باجتماع | بهـا فاجعلـه عنـد علي المزابي[3]
فأتمـم جمعنا بلقـاك فيه | بهـذا اليـوم يحظـى بالثواب
فإنك في القلوب سكنت منا | فأنعـم بالوصـال بلا حساب

---

[1] المهلب بن أبي صفرة الأزدي العتكي، أمير قائد، ولد في دبا بالعراق سنة 7هـ، ونشأ بالبصرة، ووفد على المدينة المـنورة رفقـة والده في عهد عمر بن الخطاب، قال عنه صاحب الأعلام : وولي إمارة البصرة لمصعب بن الزبير، وفقـئت عينه بسمرقند، وانتدب لقتاله الأزارقة، وكانوا قد غلبوا على البلاد، وشرط له أن كل بلد يجليهم عنها يكون له التصرف في خراجها تلك السنة، فأقام يحاربهم تسعة عشر عاما، لقي فيها منهم الأهوال، وأخيرا تم له الظفر بهم، فقتل كثيـرين، وشـرد بقيـتهم في البلاد، ثم ولاه عبد الملك بن مروان ولاية خرسان، فقدمها سنة 79هـ، ومات فيها، كان شعاره في الحرب : حم لا ينصرون. إهـ ... توفي سنة 83 هـ .
أنظـر ترجمته في الإصابة لابن حجر العسقلاني (رقم الترجمة 8635) الكامل في التاريخ لابن الأثير 4: 183.تاريخ الطبري 8: 19. الأعلام للزركلي 7: 315.

[2] الوصمة : العيب والعار

[3] إشـارة للجهـة القـريبة من ضريح الولي الصالح سيدي علي المزابي، حيث كانوا يجتمعون هناك للنزهة وقبض العشية.

زيـارلا مـولاي حفيـظ لضريـح
الشيـخ التجاني

وفـي الساعة الواحدة جاء لزيارة ضريح سيدنا رضي ا عنه سلطان الوقت المولى عبد الحفيظ[1] ، ونحـن سـاعتئذ بالـزاوية، فدخل للمقام الشريف، وبعد خروجه ذبح بالباب ثور فوزع على الإخـوان الضعفاء هناك، ولم يحضر الفقيه سيدي الفاطمي معنا في العشية. ولما كنت في انتظار شـيخنا بنـيس هناك لنصلي صلاة العصر، كنا نتذاكر مع الأديب الرحالة السيد الشافعي النفطي، ولمـا جـاء شيخنا المذكور جلسنا ننتظر الفقيه سيدي الفاطمي عسى أن يصلي معنا، فذكر شيخنا لفظ هذا الحديث (أهم أموركم عندي الصلاة[2]) فقمنا للصلاة، وضمنته في قولي:

إذا حضـرت صلاتكم فصلوا   فإن صلاتكـم فيها الصلات
وقـد قـال الرسول لتابعيه   أهم أموركـم عندي الصلاة

وهـذا من اقتباس الحديث، ولا بأس به إذا كان في المواعظ والرقائق، ويمنع الإقتباس لا من الحديث ولا من القرآن إذا كان في مجون وهزل. ومن الممنوع قول أبي نواس، وأستغفر ا مـن كتـبه، ومـن حفظه لكونه علق بحافظتنا منذ أيام، حتى تذكرناه باستنشاد شيخنا في هذا المقام، وذلك قوله عفا ا عنا وعنه :

خـط فـي الأرداف سطـر   مـــن بديـع الخط مـوزون

---

(1) شـريف العلماء وعالم السلاطين، مولانا عبد الحفيظ بن الحسن بن محمد بن عبد الرحمان العلوي، سلطان المغرب الأسـبق، ولد بفاس سنة 1280 هـ ونشأ وترعرع بقبيلة بني عامر (في الجنوب الغربي من مراكش) وهو من أكابر علمـاء وأدبـاء المغرب، بويع له بالحكم سنة 1325 هـ فقضى فيه خمس سنوات، ثم تنازل عن العرش لأخيه مولاي يوسـف، وذلـك بعـد أن وقـع معاهدة الحماية مرغما للفرنسيين عام 1330 هـ، ثم بعد ذلك أقام بالمهجر بين فرنسا وإسـبانيا إلـى أن توفي بباريز بعد زوال يوم الأحد 22 محرم 1356 هـ موافق 4 أبريل سنة 1937م، ونقل جثمانه الطاهـر لـبلاده المغـرب، حـيث احتفل بدفنه في مهرجان كبير، ورثاه عدد من الشعراء من ضمنهم العلامة سكيرج بقصيدة قال في مطلعها :

دمع أفاضته عيني بعدما جمدت   ونار قلبي ثارت بعدما خمدت
ا فـي مهجتي فقـد ألم بها   عن بغتة ألم وصبرها فقدت

ولمـولانا عـبد الحفيظ رحمه ا تآليف كثيرة منها : الجواهر اللوامع في نظم جمع الجوامع، والعذب السلسبيل في حل ألفـاظ خلـيل، وياقـوتة الحكـام في مسائل القضاء والأحكام، ونيل النجاح والفلاح في علم ما به القرآن لاح، وله في الطـريقة الأحمديـة التجانـية عدة كتب منها : الجامعة العرفانية في شروط وجل فضائل أهل الطريقة التجانية، انظر تـرجمته فـي الدرر الفاخرة لابن زيدان ص 118. وفي الأعلام للزركلي ج 3 ص 277. وفي كتابنا رسائل العلامة القاضي الحاج أحمد سكيرج 1: 126.

(2) إشارة للحديث الذي رواه عبد الرزاق في مصنفه عن مالك عن نافع: أن عمر بن الخطاب كتب إلى عماله : إن أهم أمـوركم عندي الصلاة، فمن حفظها وحافظ عليها حفظ دينه، ومن ضيعها فهو لسواها أضيع، ثم كتب أن صلوا الظهر إذا كـان الفـيء ذراعـا، إلى أن يكون ظل أحدكم مثله، والعصر والشمس مرتفعة بيضاء نقية، قدر ما يسير الراكب فرسـخين أو ثلاثـة، والمغـرب إذا غربت الشمس، والعشاء إذا غاب الشفق إلى ثلث الليل، فمن نام فلا نامت عيناه، والصبح والنجوم بادية مشتبكة . إهـ ...
أنظر مصنف عبد الرزاق 1: 536. المدونة الكبرى لسحنون 1: 56.

لـن تنالـوا البـر حتى تنفقـوا ممـا تحبـون[1]

سوانح يوم الثلاثاء 27 ربيع الثاني عام 1330 هـ

15 أبريل 1912 م

وفي يوم الثلاثاء سنح لي تغيير البيت الأول من اقتباس أبي نواس المذكور بقولي :

خـط في القـرآن سطر دره في الصـدر مكنون

لـن تنالـوا البـر حتى تنفقـوا ممـا تحبون

ووقفت على قول الولي الصالح، سيدي العربي بن السائح[2] رضي ا عنه، وفيه تورية باسم عائشة[3]. ولقد أحسن في ذلك للغاية قال :

وريم رمت قلبي بأسهم لحظها فلم تخطه إذ لم تكن عنه طائشة

مناني من الدنيا أموت صبابة لديها وشوقا نحوها وهي عائشة[4]

وله رضي ا عنه في اسم آمنة :

بأبي من قد نأت عن مسكني وهي في أكنان سري ساكنه

عجبـا قلبي مقيم في لظى وهـي دأبا وسط قلبي آمنه

---

[1] اقتباس من قوله تعالى لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون (سورة آل عمران الآية)

[2] سبق التعريف به في ص 171

[3] السـيدة عائشة بنت العلامة العارف بربه سيدي محمد الحفيان الشرقي(زوجة الولي الصالح العلامة سيدي العربي بن السائح) كانت من أهل الصدق والتصديق، خاشعة القلب، مرهفة الوجدان، غزيرة الدمع، لبيبة فاضلة، حازمة تقية، لا يفتر لسانها عن ذكر ا والصلاة على رسوله صلى ا عليه وسلم، متواضعة لمن يحدثها، جادة في الإلتزام بشؤون الشـرع، لا تقبل بشيء من التساهل فيه، كما كانت معروفة بالبشاشة والكرم، وحسن الضيافة، ومواصلة الأرحام، وما إلى ذلك من خصال آخرى.

تـزوجها الولي العلامة المذكور وبنى بها عام 1270 هـ، وكان شقيقها المقدم البركة سيدي العربي بن محمد الحفيان وصيا عليها إذ ذاك بحكم وفاة والدها قبل ذلك التاريخ بستة عشر سنة.

وكـان سـن الولـي الصالح سيـدي العربي بن السائح لدى زواجـه بها 41 سنة. ومن جملة الشروط التي تضمنها عقـد الـنكاح حينئذ أن يقيما معا بمدينة الرباط، لكون الزوج (سيدي العربي بن السائح) كان يرغب في العودة لمسقط رأسه (مكناس) بيد أنه التزم أخيرا بهذا الشرط، فاستوطن مدينة الرباط إلى حين وفاته رضي ا عنه.

توفـيت عشـية يـوم الجمعة 5 صفر الخير عام 1319 هـ - 24 ماي 1901م، ودفنت بجانب قبر زوجها من جهة اليسار، وللعلامة سكيرج قصيدة في مدح هذه السيدة الفاضلة قال في مطلعها :

طرحت نفسي على أعتاب سيدتي عسـى أنال بها بلـوغ أمنيتي

وضعت نفسي على الرجلين ملتثما تراب نعليهما لكشـف معضلتي

فإنهـا لم تزل فـي القبـر عائشة من جملة الشهدا بالموت لم تمت

فلـذ بهـا وتـأذب طالبـا مددا تحضى بما رمته من كل مسألة

أنظـر تـرجمتها فـي كتابنا خلاصة المسك الفائح في ذكر بعض مناقب العلامة الولي الصالح سيدي محمد العربي بن السـائح (مخطـوط خاص) وفي الأزهار العطرة الروائح في التعريف بمولانا العربي بن السائح، للفقيه سيدي محمد الحجوجي 253- 254.

[4] من ذلك أيضا قوله رضي ا عنه وقد أجاد :

يا سعد ساعدني بحقك واشفني فسهام فكري في أمورك طائشه

أيحل أني فـي المحبة ميت وحبيبتي مـن بعد موتي عائشه

كـذا وقفـت عليه بخط البركة الأمجد سيدي محمد الأمين بلامينو الرباطي[1] ونقلته عنه في كتابـنا المسـمى (الـدر الثمـين[2]) وهو كتاب ذكرنا فيه ما وقفنا عليه بخط السيد الأمين المذكور، وغالبه في ترجمة السيد المذكور قدس سره، جعله ا من العمل المشكور،آمين.

سوانح يوم الأربعاء 28 ربيع الثاني عام 1330 هـ
16 أبريل 1912 م

وما أدرك ما يوم الأربعاء

وفـي يـوم الأربعـاء وما أدراك ما يوم الأربعاء، يوم كان العسكر المخزني يتهيأ للسفر مع المولـى عـبد الحفـيظ لصباح يوم الخميس غدا. فألزمهم الحاكم الفرنسي بأن يحمل كل نفر بـردعة اشتملت على زاده ولباسه وما يحتاجه كل واحد منهم، فتراجعوا في الكلام معه حتى قـال لهـم : أنـتم خدامون معي، وأنا الحاكم عليكم، فقالوا : إنما نحن مع السلطان، فسبهم، فضـربوه، وقامـت قـيامة العسـكر، ونزلوا مع المدينة ينادون بالجهاد، وقصدوا أماكن كل فرنسـوي، وقتلوهم، وقطعوا رؤوسهم، والناس في هذه الساعة يتضاربون مع العسكر المقيم بدار الدبيبغ، وجاءت القبائل القريبة، وبلغنا أن المولى عبد الحفيظ بيده وقف على فتح السجون ودفـع العـدة للمساجين ونادى بالجهاد، إلا أن هذا لم يتحقق عندنا صحته، إلا أنه سمعنا أن العسكر تلاقوه معه وقالوا : إنما نحن مستخدمون معك، فحصل له الرعب فقال : دونكم وإياهم وا أعلم، ونسأل ا اللطف بنا في سائر الأحوال. وفي هذا اليوم أنشأت هذه الأبيات:

رب البريـة إنني بك أحتمي ... من كـل سوء باطـن أو ظاهر
أدعوك يا مولاي والقلب انطوى ... منـي على جـزع وخوف باهر
والعين قد جفت عن الدمع الذي ... ينهـل منها في الملـم القاهر
مولاي فاستر عبدك الخطاء عن ... عيـن الأعـادي بالحجاب الساتر
إنـي أمد يـدي إليك تضرعا ... فلتشف مـا بي عاجلا يا ناصري
بـك لذت في أمري وإني سائل ... دفـع العـدا عني بنصـر ظافر
فلتحمنـي ولتحم أحبابـي ومن ... منهم يـرى في غائب أو حاضر
مولاي دافع بالنبي عني وعنـــــهم كـل مكـروه ومكر ماكر

---

[1] سبق التعريف به في ص 170

[2] الدر الثمين من فوائد الأديب بلامينو الأمين، يقع في جزء صغير، مطبوع.

سوانح يوم الخميس 29 ربيع الثاني عام 1330 هـ

17 أبريل 1912 م

ثم بتنا والأفئدة راجفة، خشية ما يتوقع من شياطين الإنس الذين يسعون في الأرض فسادا ولا يحـبون إلا الفتنة، ليشتغلوا بالنهب والسرقة، إلى أن أصبح في وجهنا يوم الخميس، فبلغنا أن العسـكر الذي تسبب في الفتنة أراد الخروج من باب عجيسة فكسر الباب، والأفئدة تضطرب خوفا من دخول القبائل التي سترد بقصد النهب، نسأل ا العافية. وقد استعملت هذه الأبيات :

إني استندت علـى من لا يضيعني ... وليـ ـس يتركنـي لمن يحاربني

بل يدفع السوء عني وهو منتصري ... وكلمـا عظم المصـ ـاب ينصرني

فإنـ ـ ـه ا ربي لا شريك له ... به انتصرت على من ليس يرحمني

أمـ ـ ـد كفـي إليه سائـ ـلا مددا ... بـ ـه يدافع عنـ ـي ما يؤلمني

فقـ ـد تعودت عند النصر منه على ... كـ ـل العدا وعلى من رام يغدرني

ولـ ـم أنـ ـاده عنـ ـد كل حادثة ... إلا وأقبـ ـل نصر منـ ـه ينقذني

لا حيلـة لي ولا حـ ـول ولا ثقة ... إلا بـ ـه وهو ربـي ا يحفظني

ما ضـ ـاق صدري مـ ـن أمر أحاوله ... إلا تيسـ ـر ما قد كـ ـان يتعبني

أدعـ ـوه سبحانـ ـه لمـ ـا أؤمله ... مـ ـن فضلـه دائما فلا يخيبنـي

حاشـ ـاه حاشاه أن أدعوه معترفا ... بأنـ ـ ـه ا ثـ ـ ـم لا يؤيدني

مالـ ـي سـ ـواه ألوذ في الأمور به ... وهـ ـ ـل سواه أناديـ ـه فيكفلني

فاضـ ـرع إليه كما ضرعت مبتهلا ... وقـ ـل إلاهي احمني ممن يقاومني

يـ ـارب ياربـي ياربي لفضلك قد ... سألـ ـت با لطفـ ـا منك يشملني

بجـ ـاه خير الـ ـورى أجل معتمد ... للخلاق كـ ـن لي مجيرا ليس يهملني

مـ ـولاي صـ ـل عليه دائما وعلى ... آل وصحـ ـب وكـ ـن بالحفظ تلحظني

سوانح يوم الجمعة 30 ربيع الثاني عام 1330 هـ

18 أبريل 1912 م

وفـي يـوم الجمعـة نهب الرعاع ملاح اليهود وأخذوا متاعهم، وهربت اليهود لدار الدبيبغ، وجـاءت بنو مطير[1] وبعض القبائل القريبة من فاس، ووقع القتال واشتد وسط النهار خارج الأبـواب، خصوصا باب الساكمة ودارالدبيبغ والبساتين، وفرغت غالب دور فاس الجديدة بما ينـزل علـيهم من الكور التي تدفعها المدافع، وصار الكور أيضا ينزل بالطالعة وما جاورها، حتـى أطلـع الـناس بالسطوح الطرادات والبنادير المشيرة لحماية أجناسهم حتى لايضر بهم بالكـور، فصار ينزل الكور حول فاس، بعدما كان ينزل بهما، و لم ينقض النهار حتى هدنت الفوضى في الجملة.

سوانح يوم السبت فاتح جمادى الأولى 1330 هـ

19 أبريل 1912 م

و فـي يوم السبت شاع بين الناس أن المحلة الفرنسية عزمت على الدخول لفاس بقصد المكر بأهلهـا، إلا من علق على باب داره ورقة حمايته، فحصل الرعب للناس، وخافوا على أهلهم مـن هـتك أعراضـهم، فقصد الناس القناصل، فمنهم من ساعد الحمايات ودفعوا لهم ورقة يحطـونها بباب دورهم، ومنهم من كذب ما شاع وقال : لا تخشوا مما سمعتم، فا طمأن صدر الناس مع جزع لازال يعتريهم. وفي هذا اليوم صارت العساكر الفوضوية تصطلح مع الدولة وترجع لقشلتها، ومن امتنع من الصلح يقبض عليه، بعدما كان جلهم نزع الكسوة العسكرية.

سوانح يوم الأحد 2 جمادى الأولى عام 1330 هـ

20 أبريل 1912 م

وفـي يوم الأحد اجتمعت مع شيخنا العلامة الرئيس، سيدي الحاج عبد الكريم بنيس، والعلامة الفاضـل سيـدي الفاطمـي الشرادي، والأديب الرحالة السيد الشافعي النفطي، وجلسنا بدار

---

[1] بـنو مطير، قبيلة مغربية كبيرة، تقع جنوب مدينتي فاس ومكناس، تنقسم إلى عشرة عظام، وهي : آيت حماد، آيت وارتيندي، أيت ايقدرن، آيت بورزون، آيت بومدمان، آيت حرزلا، آيت نعمان، آيت سليمان، آيت عياش، أيت ولال. تميـز تـاريخ هذه القبيلة طيلة القرن التاسع عشر الميلادي بتمرد كثير على السلطة، بسبب ثقل وطأة الجباية وضعف إمكانيات السكان المادية، الشيء الذي دفعها إلى جانب قبائل آخرى لحصار مدينة فاس ومكناس خلال ربيع سنة 1911 م، وقد تواصل هذا الحصار إلى غاية تدخل القوات الفرنسية وفرضها لنظام الحماية على المغرب.

شيخنا المذكور بعد ما صلينا صلاة الظهر بالزاوية الشريفة، وكانت ساعة مباركة بانبساط تام، وروحنا النفس بمذاكرات جدية وهزلية نفت عنا بعض ما تراكم في الصدر من الأغيار. ومن سوانح اليوم في هذه المذاكرات قول أبي الأسود الدؤلي :

دع الخمر يشربها الغواة[1] فإنني رأيـت أخاها مجـزيا بمكانها

فـإن لا يكنهـا أو تكنـه فإنه أخوهـا غذتـه أمه بلبانها[2]

يقول : دع عنك شرب الخمر التي تشربها الناس الغاوون ليشربوها واشرب النبيذ عوضا عنها فإنـه يجـزئ عـنها. فعلى فرض أنها ليست إياه أو ليس إياها، فهو بلا شك أخوها، لأنه من الزبيب، وهي من العنب، وقد غذته أمه بلبانها، لكونهما من شجرة واحدة.

سوانح يوم الإثنين 3 جمادnj الأولى عام 1330 هـ
21 أبريل 1912 م

وفـي يوم الإثنين اشتد الصداع برأسي فلم أقدر على كتب حرف واحد من السوانح، مع شدة الهول الحاصل للناس، والخوف على أنفسهم، وإحراق الأخضر باليابس، وكل من رحمة عدوه آيـس، والقلـوب تضـرع في خلوة ضلوعها أن يلطف بعباده، وأن يبلغ كل واحد منا في السلامة غاية مراده.

سوانح يوم الثلاثاb 4 جمادnj الأولى عام 1330 هـ
22 أبريل 1912 م

وفـي يـوم الثلاثاء قرئ الكتاب المخزني بالقرويين، يأمر أهل البلدة الفاسية بطرح السلاح، وإخـراجه مـن دورهم لمقدمي الحومـات ليدفع للحاكم، فصار الناس في هول، وإكثار القيل والقول، فمن خائف على نفسه يرمي بالطرق السلاح الذي بداره حذرا من أن يتقول فيه بسبب العـدة التي توجد عنده، ويخاف أن يدفنها حتى في أساس جداره. ومنهم من عزم على دفعها، وهو الجم الغفير، سائلين المولى السلامة من سوء الحال.

---

[1] الغواة : جمع غاو، وهو الضال والمنقاد للهوى.

[2] البيتان للشاعر أبي الأسود الدؤلي من ثلاثة أبيات قال في مطلعها :
وإن امرء قد قال في الحق خطة لملتمس تصديقها ببيانها

سوانح يوم الأربعاbl 5 جمادnjالأولى عام 1330 هـ
23 أبريل 1912 م

وفي صباح يوم الأربعاء ألقى الناس السلاح، خائفين من سوء الإفتضاح، والقلوب في الصدور تـرتعد، خصوصـا النسـاء ومن شاكلهم ممن لا يعرف قوانين عليها يعتمد، خوفا من دخول العسـكر للـبلاد، والفتك بأهلها وهتك أعراضهم بين العباد، وحيث ألقى الناس السلاح، وعم الفسـاد أهله وأهل الصلاح، تعين أن ألقي القلم من اليد، من الزيادة في هذه السوانح من اليوم قـبل الغـد، فإنه يضيق صدري ولا ينطق لساني، وعلى أي حالة فالكلام في هذا الموضوع طـويل الـذيل، وربمـا يعثـر القلم فينطق بما لا تحمد عاقبته، سائلا من المولى السلامة لي وللأحباب وللمسلمين، وآخر دعوانا أن الحمد رب العالمين.

محتويات كتاب إيقاظ القرائح لتقييد السوانح

محتويات كتاب النتائج اليومية
في السوانح الفكرية